يوسف ميخائيل أسعد

رعاية المراهقين

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

رعاية المراهقِين

يوسف ميخائيل أسعد



الـكـتـاب : رعاية المراهقين

المؤلـف : يوسف ميخائيل أسعد

رقم الإيداع : ٢٦٣٠

الـنـاشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت . ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

الـتـوزيـع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

مقدمة

إذا كانت مرحلة الطفولة هى المرحلة التى ترسى فيها دعائم الشخصية ، فمما لا شك فيه أن مرحلة المراهقة هى المرحلة التى تتبلور الشخصية خلالها وتأخذ ملامحها الثابتة . من هنا فإن الاهتمام بالتربية والرعاية خلال هذه المرحلة الأخيرة يجب ألا يقل عن الاهتمام بتربية الأطفال .

ومما يزيد هذه المرحلة أهمية وخطورة ، أنها مرحلة الانبثاق الوجدانى ، من خلال انبثاق النمو الجسمى ، ثم إنها مرحلة النضج الاجتماعى ، والانسلاخ عن أطر العلاقات الاجتماعية التى كانت سائدة على الشخصية خلال الطفولة .

ولا تقل أهمية العناية بآباء وأمهات ومدرسى ومدرسات المراهقين والمراهقات عن أهمية العناية بالمراهقين والمراهقات أنفسهم ؛ ذلك أن التربية عملية مشتركة بين قطبين أساسيين : الشخص الذى نربيه ، ثم نحن الكبار الذين نقوم بتلك التربية . ولا يمكن أن نتصور نجاحًا لتربية لا تأخذ فى اعتبارها سوى قطب واحد من هذين القطبين . فإذا نحن ركّزنا الاهتمام على المراهقين والمراهقات وحدهما ، مهملين الطرف المسئول عن قيادة عمليات التربية من الكبار ، فإننا نكون قد حكمنا بالفشل على الجهود التربوية التي تبذل .

وبين يدى القارئ العربى اليوم هذه المحاولة التى نؤمِّل من ورائها تعديل بعض المفاهيم والاتجاهات السائدة المنحرفة عن الخط السليم ، بحيث تصبح نافعة ومجدية بعد إقناع القارئ بجدوى ما نطالبه به من تعديل . واعتقادنا أن المراهقين والمراهقات أنفسهم يفيدون من الاطلاع على ما ورد بهذا الكتاب ؛ لأنهم شركاء كما قلنا فى عملية التربية وفى الجهود المبذولة لرعايتهم .

يوسف ميخائيل أسعد

الفصل الأول

أضواء على مرحلة المراهقة

الخصائص الجسمية :

على الرغم من أن الإنسان - والكائنات الحية النباتية والحيوانية بصفة عامة - تبزغ إلى الوجود أول ما تبزغ ، وقد حملت فى طياتها جميع مقوماتها ، فإن بعض الخصائص لا تظهر إلا فى مرحلة معيَّنة من عمرها . فالطفل يولد - أو حتى يتكون جنينًا - وقد جهز بجميع الخصائص التى يظهر بعضُها مع الميلاد ، بينما يظل بعضها الآخر مطمورًا بالشخصية لا يبدو للعيان إلا عندما يصل إلى مرحلة نمو معينة .

ففى حوالى العاشرة من عمر الفتى أو الفتاة ، تخرج بعض الخصائص الجسمية التى كانت فى حالة كمون لديهما لكى تبدو للعيان ، أو لكى تعكس آثارها على الهيئة العامة للجسم . وحرىٌّ بنا فيما يلى أن نتناول تلك الخصائص الجسمية التى تتبدى لدى كل من المراهق والمراهقة فى هذه المرحلة الحساسة من العمر . ولنبدأ بالخصائص الجسمية لدى المراهق على النحو التالى :

أولا - من حيث النمو العام للجسم :

يلاحظ فى هذه المرحلة أن الفتى يأخذ فى النمو بسرعة لافتة للنظر . فقامته تشتد وأطرافه تزداد طولاً ، كما أن عضلاته تكون قابلة أيضًا للنمو ، فيميل إلى السمنة بعض الشىء ، وكذا فإن ثدييه يمتلئان نوعًا ، كما أن دمويته تتفجر ، ولكن إذا كان بطبيعته يميل إلى النحافة ، فإن دمويته لا تسعفه فتصير أطرافه باردة وخاصة فى فصل الشتاء . أما نسبة العرق فإنها تزيد بوجه عام خلال المراهقة .

وهذا العرق يساعد على تلطيف حرارة الجسم لدى بذل الجهد العنيف الذى يتطلبه النمو الجسمى المتدفق . أما عن دقات القلب ، فإنها تأخذ فى البطء نوعًا حتى إذا ما بذل المراهق جهدًا شاقا، فإن سرعة دقات قلبه تزيد بدرجة معقولة ، وكذا الحال بالنسبة لإيقاع تنفسه . وعلينا أن نتخيل أن نمو الأجهزة المختلفة فى دخيلة المراهق تتوازى مع نمو ما يظهر من جسمه والذى تقع عليه أبصارنا ونلاحظه فى هيئته العامة وفى مظاهره الخارجية .

ثانيا - من حيث نمو أعضائه التناسلية :

تعتبر هذه المرحلة بالنسبة للمراهق المدخل إلى الرجولة . ومن هنا فإن نموه يهيئه جنسيا ، وذلك بما يحدث من نمو فى الأير (العضو الذكرى) وفى الخصيتين. ناهيك عما يحدث من زيادة فى نسبة الهورمونات الذكرية لديه (علمًا بأن الجنسين يشتملان على هورمونات ذكرية وهورمونات أنثوية على السواء ولكن مع اختلاف النسبة بينهما لدى كل جنس منهما) . ومن ظواهر نمو الأعضاء التناسلية واقترابها من النضج حدوث القذف الليلى اللاإرادى الذى قد يكون فى بعض الحالات مصحوبًا بأحلام جنسية .

ثالثا - من حيث التغيرات التى تحدث بالحنجرة والحبال الصوتية :

فالواقع أن ما يطرأ على طبقة الصوت لدى المراهق من خشونة ، إنما يرجع إلى التغيرات التى تحدث بالحنجرة والحبال الصوتية . فثمة استرخاء يلم بتلك الحبال مما يجعل الصوت منخفض الطبقة . والأمر هنا شبيه بأوتار الآلة الموسيقية التى إذا ما أرخيت ، فإن ما تحدثه من أنغام لدى استخدامها يكون أجشَّ منخفض الطبقة . وعلى العكس من هذا فإذا ما شدت تلك الأوتار ، فإن الصوت الذى يصدر عنها إذا ما استخدمت يكون حادا مرتفع الطبقة .

رابعا - من حيث التغيرات التى تحدث بالمخ وباقى الجهاز العصبى المركزى :

فمن المعروف أن هناك وظيفتين أساسيتين يضطلع بهما المخ : الوظيفة الأولى هى : الوظيفة التهيجية excitatory أما الوظيفة الثانية فهى : الوظيفة الكفية أو القمعية inhibitory وبمقتضى الوظيفة الأولى ينطلق المرء وراء انفعالاته ،

وبمقتضى الوظيفة الثانية يلجم المرء تلك الانفعالات . ومن الملاحظ أن المراهق يصير ناميًا فيما يتعلق بضبط انفعالاته ، مما يؤكد أن وظيفة المخ الكفية أو القمعية قد قويت لديه . ويلاحظ أيضًا أن مستوى الذكاء العام يشتد نموا خلال هذه الفترة كما أن القدرات الخاصة تتضح على نحو جلى . وإن دلت هذه الشواهد على شيء فإنما تدل على أن نموا متزايدًا قد فيض للمخ . وكذا فإننا نلاحظ أن المراهقة تكون متواكبة مع عمليات ضبط أخرى كانضباط البول فى أثناء النوم بالنسبة للغالبية العظمى من الأولاد الذين ظلوا مصابين بالبوال الليلى خلال طفولتهم ، مما يؤكد أن الجهاز العصبى السمبتاوى الذى يخضع لإشراف الجهاز العصبى المركزى قد اكتسب قوة ومتانة وفاعلية .

خامسا - من حيث تمتع جسم المراهق بالمناعة ضد كثير من الأمراض :

فهناك جهاز لدى المرء هو جهاز المناعة يستطيع بواسطته أن يدرأ عن الجسم الهجمات التى تشنها عليه كثير من الميكروبات والفيروسات . فبينما نجد أن المراهق الذى أصيب ببعض الأمراض كالحصبة وجديرى الماء والسعال الديكى وغير ذلك من أمراض تصيب الأطفال دون المراهقين ، يحظى - وقد انخرط فى طور المراهقة - بتحصين متين ضد تلك الأمراض . وهذا يدل على أن جهاز المناعة لديه قد اشتد عوده ، وقويت شكيمته ، وصار قادرًا على صد هجمات الأعداء من الأمراض التى تبغى القضاء عليه والفتك به .

وعلى الرغم من أن بعض ما ذكرناه فى هذه البنود الخمسة ينسحب فى الوقت نفسه بإزاء الخصائص الجسمية لدى المراهقة ، ولا تقتصر على المراهق دونها ، فإننا نعرض فيما يلى للخصائص الجسمية للمراهِقة ، وهى الخصائص التى تتميز بها وتتضح لديها :

أولا - النمو العام للجسم من الخارج :

بينما نجد أن المراهق ينمو بتركيز فى أطرافه وبخاصة عضلات ذراعيه وفخذيه ، فإن نمو المراهِقة يتمركز بصفة خاصة فى ثدييها وردفيها ، كما تتعين منطقة الحوض وتتخذ شكلا انسيابيا لم يكن متوافرًا لها خلال الطفولة . وفى هذه

المرحلة ينمو الشعر لدى المراهـقة على العانة وتحت الإبطين ، وهو ما يحدث أيضًا المراهق بالإضافة إلى ظهور اللحية والشارب لديه . أما عضلات المراهِقة فبرغم ما يطرأ عليهـا من نمو ، فـإن نموها يكون مـحدودًا ، ولا يمكن أن يقاس بما يتمـتع به لمراهق من نمو فى عضلاته . ومعظم المراهقات يملن إلى السمنة قياسًا إلى ما كان عليه حالهن فى الطفولة .

ثانيا ـ نمو الأعضاء التناسلية وحدوث الدورة الشهرية :

وفى هذه المرحلة النمائية يتأهب جسم المراهقة لأن يصير جسم امرأة مكتملة النمو . ومن أهم مـلامح ذلك الاستـعـداد الفطرى لدى المراهـقـة نمو أعـضـائهـا التناسلية وحدوث الدورة الشهرية . على أن تلك المظاهر الخارجية بمثابة ترجمة لما يقع من تغيـرات جنسيـة بدخيلة جسم المراهـقـة . فالهورمونات الأنثوية تتدفق من الغدد الجنسيـة فى الدم ، كمـا يبـدأ التبـويض فى الحـدوث . على أن الأعـضـاء التناسلية الخارجية والداخلية تظل دائبة فى النمو حتى نهاية هذه المرحلة أو قبل نهايتها حسب تكوين الجسم ، وما يعتمل فيه من عوامل وراثية .

ثالثا ـ نشاط الدورة الدموية :

ففى هذه المرحلة تنشط الدورة الدموية مما تتبدى آثاره فى احمرار الوجنتين لدى حدوث أى ارتبـاك ، أو لدى وقـوع أى انفـعـال . وكـذا فـإن دقـات القلب تزداد سرعة فى تلك الحالات التى تحس المراهقة خلالها بالحرج أو الارتباك ، ولقد يقال: إن النشـاط الزائد لدى المراهقـة فـى الدورة الدمـوية ، قـد يكون عـامـلاً من عـوامل ارتباكها ، إذ إن احـمـرار وجنتيـهـا ومـا يثـيـره ذلك الاحـمـرار من تعليـقـات الناس المحيطين بها ، لما يزيد من حساسيتها نحو أنوثتها التى تنأى بها عن الملاحظات والتفكهات والتعليقات الساخرة .

رابعا ـ ارتفاع طبقة الصوت واستمرار توتر الحبال الصوتية :

فالمرء يستطيع أن يميز فيما بين صوت الطفلة وبين صوت المراهقة . فالحبال الصوتية لا ترتخى فى مـرحلة المراهقة بالنسبـة للفتاة ، بل تظل مشدودة متوترة ، وإن حدث لهـا شىء من الارتخـاء ، فـإن ذلك لا يجعل الصـوت أجش خشنًا ، بل قد

يزيده رخامة وامتلاء مع استمراره فى ارتفاع طبقته . وثمة فروق فردية بعيدة المدى بين أفراد المراهقات فى هذا الصدد . فلقد تجد بعض المراهقات وقد اخشوشن صوتهن إلى درجة تقترب من اخشيشان صوت المراهقين ، بينما قد تجد بعض المراهقات ما تزال أصواتهن قريبة الشبه بصوت الأطفال .

خامسا ـ دقة الحواس واستعدادها للتمييز الدقيق بين المدركات الحسية المتباينة :

ففى هذه المرحلة النمائية ، تكتسب المراهقة قدرة وتفوقًا على أترابها من المراهقين فيما يتعلق بتمييز الألوان والأصوات والمشمومات والمتذوقات والملموسات . ويدل هذا على نمو حواسها الخمس ، وعملهن بمهارة فى استقبال المحسوسات وترجمتها ترجمة دقيقة بالمخ .

الخصائص الوجدانية :

علينا أولاً أن نعرض للخصائص الوجدانية التى يشترك فيها المراهق والمراهقة ، وبعد ذلك نقوم بتحديد الخصائص الوجدانية التى يختص بها المراهق دون المراهقة ، ثم بتحديد الخصائص الوجدانية التى تختص بها المراهقة دون المراهق . أما عن الخصائص المشتركة بينهما فى القطاع الوجدانى من الشخصية فإننا نستطيع أن نحددها فيما يلى :ـ

أولا ـ سرعة انثلام الشعور :

فالمراهق والمراهِقة يتسمان بالرقة الشديدة فى المشاعر والأحاسيس . فالكلمة البسيطة التى توحى بالصرامة أو حتى بعدم الملاطفة ، يمكن أن تسبب لهما ألمًا نفسيا شديدًا ، فيتعكر المزاج وتسود الدنيا أمام أنظارهما ويرتميان فى أحضان اليأس والقنوط . وكثيرًا ما نسمع عن انتحار أو عن محاولة انتحار مراهق أو مراهِقة لأسباب تبدو فى أنظار الكبار تافهة . ويزيد من شدة وَقْع الكلمة الجارحة على قلب المراهق أو المراهِقة وجود أشخاص آخرين بالموقف . ولقد ينثلم شعور المراهق أو المراهِقة لمجرد توجيه النظر إليه ، فَيَنْتَمُّ من بعض النظرات ، أو من بعض الإشارات ، ما ينم عن احتقاره أو الاستهزاء به أو التهوين من شأنه .

ثانيا - سرعة الانفعال وشدته :

إذ لا يعدو الشعور بانثلام الوجدان النطاق الداخلى للمراهق أو المراهِقة ، ولكنه كثير من الأحيان يستحيل إلى انفعال سريع التدفق وشديد الطغيان . ونحن هنا لا نقتصر فى الحديث عن انفعالات المراهقين من الجنسين على الانفعالات الغضبية ، بل نتوسع لنضم فى رحاب مفهومنا الذى نعنيه جميع أنواع الانفعالات . فكما أن المراهقين لا يعرفون حدودًا تقف عندها انفعالاتهم الغضبية ، فإنهم لا يعرفون أيضًا حدودًا يقفون عندها بإزاء انفعالاتهم السارة . فلقد ينخرط المراهق و المراهِقة فى الضحك لأتفه الأسباب ، أو حتى بلا أسباب ظاهرة لمن يحيطون بهما ، وقد لا يستطيع المراهق أو المراهِقة إلجام انفعال الضحك بالمواقف التى لا يصلح فيها الضحك كالمآتم والمواقف الحرجة أو المتوترة . ولقد تجد مراهقًا أو مراهقة يتقلب فى انفعال بالغ بين البكاء الشديد والضحك الغامر ، وقد مات الأب أو ماتت الأم ، وما تزال الجثة مسجاة على السرير . وكذا ينخرط فى إطار الانفعالات التى قد تأخذ بالمراهقين كل مأخذ الانفعالاتُ الجنسية ، فثمة نسبة كبيرة منهم ينكبون انكبابًا على ممارسة الاستمناء بغير أن يتسنى لهم إلجام أنفسهم أو التخفف من وطأة الانفعال الجنسى .

ثالثا - التمركز حول الذات :

فالمراهقون من الجنسين يترجمون الأحداث ، بل والكون كله فى ضوء مشاعرهم الشخصية . فمشاعرهم تتبأور حول ذواتهم بحيث يكون اتصالهم بالعالم الخارجى من خلال أنفسهم وعبر مشاعرهم الشخصية . من هنا فإن أحكامهم لا تكاد تكون موضوعية ، بل إنها تتلون بلون مشاعرهم الشخصية . ولذا فإن أحكامهم تكون متفائلة عندما يسود الصفو أفقهم النفسى ، بينما تأتى متشائمة إذا ما تعكر صفوهم ، وخبت سعادتهم ، واكفهرت الدنيا فى وجوههم . ولا يقتصر هذا الموقف العاطفى على نظرتهم إلى الأشياء والعلاقات والأفكار والقيم ، بل إنها تمتد لتشمل الوالدين والإخوة والأخوات والمدرسين والمدرسات ونحوهم .

رابعا ـ القابلية الشديدة للإيحاء :

يتصف المراهقون من الجنسين بالقابلية الشديدة للإيحاء . فهم مستعدون للاقتناع بأى شىء مادام يساق لهم فى قالب يرضى مشاعرهم و أمزجتهم . وعلى العكس أيضًا فإنهم يكونون على استعداد لنبذ أى شىء يناهض مشاعرهم أو ينافى أمزجتهم . ولذا فإنك تجد المراهقين من الجنسين لا يعرفون فى الغالب التوسط فى المسائل الدينية أو المسائل السياسية أو بصدد المبادئ الأخلاقية . فهم إما يندفعون مع التيار ، وإما أنهم يقاومون التيار . وكثيرًا ما يقع المراهقون فريسة للدجالين أو مثيرى الشغب أو العصابات ، حيث يكون الواحد منهم على استعداد كامل للتضحية حتى بحياته فى سبيل إرضاء الزعيم الذى استحوذ على مشاعره ، وأسر قلبه ، وأخضعه لإيحاءاته الخيرة أو الشريرة حسب نوعية الزعيم الذى يستولى على مقاليد حياته .

خامسًا ـ التقلب الوجدانى :

فالمراهقون يتقلّبون على حالات مزاجية متضاربة دون أن تكون هناك أسباب وجيهة ، أو حتى بغير أن تكون هناك أية أسباب لحدوث تلك التقلبات المزاجية . ولعلنا نزعم أن الاتزان الهورمونى بين الهورمونات المتباينة بالجسم، لا يكون مكفولاً بصفة مستمرة للمراهقين من الجنسين ومن ثم فإن الحالات المزاجية تتأرجح بين الاتزان الوجدانى وبين التقلب الوجدانى . ولعلنا نزعم أن ما يبدو من تقلب وجدانى لدى المراهقين ، لا يشير إلى نقص فى التربية أو إلى تدهور فى الأخلاق أو افتقار إلى القيم ، بل يشير إلى حالة طبيعية أو خصيصة من خصائص مرحلة المراهقة .

وبعد أن عرضنا لهذه الخصائص الوجدانية الخمس التى يشترك فيها المراهقون من الجنسين ، فإننا نعرض لأهم الخصائص التى يتصف بها المراهقون الذكور دون الإناث فيما يتعلق بالقطاع الوجدانى من الشخصية . وهى على النحو التالى :

أولا - تتسم الحياة الوجدانية للمراهق بالحصول على أكبر قدر من اللذة بصدد الموضوعات التى يمكن أن يجنى منها لذة ، ولو فى نطاقه النفسى الداخلى . فهو فى أخيلته الجنسية ينظر بعين خياله إلى الشخصيات المشتهاة باعتبار أنها موضوعات غير ثابتة أو حتى غير متعينة . فالمرأة التى يشتهيها هى مجرد موضوع جنسى يجتلب منه اللذة وليس رفيق عمر يَخْلد إليه حتى الممات . وبتعبير آخر فإن المراهق لا يعرف الاستمرارية فى الحب ، بل يعرف الوقتية والعلاقة العابرة كالنحلة التى تمتص رحيقًا من هنا ورحيقًا من هناك بغير أن يستقر حالها على زهرة واحدة تكرس نفسها لها ، وتقتصر فى امتصاص الرحيق عليها .

ثانيا - وهذا يرتبط بالواقع بخصيصة أخرى للحياة الوجدانية للمراهق هى الأنانية. فالمراهق لا يكون مستعدا لتقديم التضحيات فى سبيل حبه ، بل هو يريد أن يقدَّم إليه الحب على طبق بَنُّور كما يقال . وهذه الأنانية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالخصيصة السابقة ، وهى عدم الاتسام بالاستمرارية فى الحب .

ثالثا - وأكثر من هذا فإن الحب عند المراهق كثيرًا ما يرتبط بالعدوان والاستيلاء. من هنا فإننا نجد أن نسبة عالية من المراهقين الذكور يتسمون بالسادية ، أعنى تعذيب الحبيب ، سواء كان التعذيب بالإيذاء الجسمى المباشر ، أم بثلم المشاعر وامتهان الكرامة . وحتى إذا ما عملت الحضارة على تقليم أظافر المراهقين ، وحملهم على احترام مشاعر المراهقات ، فإنما يكون ذلك بقصد تهذيب الجبلة التى جبلوا عليها ، وتطويعهم لمتطلبات الحضارة بما تحمله من قيم وتقاليد اجتماعية .

رابعا - وعندما تملأ البغضاء قلب المراهق ، فإنه لا يعرف سوى الإفناء والقضاء على الخصم قضاء مبرمًا ، وإن كان ذلك الإفناء وهذا القضاء المبرم لا يعدو نطاق مخيلة المراهق . ولا يكاد أحد من معارف أو أصدقاء المراهق ينجو من لحظة غيظ منه تمنى له خلالها الموت بما فى ذلك إخوته وأخواته وأحيانًا والداه. ولذا فإنك تلاحظ كلف المراهقين بحمل الأسلحة إذا كان ذلك مما يسمح به من جانب المجتمع، وكذا إقبالهم على مشاهدة أفلام العنف وأفلام الحروب ، بما تتضمنه من تعذيب وقهر وتشويه وإبادة .

خامسا ـ يتعشق المراهق القوة وكل ما يؤدى إلى القوة . من هنا فإن المثل العليا التى يترسمها المراهقون تكون خاصة بأشخاص أقوياء . ولقد تكون القوة المرجوَّة قوة عضلية وقد تكون قوة دينية وقد تكون قوة سياسية ... إلخ .

أما الخصائص الوجدانية التى تتصف بها المراهقات دون المراهقين فإنها تتلخص فيما يلى : ـ

أولاً ـ تتصف الحياة الوجدانية للمراهقات بأنها حياة عطاء وبذل وتضحية . وحتى إذا ما قيل : إن المرأة أنانية فى حبها ، فإن تلك الأنانية إنما تعزى إلى أسباب حضارية أو نتيجة خوف المرأة على مستقبلها . ولكن إذا ما نظرنا إلى طبيعة النساء عمومًا ـ والمراهقات بصفة خاصة ـ فإننا نجد أن تلك الطبيعة الوجدانية تتصف بالعطاء والبذل والتضحية .

ثانيا ـ عندما يشتد البغض بقلب المراهقة ، فإنها فى الأغلب لا تهاجم خصمها بيدها ، بل بيد غيرها . فهى تعمد إلى التحريض وإثارة مشاعر البغضاء ضد خصمها بغير أن تشترك هى بصراحة فى الإساءة أو العدوان . ولذا فإن القيل والقال يكثر بين المراهقات لإثارة المشاعر ضد من يكرهنه .

ثالثا ـ تتصف الحياة الوجدانية للمراهقات بأنها حياة جذب للانتباه والتفاف للمشاعر حولهن . فإذا ما قمت بتصفح وجدان المراهقة ، فإنك سوف تجد أنها تنحو إلى القيام بدور المغنطيس بصدد نشارة الحديد . فكما أن المغنطيس يجذب نشارة الحديد إليه بينما يكون هو بذاته ثابتًا لا يتحرك ، كذا فإن المراهقات يفعلن الشىء نفسه بإزاء الآخرين . وسواء كان الجذب نتيجة الحب أو نتيجة الكيد ، فإنه فى نظر المراهقة جذب على أية حال . وبتعبير آخر : فإن ما يهم المراهقة هو الالتفات إليها والالتفاف حولها ، والاستجابة لما تقوم بالتخطيط له وترسمه فى ذهنها وإحالته إلى واقع محسوس .

رابعا ـ تتصف الحياة الوجدانية للمراهقة بالاستمرارية والثبات النسبى . فهى وإن كانت متصفة بالتقلب بصفة عامة ، فإنها تتصف بالثبات النسبى وجدانيا إذا ما قورنت بالحياة الوجدانية للمراهق .

الخصائص العقلية :

على الرغم من أن الخصائص العقلية للمراهق والمراهقة مشتركة فى بعض الجوانب فإن هناك مجموعة من الخصائص العقلية التى يمتاز بها المراهقون عن المراهقات ، كما أن هناك خصائص عقلية تمتاز بها المراهقات عن المراهقين . وعلينا أن نبدأ بتلك الخصائص العقلية التى يشترك فيها المراهقون والمراهقات على السواء على النحو التالى :

أولا ـ النمو العقلى الملحوظ :

يتضح لكل من يتتبع نمو الناشئة ، أن هناك نموا عقليا متسارعًا لدى المراهقين والمراهقات ، بعد أن كان نموا عقليا وئيدا . والواقع أن هذه السرعة فى النمو العقلى لدى المراهقين من الجنسين ، إنما تعود إلى السرعة التى يتمتع بها المخ فى النمو والتفتّق . وتتبدى نتائج ذلك النمو العقلى الجديد فى هذه المرحلة فيما يقبل عليه المراهقون والمراهقات من تطلّع شديد للمعرفة ، ومن إقبال نهم على القراءة إذا كان قد قيض لهم معرفة القراءة .

ثانيا ـ نقد أفكار الآخرين :

ومن شواهد الخصائص العقلية فى هذه المرحلة بالنسبة للجنسين جميعًا ، توجيه النقد إلى ما يذهب إليه الآخرون ، أو ما يعتقدونه من معتقدات ، أو ما يعبرون عنه من آراء . والواقع أن الاتجاه نحو نقد الآخرين يعد علامة جديدة من علامات التفتح الذهنى حتى وإن كانت الأسلحة النقدية التى يستخدمها المراهقون من الجنسين كليلة ضعيفة وبرغم أن ما يوجهونه من نقد يكون فجا غير ناضج . ولعلنا نعزو أيضًا تلك النزعة النقدية التى تتبدى لدى المراهقين من الجنسين إلى ما يقع من تغيرات بيولوجية فى قشرة المخ ، أو إلى ما يتفتق عنه المخ لديهم جميعًا من وظائف جديدة من بينها الوظيفة النقدية ، بعد أن كانت الوظيفة الرئيسة للمخ خلال الطفولة وظيفة تقبّلية فى معظمها .

ثالثا ـ نقد الذات :

ومن التطورات الجديدة التى يختص بها المراهقون من الجنسين فى النشاط العقلى ، توجيه النقد إلى أنفسهم . فالمراهق والمراهقة يراجعان ما صدر عنهما من

كلام وما اضطلعا به من تصرفات . ولقد تصل تلك المراجعة إلى حد القسوة على الذات مع تأنيب للضمير وتوتر نفسى شديد . ولا شك أن نقد الذات يعتبر وظيفة تربوية نفسية يقوم المرء عن طريقها بتعديل فكره وتصرفاته ، فيقلع عن كثير من أخطائه بغير أن يكون بحاجة إلى من يقوم بتوجيهه والأخذ بيده كما كان حاله خلال الطفولة . وهنا نجد أن المراهقين يضمون الذات إلى ذوات الآخرين ، بحيث يخضعون ذواتهم كما لو أنها موضوعات خارجية ، ويوجهون إليها سهام النقد كما يفعلون بإزاء الآخرين الذين لا ينجون من سهام نقدهم التى يوجهونها إليهم .

رابعا - الشغف بالجديد والنُبُو عن القديم :

ومن الخصائص العقلية التى تسم الحياة الذهنية للمراهقين من الجنسين الانبهار بالجديد واحتقار القديم ونبذه وتجنبه أو القضاء عليه وإبادته . فالجديد لدى المراهقين هو الخليق بالتقدير . أما القديم فإنه رمز للركود والبلى ، ولذا يجب عدم أخذه بعين الاعتبار . ولذا فإنك تجد أن المراهقين يسعون وراء المستحدثات الجديدة يهفون إليها ويتعشقونها . وفى الأغلب يكون جريهم وتمسكهم بالمستحدثات الجديدة بمثابة نزعة ذهنية مسيطرة عليهم . فهم يجدون أنهم كلفون بالجديد لا لشىء إلا لأنه جديد ، كما أنهم يجدون أنفسهم عازفين عن القديم لا لشىء إلا لأنه قديم

خامسا - جوب الآفاق المعرفية العديدة :

ومن خصائص المراهقين والمراهقات حبهم الشديد للاطلاع على المعارف المتباينة أينما تكون . فهم يتقلبون على اهتمامات كثيرة متباينة . وقد يدفع بهم شغفهم الشديد بالوقوف على المعارف الجديدة إلى التنقل والترحال وإقامة علاقات عديدة . وأكثر من هذا فإن الكثير من المراهقين يهفون إلى التعرف على أصحاب الفكر والمشاهير سعيًا لمعرفة أسرار نبوغهم أو شهرتهم . وفى هذه المرحلة يتعلق المراهقون والمراهقات بالمدرسين والمدرسات الذين يجدون لديهم المعرفة المتجددة والتفكير الأصيل والمنهج المتميز . ولا نغالى إذا ما قلنا : إن هذه المرحلة تعتبر فرصة المرء الرئيسية ؛ لتكوين خلية ثقافية عامة تشكّل قاعدة ينبنى عليها التخصص لدى الانخراط فى مرحلة الشباب .

وبعد أن عرضنا لهذه الخصائص العقلية العامة التى يشترك فيها المراهقون من الجنسين ، فإننا نعرض فيما يلى للخصائص العقلية التى يتميز بها المراهقون الذكور دون الإناث على النحو التالى :

اولا ـ المجادلات والمناظرات :

لا يكتفى المراهقون من الذكور بنقد الآخرين على انفراد وفى ركن قصى بعيدًا عن الأنظار ، بل إنهم يسعون للنقد فى حضرة الآخرين . فهم يرغبون فى وجود مسرح يساجلون عليه غيرهم ، حيث يبرهنون لجميع المشاهدين والسامعين على تفوقهم العقلى ، وقدرتهم على دحض الحجج المناهضة ، فيكشفون عن المآخذ والتناقضات الذهنية التى تردّى فيها الآخرون الذين يقومون بمجادلتهم ومهاجمة أفكارهم ومعتقداتهم ومذاهبهم . وكثيرًا ما تجد المراهق فى خلوته وقد أخذ يُعد نفسه للنزال فى معركة الجدل . وحتى بالنسبة لأوساط العامة ، فإنك تجد المراهقين يعكفون على أنفسهم يُعِدون أذهانهم لحلبة الجدل بينهم وبين الآخرين بصدد الموضوعات والاهتمامات المشتركة بينهم وبين خصومهم ، حتى ولو كانت تلك الموضوعات فجة أو خالية من المضمون المعرفى المكين . وكثيرًا ما تنقلب المناظرات إلى معارك وتشابك بالأيدى ، وذلك إذا ما احتدم النقاش ، ولم يتم تغلّب فريق من المتناظرين على الفريق الآخر .

ثانيا ـ كتابة الرسائل :

وفى هذه المرحلة النمائية تهفو قلوب المراهقين إلى كتابة الرسائل ، إذا كانوا ممن يعرفون القراءة والكتابة . وقصة الرسائل الغرامية التى يرسلها المراهقون إلى المراهقات مشهورة . وحتى عندما تكون التقاليد الاجتماعية صارمة بصدد تلك الرسائل باعتبارها مفسدة للأخلاق ، فإن المراهقين ينتحون إلى الخيال يُحلّونه محل الواقع ، فيكتبون رسائلهم الغرامية إلى فتيات مجهولات الهوية ، أو قد ينتحون إلى الاستخفاء ، فيوجهون الرسائل إلى الفتيات وقد أحلوا أسماء مستعارة أو أسماء ذكور محل أسمائهن . ولقد ينحو بعض المراهقين إلى الشعر أو إلى القصة ، ويكون لما يقومون بكتابته مكانة سامية فى أنظارهم تقترب من التقديس ، فيحتفظون به

فى سرية تامة ، ولا يكشفون عنه الستار إلا بعد أن يضربوا فى معارج الرجولة ، فينظرون إلى تلك الأعمال بنظرة موضوعية وقد انتزعت عنها قشرة الذاتية التى كانت تغلفها .

ثالثا ـ الزعامة الذهنية والشللية ذات الاتجاه الذهنى المتجانس :

وفى هذه المرحلة النمائية تجد المراهقين من الذكور وقد أخذوا يحاولون إثبات وجودهم الذهنى فى قلوب الآخرين من حولهم وبخاصة فى أقرانهم وقريناتهم المراهقين . فتجد أن الواحد منهم يتسلح بالأفكار التى يبرهن بها على أنه خليق بأن يكون زعيمًا فكريا أو قائدًا صاحب دعوة أو اتجاه جديد فى الحياة . والمراهق يُضْفى على نفسه بخياله الخصب جميع الخصائص التى تؤهله لأن يحتل مكان الصدارة بين من يحيطون به بمن فيهم الكبار أيضًا . فتجده معتدا بأفكاره وبما يرتئيه ، مسفهًا كل فكر آخر ، بل ويكون مستعدا للمجادلة والنزال ، الأمر الذى يثير ضجر الكبار منه وحملهم على صده وتوبيخه ومحاولة وقفه عند حدوده متهمينه بالتعدى على الكبار ، والتذرع بوسائل غير لائقة به . وسواء اتخذ المراهق موقع الصدارة بين أقرانه وقريناته ، أو اتخذ مكانة التابع ، فإنه على كل حال يجد فى الشلة التي ينخرط فيها قوة له ، وتسلحًا ضد الآخرين الذين يقعون خارج نطاق تلك الشلة.

أما بالنسبة للخصائص العقلية التى تتميز بها المراهِقة ، فإننا نستطيع أن نحددها فى النقاط التالية :

أولا ـ أحلام اليقظة :

على الرغم من أن المراهقين الذكور ينخرطون أيضًا فى أحلام اليقظة ، فإن هذه الخصيصة تعتبر من العلامات المميزة للمراهقات ؛ ذلك أن الحواجز التى تقف حائلاً دون تعبير المراهقة عما يدور بخلدها من عواطف وأفكار تجعلها ترتمى فى أحضان الأخيلة تشبع من خلالها نهمها الذهنى . فبينما يجد المراهق متنفسًا له فى الخارج ، فإن المراهقة تجد لها متنفسًا بدخيلتها . فعالمها الداخلى الخاص بها يشكل لها ملاذًا تلجأ إليه تفرغ فيه همومها ، وتحيك فيه أفكارها .

ثانيا ـ الولع بالقصص الغرامية الرومانسية :

فبينما نجد أن المراهق يُولى اهتمامه بقصص المغامرات والحروب والاغتيالات ونحوها بصفة أساسية ، فإن المراهقة تهتم بالقصص الرومانسية التى تتقمص إحدى شخصياتها ، وتجعل من نفسها محور الأحداث التى وقعت لها . وكذا فإن المراهقة تجد فى بعض الأبطال من الرجال الموجودين بتلك القصص مثلاً عليا تتمنى الارتباط بمن يشبه خصائصهم وصفاتهم الأخلاقية .

ثالثا ـ الميل إلى قراءة التاريخ وبخاصة تاريخ الشخصيات :

وبينما نجد أن المراهق ينحو إلى الفلسفة والمنطق المتجرد عن الواقع الحى بصفة أساسية ، فإن المراهقة تميل إلى الواقع الحى أو الواقع الذى كان متلبِّسًا بالحياة ذات يوم . والقصص التاريخية التى تحبها المراهقة وتتعشقها ، هى تلك القصص المتعلقة بالأشخاص وبخاصة ما كان دائرًا حول ظروفهم وأحوالهم الشخصية ، وما ارتبطوا به من علاقات . ونستطيع أن نقرر بصفة عامة أن عقلية المراهقة هى عقلية سردية . فهى قادرة على استيعاب ما تقوم بقراءته بنفس التسلسل الذى ورد بالكتاب . أما المراهق فإنه بصفة عامة ينحو إلى اشتقاق مقاطع عرضية لما يقوم بقراءته . ولا تميل المراهقة إلى تجريد المواد التى تقع عليها من مقوماتها التى سيقت فيها ، بينما ينحو المراهق إلى التجريد والتعميم واستخلاص المبادئ واستنتاج القوانين والقواعد الجديدة .

الخصائص اللغوية :

هناك مجموعة من الخصائص اللغوية المشتركة فيما بين المراهقين والمراهقات ، كما أن هناك خصائص لغوية يختص بها المراهقون دون المراهقات ، وخصائص لغوية تختص بها المراهقات دون المراهقين . ولنبدأ بالخصائص اللغوية المشتركة فيما بين المراهقين والمراهقات على النحو التالى :

أولا ـ زيادة الحصيلة اللغوية زيادة ملحوظة :

فالواقع أن الزيادة الشديدة فى نمو المخ ، وما يتبعه من نمو عقلى سريع ، يتواكب مع الزيادة فى الحصيلة اللغوية ، سواء بالنسبة للمراهقين

أو بالنسبة للمراهقات . وتتأتى تلك الزيادة نتيجة مخالطة الآخرين من جهة ، ونتيجة ما يتسنى للمراهق أو للمراهِقة من قراءة بالصحف والمجلات والكتب من جهة ثانية ، وما يتم لهم مشاهدته من أفلام ، وما يسمعونه من أحاديث مبثوثة بالتلفزيون ومذاعة من جهة ثالثة . ولا شك أن المراهقين من الجنسين اليوم أكثر حظا من مراهقى الأجيال السابقة ، وذلك بفضل الاتصالات المكثفة عن طريق وسائل الإعلام التى غزت البيوت فى الحضر والريف على السواء ، وقد حطمت الحواجز الثقافية التى كانت قائمة بين المدينة والقرية عَبْر القرون الماضية .

ثانيا - الاستعداد والرغبة الشديدة فى تعلم لغات أجنبية :

فالمراهقون من الجنسين يجدون لديهم رغبة شديدة واستعدادًا ممتازًا لتعلم لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية . وأولئك الذين فاتهم تعلم لغة أجنبية خلال الطفولة، يجدون أنهم قد خسروا خسارة كبيرة ، ولكن ما تزال الفرصة سانحة أمامهم لتعويض ما فاتهم من فرصة تعلم إحدى اللغات الأجنبية . والواقع أن عدد الذين يبدأون فى تعلم اللغات الأجنبية خلال المراهقة من الجنسين لا يستهان به ، ويتمنى المراهق والمراهقة لو استطاعا أن يتحدثا بأكثر من لغة أجنبية مع أصحابها ، حتى تتسع معرفتهما بأصحاب تلك اللغات الأجنبية ، وحتى يقفا على ما لديهم من ثقافة مباينة لثقافة مواطنيهم .

ثالثا - إبداء الإعجاب الشديد بالفصحاء والبلغاء والأدباء :

والمراهقون من الجنسين يجلُّون أولئك الذين استطاعوا امتلاك ناصية اللغة ، فيعبِّرون عن مشاعرهم وأفكارهم بسلاسة وقدرة . فإذا ما تسنى للواحد منهم مقابلة أحد المشاهير من الكتاب أو الأدباء ، فإنه يبدى له إعجابًا قد يصل إلى ما يقرب من التقديس ؛ ذلك أن اللغة فى أنظار المراهقين من الجنسين ، تحتل مكانة لا تَعدِلها مكانة أخرى . فهم يعتقدون أن صاحب اللسان الفصيح ، أو صاحب القلم البليغ ، هو فى الوقت نفسه صاحب حكمة وفطنة ، بل هو شخص لا تلحق به أية نقيصة من أى نوع . فهو يحتل فى أنظارهم مرتبة قريبة من مرتبة الأنبياء

والقديسين . وشاهد ذلك أنهم إذا ما حظوا بلقائه ، فإنهم يوجّهون إليه الأسئلة فيما يعن لهم من أمور ، مهما كانت ، ويتوقعون منه أن يكون ملما بكل شىء ما دام قد استحوذ على ناصية التعبير والإبانة .

رابعا ـ *التصحيح الكلامى ونبذ كلام الطفولة* :

فالمراهقون من الجنسين يحاولون جاهدين أن يتخلّصوا من الصفات التى كانت تتصف بها طرائق كلامهم خلال طفولتهم . فهم وقد انخرطوا فى مرحلة نمو جديدة ذات خصائص جديدة ، فإنهم يودون مواكبة هذه المرحلة الجديدة بما يلائمها من وسائل تعبيرية ، سواء كانت باللسان أو بالحركة أو بالقلم . وحتى بالنسبة لطريقة الكتابة ذاتها ، فإن المراهقين يحاولون جاهدين الإقلاع عن طريقة الكتابة التى كانوا يتقيَّدون بها خلال طفولتهم ، والكتابة بالطريقة التى يكتب بها الكبار ، فلا يلتزمون بالقيود التى كانوا يكبَّلون بها فى كتابتهم فى أثناء طفولتهم .

خامسا ـ *اللوازم الكلامية وشيوعها* :

ففى هذه المرحلة نجد أن المراهق أو المراهقة قد يصابان فى الغالب ببعض اللوازم اللغوية مثل كلمة « مثلاً » وكلمة « يعنى » ، وذلك يرجع إلى التدفق الكلامى ، وعدم ملاحقة حصيلتهم اللغوية لما تزخر به أذهانهم من معان أو خواطر يرغبون فى التعبير عنها . بيد أن كثيرًا من المراهقين من الجنسين يكتشفون إصابتهم بتلك اللوازم الكلامية فيحاولون التخلص منها ، ويستهدون بنصائح من يثقون فى نصائحهم بهذا الصدد . فإذا ما خصَّب المراهق أو المراهِقة لغة كلامه بالمفردات والعبارات الكلامية الجديدة ، فإنه يستطيع بالتالى أن يسقط تلك اللوازم الكلامية من لغة حديثه مع الآخرين .

وبعد أن عرضنا لهذه الخصائص الخمس التى يشترك فيها المراهقون والمراهقات بصدد كلامهم وكتابتهم ، وفيما يقومون بقراءته أو الاستماع إليه ، فإننا نستعرض الخصائص اللغوية التى يتميز بها المراهقون دون المراهقات على النحو التالى : ـ

أولا ـ الكلف الشديد بالمصطلحات الفلسفية والسيكلوجية والسياسية :

فالمراهق يحب أن يزخرف لغة حديثه ، وما يقوم بكتابته بالعديد من المصطلحات ذات الرنين الخاص فى أذنيه ، وبخاصة تلك المصطلحات التى تلفت الانتباه إليه ، والتى يعتقد أنه إذا ما استخدمها فى أثناء حديثه ، فإن الرقاب تشرئب إليه ، ويشار إليه بالبنان ، ويعتبر من مشاهير المفكرين . فتجد المراهق يستخدم ألفاظًا مثل : « الوجودية » و « الاشتراكية » و « الديموقراطية » ، وما إلى ذلك من ألفاظ قد لا يستبين مضمونها بوضوح فى ذهنه ، ولكنه يحشرها حشرًا فى لغة كلامه . ولكن هذا يعتبر مدخلاً لا غنى عنه ؛ لكى يقف فيما بعد على المعانى الصحيحة لما يسوقه من ألفاظ خلال كلامه أو كتابته .

ثانيا ـ تصيّد أخطاء الآخرين الكلامية وبخاصة الكبار :

فالمراهق يجد لذة لا تعدلها لذة فى تصيد أخطاء الآخرين الكلامية ، وبخاصة الوالدين والمدرسين . ذلك أنه بذلك يكون قد أثبت لنفسه وللآخرين أنه عليم ببواطن اللغة ، وأنه متفوّق فى استخدام أداة التعبير ، وأنه يبز أقرانه ، بل والكبار من حوله فى هذا الصدد . والواقع أن هذا التصيُّد للأخطاء وإن كان يُحْرج الكبار ، فإنه يؤدى بطريق غير مباشر إلى تثبيت اللغة الصائبة فى ذهن المراهق ، كما أنه ينبّه الغافلين إلى الأخطاء اللغوية التى يقعون فيها .

ثالثا ـ اللغة أداة تعبير عن فكر وليست مجرد موسيقى كلامية :

فى هذه المرحلة ، نجد أن المراهق قد صار ينظر إلى اللغة بمنظار آخر غير المنظار الذى كان ينظر به إليها فى أثناء طفولته . لقد كانت اللغة فى الطفولة بمثابة أنغام مرصوصة ، وموسيقى ينقلها نقلاً عن كتب القراءة وغيرها . ولكنها الآن استحالت إلى أداة جديدة . إنه يكتشف أن اللغة يمكن أن تستحيل إلى عبارات أكثر رمزية وتجردًا . فهناك لغة الجبر ولغة المعادلات الكيميائية . وبتعبير آخر : فإن اللغة كلما كانت أكثر انضغاطًا وتركيزًا ؛ كانت أكثر فائدة وأعظم قيمة .

رابعا ـ تكوين مكتبة خاصة :

وفى هذه المرحلة يجد المراهق نفسه راغبًا فى الاستقلال بمكتبة خاصة به يمتلكها وينشئها إنشاء من مصروفه الخاص . ولقد يحتفظ فى تلك المكتبة بالكتب التى تركت فيه أثرًا فى طفولته . ولكنه لا يحتفظ بالكتب المدرسية القديمة التى درسها بالمرحلة الابتدائية . ومن أهم الكتب التى يقتنيها المراهق بمكتبته القصص وبخاصة قصص المغامرات التى تبث فيه روح الشجاعة والمغامرة والتضحية . وهو فى تأثره ببعض تلك القصص يبدأ فى إعادة صياغتها بقلمه من جديد ، كما أنه قد يسترسل بخياله فى أحداثها ، ويحيا بعض شخصياتها .

خامسا ـ التلاعب بالألفاظ :

ويحلو للمراهق أن يكتشف ما بين الألفاظ من تجانس أو تشابه أو تنافر ، فيأخذ فى العبث مع أقرانه وقريناته بالألفاظ ، فقد يقلب لفظًا، أو يضع لفظًا فى غير موضعه ، أو قد يستخدم التورية والكناية فى كلامه مع أصدقائه ، كما أنه قد يسمى خصومه بمسميات مبتكرة ، أو بأسماء شخصيات مضحكة مثل شخصية جحا والشاطر حسن .

أما عن الخصائص اللغوية التى تختص بها المراهقات دون المراهقين فإننا نلخصها فيما يلى :ـ

أولا ـ المراهقة لا تحب التقعر فى الكلام :

فهى تحب اللغة البسيطة السهلة ، وتنفر من الألفاظ الغريبة أو من التراكيب اللغوية الشاذة . ولذا فإنها تحب أن تقرأ الروايات السهلة والشعر الحديث السهل الذى لا ينطوى على ألفاظ غريبة .

ثانيا ـ لا تحب المراهقة الخطابة :

ولكنها تحب التحدث إلى زميلاتها وصديقاتها ، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور الخاصة بالإناث . وإذا أحبت المراهقة مدرسًا أو مدرسة ، فإنها لا تكف عن التحدث عنه أو عنها مع زميلاتها .

ثالثا ـ المراهقة تحب الأغانى الخفيفة :

ولكنها لا تحب أغانى القصائد . وهى تحس أنها هى المقصودة بالأغنية التى تحمل حبا يشدو بها أحد المطربين الشبان ، كما أنها كثيرًا ما تتقمص شخصية الممثلة المطربة كشادية وليلى مراد فى أفلامهما الشبابية .

رابعا ـ لا تحب المراهقة البحث فى القواميس :

ذلك أن اللغة لديها ليست بحاجة إلى البحث فى القواميس ، إنها تتذوقها بأذنيها ، ويعنيها من اللغة أنها أداة تتأثر بها وتؤثر بها فى سلوك الآخرين .

خامسا ـ المراهقة لا تحب قصص المغامرات :

بل تحب القصص العاطفية الرومانسية ، وتحب فيها البطل الذى لا يتورط بسرعة فى الحب ، بل تشقى البطلة فى حبه ، بينما هو لا يقدِّم إليها إلا التفاتة عابرة إلى أن ينمو حبها فى قلبه فيحبها بكل جوارحه .

الخصائص الاجتماعية :

هناك مجموعة من الخصائص الاجتماعية المشتركة فيما بين المراهقين والمراهقات نستطيع أن نحددها فيما يلى :

أولا ـ الفطام النفسى عن الأسرة :

على الرغم من عجز المراهقين من الجنسين عن إعالة أنفسهم والاستقلال اقتصاديا عن الأسرة ، فإنهم ينزعون إلى الاستقلال نفسيا ، وذلك بنقل مجال وجدانهم من مجتمع الأسرة إلى مجتمع الأقران ، أو قل : من مجتمع الأسرة إلى العالم الخارجى . ولعلنا نقول : إن مرحلة المراهقة ، هى مرحلة الفطام الثانية . فالمرحلة الأولى هى : مرحلة الفطام البيولوجى عن ثدى الأم فى الطفولة الأولى . وفى هذه المرحلة يتم انفطام المراهق والمراهِقة وجدانيا فيحرزان مناعة وجدانية ويتمتعان باستقلال نفسى عن عالم الأسرة . ولقد يلتبس هذا الفطام العاطفى ببعض ملامح العدوانية أو الجفوة ، إذ يحس الوالدان بأن الابن المراهق أو الابنة المراهقة لم يعودا يتعلقان بهما كما كان حالهما قبلا خلال الطفولة . بيد أن الواقع

أن مرحلة المراهقة تتسم بالفطام الوجدانى حيث لا يظل المراهق والمراهقة مرتمين فى حضنى الوالدين ، بل يوجهان اهتمامهما وعواطفهما بتوزيع جديد على نطاقات وأشخاص متباينين ، وتصير لهما اهتمامات كثيرة جديدة تستحوذ على قلبيهما .

ثانيا - الاهتمام بالجنس الآخر :

فالجنس المقابل لجنس المراهق أو المراهقة يصير مركز الاهتمام بالنسبة لهما . بيد أن الاهتمام الشديد بالجنس الآخر قد يعبر عنه بوسائل عدوانية دفاعية . فلقد يبدى المراهقون الاحتقار للمراهقات كما قد تبدى المراهقات الاحتقار للمراهقين . وكذا فإن كل فريق يمكن أن يغيظ الفريق الآخر ويهون من شأنه . وكذا فإن التنافس بين فريق المراهقين وفريق المراهقات قد يشتد فى المجالات المشتركة كالمجالات الرياضية والعلمية ، وفى مجال الاستحواذ بالسلطة والزعامة فى إطار المجموعة المشتركة التى تضم الفريقين . ولكن مثل هذه الظواهر السلوكية لا تنهض دليلاً على العداء المستحكم ، بل تدل على الاهتمام البالغ بشئون الفريق الآخر . ومن هذا الاهتمام يبزغ الحب فى مرحلة الشباب التى تتلو هذه المرحلة .

ثالثا - الشغف بالتعاون والعمل فى فريق :

فالواقع أن مرحلة المراهقة تعتبر أولى مراحل تكوين الشخصية الاجتماعية ؛ ذلك أن المراهقين من الجنسين يبدون استعدادًا ممتازًا للتعاون والتآزر والتضحية من أجل المجموعة . وواضح أن هذا الموقف التعاونى كان مفتقدًا فى الطفولة ؛ ذلك أن الطفولة تتسم بالأنانية والاهتمام بالمتعة الشخصية . أما المراهقة فإنها مرحلة العمل الجماعى ، وهى أيضًا المرحلة التى تتوثق خلالها الصداقات والارتباطات . فالمراهق يرى نفسه وأهميته من خلال المجموعات التى ينخرط فيها ويتعاون معها . وكذا يكون حال المراهقة من حيث اكتشاف مواهبها وأهميتها ومزاياها من خلال تعاملها مع الآخرين ، ومن حيث ما تحظى به من اهتمامهم وإعجابهم .

رابعا - البحث عن مثل أعلى :

وفى هذه المرحلة يبدأ المراهق والمراهقة فى البحث عن مثل أعلى يتبعان خطواته وينهجان نهجه . وقلما يجد المراهق والمراهقة مثلهما الأعلى فى أحد الوالدين ، بل هما يبحثان عن ذلك المثل الأعلى فى أحد المدرسين أو فى إحدى

المدرسات أو فى أحد الشعراء أو فى أحد السياسيين أو فى واحد من الممثلين أو فى إحدى المطربات ... إلخ . وعندما يقع المراهق والمراهقة على ذلك المثل الأعلى ، فإنهما يتعلقان به كل التعلق ، ويتمنيان لو يرتميان تحت قدميه حتى يحظيا برضاه وإعجابه بهما . وكثيرًا ما تقع المراهقة فى حب أحد مدرسيها ، فتأخذ فى كتابة رسائل الحب وترسلها إليه . فإذا كان المدرس فاهما لطبيعة هذه المرحلة التى تمر بها تلك المراهقة ، فإنه سوف لا يعير أهمية لتلك الرسائل مع عدم صد الفتاة ، بل توجيه اهتمامها وحبها إلى الدراسة أو إلى المجالات الأدبية أو الفنية أو العلمية أو الرياضية فتتفوَّق فيها ، ويكون لتوجيه ذلك المدرس لها الفضل فى ذلك التفوق .

خامسا - حب الوطن :

وفى هذه المرحلة يشتعل حب الوطن فى قلوب المراهقين من الجنسين بحيث يصيرون على استعداد للتضحية من أجله بأرواحهم . ولكن حتى يبزغ ذلك الاستعداد إلى حيز الوجود ، لابد من توافر التوجيه المناسب والمقومات السياسية والزعامية بالمدرسة وبالساحات والأندية المتباينة . ويكون المراهقون على استعداد للتدرب على حمل السلاح ، والخضوع للحياة العسكرية الصارمة . ناهيك عن استعدادهم للالتزام بالأوامر والقيود وطاعة الأمر طاعة عمياء ودقيقة .

وبعد أن عرضنا لهذه الخصائص المشتركة بين المراهقين والمراهقات بصدد العلاقات الاجتماعية ، فإننا نركِّز اهتمامنا فيما يلى فى الخصائص الاجتماعية للمراهقين الذكور على النحو التالى : -

أولا - المغامرات الجماعية :

فمن أهم ما يهتم به المراهقون الانضمام إلى شلة للقيام بالمغامرات المتباينة . ولعل من أهم تلك المغامرات ما كان متعلقًا بالرحلات إلى جهات بعيدة عن الأسرة والمدرسة . ويتعشَّق المراهقون استكشاف مناطق جديدة لم يكن لهم عهد بها . فالروح الكشفية تعتمل بقوة وفاعلية فى قلوب المراهقين . ويود المراهقون لو جابهوا بعض الصعوبات واستطاعوا أن يتغلبوا عليها . فهم يحبون تسلق الجبال والتعرُّض للجو القاسى ، والاعتماد على أنفسهم فى إعداد الطعام المشترك والقيام بطهيه بأنفسهم والسكنى بالخيام طوال الرحلة .

ثانيا - مساعدة الضعفاء والشيوخ والمعوقين :

والمراهقـون يكونون على استـعداد إذا مـا وجدوا التوجيـه المناسب لمد يد المساعدة إلى من يحتاجون إلى مساعدة . فهم يرحِّبون جدا بالانضمام إلى إحدى الجمعيات التى تساعد المعوَّقين مثلا أو الانضمام إلى جمعية لمساعدة الشيوخ فى المواصلات العامة . ولكن تقصير المراهقين فى هذا الصدد إنما ينجم عن عدم وجود مثل تلك الجمعيات ، وعدم تشجيع الكبار لهم للمساهمة فى الخدمات العامة، وانتشار روح الأنانية واللامبالاة بين الكبار .

ثالثا - الضبط والربط :

ومن الملاحظ أيضًا فى مجال العلاقات الاجتماعية أن المراهقين يحبون الضبط والربط ، والتزام المجموعة بنظام نسقى واحد لا خروج عنه قيد أنملة . فالمراهق ينفذ الأوامر ويصبو لتحقيق المبادئ بحرفية والتزام كاملين . وبتعبير آخر: فإن النسبية أو الوسطية أو التهاونية لا تجد سبيلاً إلى قلب المراهق . فهو ينظر إلى المجموعة كأنها شخص واحد لابد أن يلتزم بخط واحد لا حَيْدة عنه . ولذا فإن الصرامة هى السمة البارزة فى سلوك المراهقين الذين يتولون القيادة فى أى موقع . ولكن لابد أن يتوافر المناخ المناسب أمام المراهقين ، لكى يضطلعوا بالقيادة فى بعض الحالات ، وبالتبعية فى حالات أخرى حتى يتسنى لهم تكوين الشخصية الملتزمة ، وحتى يخرجوا ما لديهم من استعداد مفطور فيهم إلى حيز الواقع .

رابعًا - الاستعداد لتولى المسئولية :

فالمراهق يحب أن يكون رجلاً مسئولاً بالرغم من أنه لا يكون قد اكتسب الحصافة الكاملة فى النهوض بالمسئوليات . بيد أن ثقة المراهق فى نفسه لا تعرف حدودًا . فإذا ما حدث أن توفى عائل الأسرة ، فإن ابنه المراهق يرى فى نفسه القدرة على الحلول محل ذلك الأب المتوفى ، ويجد فى نفسه البديل الجدير بالمسئولية . وتأتى تصرفاته على هذا الأساس بإزاء إخوته وأخواته الأصغر منه سنا، بل إنه قد يتقمص شخصية أبيه المتوفى ، من حيث فرض سيطرته على والدته وإصدار الأوامر إليها .

خامسا ـ الرسائل كوسيلة للتعارف :

وفى هذه المرحلة نجد أن المراهق يصير كَلِفا بتوجيه الرسائل إلى الجهات المتباينة كالصحافة والإذاعة ، ولا تكون رسائله لمجرد إقامة علاقات جديدة ، بل تكون مفعمة بالنقد العنيف والمقترحات التى قد تكون مفعمة بالخيال غير القابل للتطبيق ، ولكنها قد تحمل فى بعض الأحيان خططًا تصلح أساسًا لإصلاح ما اعوج بالمجتمع . ورسائل المراهقين الموجهة إلى وسائل الإعلام تختلف عن رسائل المراهقات فى أنها لا تدور حول الذات ، بل تهتم بقضايا عامة ، وبمقترحات سبق طرحها بالصحافة أو الإذاعة ، وتحتاج إلى مناقشة وإبداء للرأى .

أما الخصائص الاجتماعية للمراهقات فإننا نوجزها فيما يلى :

أولا ـ تبدى المراهِقة الغيرة من المراهقات الأكثر جمالاً منها . ولذا فإنها لا تحاول فى الغالب السير مع من تفوقها جمالاً ، بل تسير مع من فى مستواها من الجمال . ولكن قد تخدع المراهقة نفسها وتعتقد أنها أجمل الجميلات ، أو أن لديها من الميزات الأخرى كخفة الدم أو الذكاء ما يعوِّضها عن الجمال الناقص لديها ، فلا تجد غضاضة عندئذ فى الانضمام لركب الجميلات من المراهقات .

ثانيا ـ تستعين المراهقات بالكبرياء وببعض الجفاء مع المراهقين ؛ لتعزيز مكانتهن وإثارة إعجابهم بهن . وتحب المراهقات الظهور أمام المراهقين بأجمل مظهر ممكن وتتباهى الواحدة منهن بأنها أخذت بمجامع قلوب المراهقين دون باقى المراهقات .

ثالثا ـ تقارن المراهقات أنفسهن كمجموعة بمجموعة المراهقين ، ويتحفزن للتفوق عليهم فى شتى المجالات وبخاصة المجالات الدراسية والرياضية .

الفصل الثانى

لكى تكون أبًا صالحًا للمراهق والمراهقة

صرنا فى هذه الأيام نسمع الدعوة توجَّه إلى الآباء ، بأن ارفعوا أيديكم عن المراهقين والمراهقات ، واكفلوا لهم الحرية الكاملة ؛ حتى يشبوا أحرارًا بغير قيود تكبِّلهم ، وبغير عقد نفسية تسومهم العذاب فى حاضرهم ومستقبلهم ، بعد أن يكبروا وينضموا إلى ركب الكبار المسئولين عن غيرهم من الصغار.

والواقع أن الحرية كلمة غامضة ، تساق على الأقلام ، وفى الألسنة بغير تفحُّص أو رشد . والكلمة الغامضة توحى بالمعانى المتباينة ، إن لم يكن بالمعانى المتضاربة . ومن ثَمَّ فإنها تضر بما يترتب عليها من نتائج لم تكن فى الحسبان . ولذا فإن أهم المسئوليات المنوطة بمن يتعرَّضون لمثل هذه الكلمات الفجة ، ككلمة حرية وكلمة ديموقراطية وكلمة مساواة ، أن يقوموا بتحديد ما يقصد منها .

والحرية فى التربية يجب ألا تفهم بأنها التسيُّب والانفلات من كل قيد . إن الحرية إذا كانت امتناع القيود المتباينة ، فإنها إذن تكون مرادفًا للفوضى . والحرية التى نريدها هى تلك الأداة التى تجعل الأبناء على جانب أكبر من السعادة ، وفى أعلى مرتبة من النضج الاجتماعى والفضيلة الاجتماعية . فالحرية إذن وظيفة تربوية ، يجب أن يكون لها أهداف واضحة ، وألا تكون غاية فى حد ذاتها ؛ ذلك أن تحويل الوظائف إلى غايات يجعل الإنسان عُرْضة للشطط ، والخروج عن الحدود والقيود الاجتماعية التى جعلت أصلاً لصالح الإنسان ورُقِيه .

والواقع أن القيود كريهة للإنسان فى كل مكان وفى كل عصر . وما من أحد من الناس إلا وتهفو نفسه - ولو بطريقة لا شعورية - إلى التخلص من كل قيد اجتماعى . ولكن الشخص الحكيم ، بل الشخص العادى ، لا يستطيع أن يتصور مجتمعًا متماسكًا بغير قيد من نوع أو آخر . وحتى فى اللعب الجماعى ، نجد أن لكل لعبة قيودًا تكبِّل لاعبيها . فلا يترك كل لاعب وهواه ، بل يجب عليه أن يتفهَّم قواعد اللعبة ، والقيود والممنوعات التى تَحُد من تحركاته وتصرفاته ، ويكون عليه أن يراعيها ويضعها نُصب عينيه طوال لعبه .

وطبيعى أن القيود التي تفرض على الشخص فى اللعب والجد ، تعنى فى الوقت نفسه : إفساح مجال معين أمامه يتحرك خلاله : فرسم الحدود وتعيين القيود ، هو فى الوقت نفسه رسم للحرية ومداها ونطاقها . فإذا فهمت ما عليك مراعاته من قيود ، فإنك تستطيع إذن أن تتمتع بالتحرك فى النطاق الذى سمح لك بالتحرك فيه . ومعنى هذا فى الواقع أن تصبح ذا سلطة وسيادةٍ على النطاق المكفول لك . والذى تركت لك حرية التصرف فى نطاقه .

ولدى المراهقين والمراهقات استعداد فى الأغلب للاعتراف بالقيود والحدود التى يحدِّدها الأب . ولكن الذى لا يجد له صدى فى نفوس المراهقين ، هو عدم تحديد القيود ، فهناك كثير من الآباء غير مستعدين ، أو غير مؤَهلين ، لتحديد القيود التى يريدون فرضها على أبنائهم . إنهم يُصّدرون حكمًا جديدًا فى كل موقف. وحتى بالنسبة للمواقف المتشابهة ، أو حتى المتطابقة ، فإن الأحكام التى يصدرها بعض الآباء قد تكون متناقضة ومتضاربة بعضها مع بعض . ففى يوم يحتم الأب على ابنه المراهق أو ابنته المراهقة مقاطعة جميع الأصدقاء والمكوث بالبيت بغير اختلاط مع أحد . ولكنه ما يفتأ فى الأسبوع التالى أن يرفع هذا القيد الذى سبق أن وضعه ، ويأخذ فى حث أبنائه وبناته على توسيع دائرة علاقاتهم الاجتماعية . والخطر الذى يسببه مثل هذا الأب لأبنائه ، يكمُن فى عدم تثبيت القيود التى يحددها ؛ ذلك أنه حتى بعد تشجيعه لأبنائه وبناته المراهقين على الاختلاط بالأصدقاء ، فإنه يعود من جديد بعد مدة تقتصر أو تطول ليصدر حكمًا ثالثًا بمقاطعة الأصدقاء . فهو يتذبذب بين مبدأ العزلة عن الناس والاختلاط بهم .

ولا شك أن عدم استبانة الطريق أمام الأب ، وعدم تحديده للقيود التى يريد فرضها على أبنائه المراهقين والمراهقات ، إنما يجعل التناقض فى المعاملة وفى الحياة الأسرية هو القاعدة السائدة بها . ناهيك عن أن موقف مثل هذا الأب فى نظر أبنائه يكون مشوبًا بالاحتقار والازدراء . وكيف يستطيع المراهق والمراهقة احترام أب لا يقر له قرار ولا يثبت له حكم ، ولا موضوعية لما يصدر عنه من آراء ، ولا أرض ثابتة تحت قدميه يبنى عليها نواهيه ؟

ويرجع موقف الأب المتردِّد فى أحكامه بصدد القيود التى يحدِّدها ، إلى ضحالة فكره ، وعدم استبانته لمقوِّمات الموقف . أضف إلى هذا أن بعض الآباء لم يكوِّنوا لأنفسهم فلسفة واضحة فى الحياة . ولذا فإنهم يُصْدرون أحكامًا عَفْوية ، ويكونون مستعدين لتغيير آرائهم من لحظة لأخرى ، بل إنهم يكونون عرضة للاقتناع بأى رأى يساق لهم . فإذا ما قرأ مثل ذلك الأب شيئًا عن خطورة اختلاط المراهقين والمراهقات بغيرهم ، فإنه يسارع إلى تحذير أبنائه وبناته من الاختلاط . وإذا حدث بعد ذلك أن شاهد ذلك الأب نفسه تمثيلية بالتليفزيون تندد بالآباء الذين يصادرون حرية أبنائهم وبناتهم المراهقين ، فإنه يسارع إلى رفع القيود التي يكون قد سبق له تحديدها وفرضها على أبنائه وبناته .

وهناك بعض الآباء - وهم قلة - يكون قد أَلَمَّ بهم مرض فى إرادتهم . ومرض الإرادة يتمثل فى موقفين من موقفين . إما الخضوع لكل رأى ولكل إرادة أخرى ، وإما التشبث بالعناد والتصلُّب بإزاء كل رأى وكل إرادة أخرى . وفى الحالتين يوصف الشخص بأنه سقيم الإرادة . ولقد يعتقد النوع الأول من الآباء ، وهم أولئك الذين يتلوَّنون مع كل رأى ، ويخضعون للإرادات الأخرى ، بأنهم يتمتعون بالمرونة وبالأفق المتَّسع . ولقد يعتقد أيضًا النوع الثانى من الآباء ، أنهم أقوياء الشخصية ، ولا يُفَل لهم رأى ، ولا تلين لهم عريكة . والحقيقة المرة غير هذا على طول الخط . إن النوع الأول من الآباء : مصابون بضعف الشخصية ، والنوع الثانى : مصابون بالعناد الأعمى ، وهو أيضًا نوع من ضعف الشخصية . ومسكين ذلك المراهق وتلك المراهقة اللذان ابتليا بأب من النوع الأول ، أو من النوع الثانى . ولا شك أن فترة المراهقة التي تقضى فى ظل أب إرادته ضعيفة وسقيمة ، لهى فترة مشوبة بالبؤس

وظلام النفس . وعلى عكس هذا فإن المراهق والمراهِقة اللذين يتربيان فى ظل أب عاقل متفتّح الفكرة ، قوى الإرادة ، وقوى الشخصية ، لهما شخصيتان سعيدتان مدركتان لما يحدده من قيود ، ويهضمانها ويريان أنها قيود معقولة ؛ لأنها صادرة عن شخصية رزينة عاقلة وقوية الإرادة .

والواقع أن الأب الذى يسير بطريقة عشوائية فى إصدار أحكامه بصدد القيود التى يفرضها ، والحرية التى يمنحها ، هو أب لم يتيسر تكوين جهاز أخلاقى لديه . وهنا ينبغى أن نشير إلى ما يقرره علماء النفس ، من أن الشخص يبلور لنفسه جهازًا أخلاقيا حالما يبلغ عمره خمس سنوات . فالركائز الأساسية لأخلاق الشخص تتكوَّن وتتحدَّد فى تلك السن ولا يكون ما يكتسبه بعد ذلك إلا من قبيل التنقيح ووضع الرتوش الأخيرة على الدعائم التى وضعت بالفعل .

ومعنى هذا فى الواقع : أن الشخصية الضعيفة ، التى لم تتحدد أخلاقها منذ الطفولة ، لا تصلح للأبوة . ولكن حتى بالنسبة لأولئك الآباء الذين لم يحصلوا على أجهزة أخلاقية متينة منذ طفولتهم ، فإن بمقدورهم أن يدرِّبوا أنفسهم لإصلاح ما يمكن إصلاحه فى شخصياتهم . ولا شك أن ما يكتسبه الإنسان من اتجاهات جديدة، وما يمكن أن يضيفه من رتوش إلى ما سبق أن تحدَّد ، لا يمكن الاستهانة به، أو الإغضاء عنه ، أو التقليل من أهميته ، وخطورة فاعليته فى موقف الأب من أبنائه ، وفى تحديده للقواعد الأخلاقية السديدة ، والقيود المعقولة على تصرفاتهم.

ويجب على الأب أن يدرك بوضوح ، ما لديه من سلطات ، وما يترتب على تلك السلطات من مسئوليات كثيرة وضخمة . ولسنا نغالى أو نجانب الصواب عندما نقول : إن الأب ، هو حاكم لدولة صغيرة هى الأسرة . وهذه الدولة الصغيرة ، تتمتع بكل صلاحيات الدولة . ففيها الحاكم وفيها القاضى وفيها المشرع وفيها المدافع عن كيانها ، وفيها المنتج الكفيل بالإنفاق على أفرادها ورعايتهم . والأب هو هذا كله ، مع مشاركة الأم له فى جميع سلطاته .

ولكن ينبغى ألا يفهم من هذا ، أننا نجعل من الأب طاغية يحكم الأسرة بالحديد والنار . فالحقيقة أنه لا يوجد تعارض بين أن يكون الأب شفيقًا ، حانيًا على

أبنائه وبناته ، وبين أن يكون ممسكًا بزمام السلطة ، ومحدِّدًا للقيود والممنوعات التي تستند إلى أسس معقولة ، والتى تعود فى نهاية الأمر بالفائدة على أولاده وبناته.

والحرية التي ينبغى أن يَكْفلها الأب لأولاده وبناته ، قد تتحقق فى كثير من الحالات عن طريق القيود التى يحدِّدها . فالأب الذى يمنع ابنه من اللعب فى القيظ، ويأمره بالمكوث بالبيت ، إنما يحقق له بذلك إحدى حرياته الأساسية ، أعنى: الحرية الجسمية . والأب الذى يشترك مع الطبيب فى الحيلولة بين ابنه وبين بعض الأطعمة فى أثناء مرضه ، إنما يساهم فى تحقيق جانب من هذه الحرية لذلك الابن، أعنى : الحرية الصحية ، والتحرر من المرض الذى ألَمَّ به . وكذلك فإن الأب الذى يمنع أولاده من التسكُّع فى الشوارع ، والوقوف على نواصى الشوارع مع الضائعين من الشباب ؛ إنما يكفل لهم الحرية الأخلاقية من خلال القيود التى يحدِّدها . والأب الذى يضيِّق الخناق على ابنه أو ابنته المراهقة للاستذكار قبل الامتحان ، وعدم الذهاب إلى السينما ؛ خوف تضييع الوقت الذى ينبغى صرفه فى التحصيل ، إنما يحقق لهما الحرية العقلية .

ونستطيع فى الواقع استبانة أربعة أنواع من الحرية ، يجب على الأب أن يكفلها لأبنائه وبناته : الحرية الجسمية ، والحرية الوجدانية ، والحرية العقلية، والحرية الاجتماعية . وهذه الأنواع الأربعة من الحريات يجب أن تتآزر وتتكامل فيما بينها ، لكى تشكِّل حرية الشخصية ، أو لكى تُفْضى إلى تحقيق الشخصية المتحررة .

فالحرية إذن شىء مختلف اختلافًا جوهريا عن التسيب والتحلل من القيود. إن الحرية التربوية كما نفهمها ، هى تحرير الاستعدادات والقدرات والمواهب والإمكانات الشخصية ؛ وإخراجها من حيز الكمون إلى حيز الواقع الطبيعى والواقع الاجتماعى ؛ ذلك لأننا لانعيش فى بيئة طبيعية فحسب ، وإنما نعيش أيضًا ، وبالدرجة الأولى فى بيئة اجتماعية . فنحن بالطبيعة نخرج أصواتًا من حناجرنا وأفواهنا، ولكننا بالمجتمع نخرج إلى آذان الآخرين لغة يفهمونها .

والحرية التى تحقِّقها الشخصية هى النتيجة المترتبة على عمليات التحرير المستمرة للطاقات . وبتعبير آخر : فإن التفتيق المستمر لمكونات الشخصية ، ينتهى إلى تحقيق الحرية التربوية للشخصية .

والأب هو المسئول عن تحقيق وتوفير هذه الحرية لأبنائه وبناته ، وخاصة خلال فترة المراهقة . إن هذه الفترة ، هى فترة التفتّح الحقيقية خلال العمر كله . فإذا لم ينجح القائمون على تربية المراهق والمراهِقة فى تفتيق الشخصية ، وتفتيق مكنوناتها ، وإخراجها إلى حيّز الواقع الحى ، فإنهم بذلك يحكمون على تلك الشخصية ، بأن تظل منطوية على كنوزها الدفينة طوال حياتها . أما إذا هم نجحوا فى ذلك ، فإنهم سوف يتمكنون إذن من استغلال واستثمار ثروات الشخصية ، والإفادة منها ، سواء لذات الشخص ، أم للمجتمع الذى يعيش فى نطاقه ويستظل بظله .

والواجب أن يكون الأب نفسه ، قد حصل على حرياته الأربع قبل أن يبدأ فى توفيرها لأبنائه وبناته المراهقين . فليس من المعقول أن يحض الأب أبناءه على التمرس بالألعاب الرياضية ؛ لتوفير الصحة والحيوية لأنفسهم ، وهو شخصيًا لا يتمرس بالرياضة . وليس من المعقول أن يحض الأب أولاده وبناته على تجنب معاقرة الخمر والتدخين ؛ لكى تتوافر لهم الحرية الاجتماعية ، وهو شخصيًا مدمن للخمر ومُنكَب على التدخين . إن الحرية التى يريد الأب لأبناءه وبناته المراهقين التمتع بها ، تتوافر لهم أكثر ما تتوافر بأن يشاهدوها ممارسةً فى حياة الأب فيأخذوها عنه ، ويتشبثوا بها ويحسوا بالاعتزاز بها .

وليست الحرية فى الواقع شيئًا يحصل عليه الإنسان ، فيمتلكه إلى الأبد . إن الذود عن الحرية التربوية عمليات وليست أشياء . إنك لابد أن تنخرط فى كفاح مستمر من أجل حريتك التربوية التى حصلت عليها . وبغير الكفاح المستمر ، فإنك ستفقد حريتك حتمًا . خذ مثالاً بالشخص المثقَّف : إن المثقف شخص تحرَّر عقليا بفضل ما حصل عليه من ثقافة ومعرفة ، ولكن لكى يستمر ذلك الشخص المثقف متحررًا من ظلام الجهل ، فلابد له من مواصلة الاطلاع والاتصال دومًا بمصادر الخبرات ، والتفاعل المستمر معها فتوقفه عن ذلك ، يرتد به إلى الجهل والظلام . أما استمراره فى الجهد الدائب والدائم على القراءة والبحث والتجريب ، فإنه يكفل له مواصلة العمليات التحررية ، وبالتالى يكفل له الحرية الثقافية .

ولكى يتمكن الأب من توفير الحرية لأبنائه وبناته المراهقين ، فإن عليه أن يكون ابن عصره ، وألا يتخلف عن ركب الحضارة المتغيّرة باستمرار . أما أن يتقوقع الأب فى

ركن قصى عن أحداث وتطورات عصره ، فإنه أمر ينتهى به إلى الانفصال عن التيار الحضارى ، وبالتالى فإنه سينتهى به إلى الانعزال وجدانيا وفكريا عن أبنائه .

والمراهقون توّاقون إلى الحرية التربوية ، ولديهم الرغبة فى إحراز تلك الحرية . ولكن المشكلة الكبرى والمتأصلة التى تقف حائلاً أمام طريقهم نحو الحصول على هذه الحرية ، هو شعورهم بأن الأب بعيد عن التطورات والتيارات الاجتماعية المتدفقة وأنه صار بمعزل عن الحياة الحية المتدفقة ، وأنه قد انصرف إلي الماضى يستظل به ، ويستهدى بقيمه ، ضاربًا ستارًا على وجهه ، حتى لا يرى القيم الجديدة والمتجددة باستمرار، والتى ينبض بها الحاضر .

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا : إن المراهقين ـ أولادًا وبناتٍ ـ يخشون التسيب. ولقد يكون لسان حالهم يئن بالشكوى من الآباء الذين يقفون مكتوفى الأيدى أمام مشكلاتهم . والواقع أن السلبية التى يبديها كثير من الآباء ، هى المسئولة عما نراه من تسيُّب بين المراهقين والمراهقات . فالمراهقون والمراهقات بحاجة إلى تحرير أنفسهم ، فإذا لم يجدوا سبيلاً إلى ذلك التحرير ، ووجدوا الكبار ـ متمثلين فى الآباء ـ عاجزين عن الإرشاد إلى طريق الحرية ، فإنهم لابد لاجئون إلى التسيُّب والانحلال ، ولكأن التسيب هو احتجاج لا شعورى على الآباء ، يعلن فيه المراهقون والمراهقات أن آباءهم قد فشلوا فى توجيههم الوجهة السليمة ، ولم يكفلوا لهم الحرية التربوية الضرورية لوجودهم وتقدمهم الاجتماعى .

حب بغير تدليل :

إن الشخص فى سن المراهقة ، يكون فى حاجة ماسة إلى حب الآخرين له ، وبخاصة والديه . ولقد يعتقد البعض خطأ أن حب الأم لأبنائها ، أهم من حب الأب لأبنائه . وهذا مجانب للصواب . فالأبناء والبنات ـ وبخاصة فى المراهقة ـ بحاجة إلى حب الأب قدرَ حاجتهم إلى حب الأم . ولعل حب الأب ، يختلف فى نوعيته عن حب الأم ؛ ذلك أن حب الأب لأبنائه ، يتضمن فى الوقت نفسه معنى العناية والرعاية والحماية من الأخطار والمجهول . وشاهد ذلك أن الأب هو المهيمن على الأسرة ، وهو الذى يمدُّها بالمقومات التى تقيها شر الجوع والعُرى ، وهو الذى يكفل لأفرادها المسكن ، بل إنه ما يزال عاملاً مؤثرًا إلى حد بعيد فى توجيه دفة المستقبل من حيث التعليم والمهنة أو الحرفة التى سيتخذها الأبناء والبنات موردًا للرزق لهم

فى المستقبل . ومايزال الأب ، هو المدافع عن كيان الأسرة ، والواقى لها من شر من تُسَول له نفسه بالعدوان على حرماتها وممتلكاتها .

ولكن مع هذا فإن الأم ، وقد صارت فى أسر كثيرة تشارك الأب فى الإنفاق على الأبناء والبنات ، فــإن النوعين من الحب - أعنى : حب الأب لأبنائه ، وحب الأم لأبنائها - قد اقتربا من حيث التشابه . ولكن ما يزال الأب هو المدافع عن الأسرة ، وهو المسئول الشرعى والأساسى عن الإنفاق عليها ، والتصدى للدفاع عن حقوقها .

وعلى الرغم من أن الحب عاطفة طبيعية توجد بالسليقة فى قلوب الآباء والأمهات ، فإن من الضرورى العمل على صقل ذلك الحب الطبيعى وصبغه بالصبغة الاجتماعية المناسبة للمطالب الاجتماعية التى يفرضها المجتمع . ومن هنا يأتى دور التربية والتوجيه لخدمة الآباء والأمهات حتى يكون حبهم مناسبًا ومفيدًا لأبنائهم وبناتهم وبخاصة فى فترة المراهقة .

وخطورة وظيفة حب الآباء لأبنائهم وبناتهم المراهقين ، إنما تتأتى من أن كثيرًا من الآباء ، يخلطون فيما بين حاجات المراهق والمراهقة وبين رغباتهما . وربما يخلط البعض بين الرغبة وبين الحاجة ، فيعتقدون ، خطأ أن كلمة رغبة desire وكلمة حاجة need هما كلمتان مترادفتان ، والواقع غير هذا تمامًا . فقد يتم الوئام بين الرغبة وبين الحاجة ، بحيث تكون الرغبة حاجة ، وقد تتعارض الرغبة مع الحاجة وتقوم معركة بينهما .

خذ مثالاً بالطعام : إن الشخص صحيح الجسم إذا جاع ؛ فإن تناوله للطعام يشبع لديه رغبة وحاجة فى الوقت نفسه ، أو أن رغبته فى تناول الطعام تكون حاجة إليه أيضًا . ولكن الشخص المريض بالتيفود مثلاً ، تكون رغبته فى تناول وجبة من السمك المشوى ، متعارضة مع حاجته إلى الامتناع عن أكل السمك طوال فترة مرضه. فإذا هو طاوع رغبته ؛ فإنه يكون قد خالف حاجة جسمية ، كانت أولى بالطاعة من الرغبة فى أكل السمك .

خذ مثالاً آخر : طالب فى أواخر العام الدراسى ، بحاجة إلى مراجعة دروسه، ولكن لديه رغبة ملحة لحضور أحد الأفلام السينمائية التى يهفو إلى مشاهدتها . إنه إذا جرى وراء رغبته ؛ فإنه يكون قد داس حاجة هامة فى حياته تتعلق بمستقبله

الاجتماعي . ولكنه إذا فضل حاجته إلى الاستذكار على رغبته فى حضور الفيلم ، فإنه يكون قد سار فى الطريق السليم .

وأكثر من هذا فإن الحاجات نفسها ، قد تتعارض فيما بينها . خذ مثالاً لذلك: نفس هذا الطالب الذى ضربنا مثالاً به . إن أمامه حاجتين : حاجة إلى النوم، وحاجة إلى الاستذكار . لقد قرر أنه سيعطى الأولوية للحاجة إلى الاستذكار، مع عدم إهمال حاجته إلى النوم إهمالاً تاما . لقد كان ينام فى العطلة الصيفية ثمانى ساعات ، ولكنه سيحرم نفسه من ساعتين ، وينام ست ساعات فقط كل يوم ، حتى يوفر ساعتين إضافيتين يقدمهما لحاجته إلى الاستذكار .

خذ مثالاً آخر : الصيام . أمام شخص ما حاجتان : الحاجة إلى تناول الطعام، والحاجة إلى الصيام ؛ لتنقية نفسه ؛ والتقرب من ربه . لقد قرر أن يعطى الأولوية للحاجة إلى الصوم على الحاجة إلى الأكل .

ولا شك أن الحاجة أعظم قيمة من الرغبة كما شاهدنا . ونحن دائمًا كمربين نحاول تدريب أبنائنا وتلاميذنا على تفضيل حاجاتهم على رغباتهم ، بل إننا نحاول جاهدين لتحقيق المصالحة بين الحاجات والرغبات .

ومما سبق يتضح ما على الأب من مسئولية كبيرة تجاه أبنائه وبناته المراهقين. فى العمل على توفير كل ما يشبع حاجاتهم ، بل وتحقيق كل رغباتهم ، إذا لم تكن متعارضة مع حاجاتهم . والأب العاقل هو الذى يستطيع التمييز بوضوح بين حاجات أبنائه وبين رغباتهم . وأكثر من هذا ، هو الأب الذى يستطيع أن يميِّز بين الرغبات الضارة وبين الرغبات المفيدة .

ونستطيع القول : بأن الحب حاجة ، يجب العمل على توفيرها للأبناء والبنات خلال حياتهم كلها ، وبوجه خاص خلال فترة المراهقة ؛ ذلك أن هذه الفترة تتميز بالحاجة الشديدة إلى الحصول على جرعة حب كبيرة بصفة دائمة . وليس الأمر متوقِّفًا عند حد تقبُّل المراهق والمراهقة للحب ، بل إنهما أيضًا بحاجة شديدة ومستمرة إلى أن يجدا الشخصية الجديرة بحبهما . ويجب أن يستحوذ الأب على قلوب أبنائه وبناته ، ويكون جديرًا باحترامهم حتى يكون صالحًا كشخصية تحظى بحبهم .

والواقع أن هناك علاقة وثيقة بين ما يستطيع الأب تقديمه من حب لأبنائه وبناته المراهقين ، وبين ما يمكن أن يصدّروه إليه من حب . فبقدر ما يقدم الأب من حب إلى أبنائه وبناته ، ينال حبا منهم . ولكن تقديم الحب من جانب الأب ، ليس وحده الضمان الكافى له ؛ لكى يحظى بحب أبنائه وبناته . فلابد من توافر عدة شروط حتى يستطيع الأبناء والبنات تقبُّل حب الأب لهم ، وحتى يكونوا على استعداد لتقديم الحب إليه . ومعنى هذا : أن الأب إذا قدم إلى أولاده حبا بغير توافر الشروط التى سنعرضها فيما يلى ، فإنه سوف لا يجد صدرًا متقبّلا لحبه من أبنائه وبناته . ذلك أن المراهقين ليسوا كالأطفال الصغار . إنهم يتمتعون بقدرة كبيرة على النقد والتمحيص ، ولا يكونون مجرد متقبلين أو سلبيين فى تقبُّل ما يُسّدى لهم من حب ، وليسوا بقادرين على تقديم الحب إلى الأب الذى لم تتوافر لديه الشروط اللازمة لكل أب يريد أن يجد حبه صدى فى قلوب أبنائه وبناته المراهقين ، وأن يتقبّل بالتالى منهم الحب البنوى .

والشروط هى : .

أولا - يجب أن يكون الأب قادرا على التمييز بوضوح فيما بين حاجاته الشخصية ورغباته ، وأن يكون مرجِّحًا كفة الحاجات على كفة الرغبات بقدرة وسلطان فى قيادة نفسه أولاً . فالأب صاحب النزوات ، أو الأب المقامر، أو المعاقر للخمر، أو زير النساء ، أو الذى لا يحافظ على صحته بسبب إدمانه للتدخين؛ لا يستطيع أن يحظى بحب أبنائه المراهقين وبناته المراهقات له ، ولا يجد حبه لهم صدى قويا فى نفوسهم.

ثانيا - يجب أن يكون الأب شخصية متطورة أبدا . والتطور معناه ؛ الوقوف على تيارات العصر ، وعلى الظروف المتغيرة ، وأن يعدل من سلوكه ومخططاته فى الحياة وفق الظروف الجديدة .

خذ مثالاً لذلك : الأب الذى كان يعمل صانعًا للطرابيش . لقد ذبلت هذه الصناعة بعد أن أقلع الناس عن ارتداء الطربوش . ولكن ذلك الرجل لم يكن مستعدا للوقوف على الظروف الجديدة ، ولم يكن مستعدا لتعلم صناعة جديدة بديلة تحل محل الصناعة القديمة . ماذا كانت النتيجة ؟ الفقر وعدم

سد نفقات أسرته . لقد وجد عدم التقدير من أبنائه وبناته المراهقين ، فأخذ يسبُّهم ويلعنهم لعقوقهم ، واتهمهم بأنهم لم يكونوا يحبونه إلا لأنه كان ثريا ، ولكن حال ضياع رزقه ، فإنهم أخذوا يتنكرون له ، ولا يقدمون إليه الحب الذى اعتاد استشعاره منهم . والواقع الذى غاب عن بال ذلك الأب أن عدم تقدير الأبناء والبنات له ، وبالتالى فقدانه لحبهم ، إنما يرجع أساسًا إلى عدم قدرته على التطور مع الظروف الجديدة ، وعدم بحثه عن بديل للصناعة التى حكم عليها التطور الاجتماعى بالذبول والضياع .

ثالثا - القدرة على الكسب وعلى فتح مجالات جديدة للرزق ؛ ذلك أن الأبناء والبنات فى المراهقة يعجبون بالشخصية التى لا تعييها الحيلة ، والقادرة على التحكم فى الظروف والتكيف للطوارئ الجديدة ، وعدم الركون لليأس بعد مصادفة موقف صعب ، أو بعد الابتلاء بالفشل ، أو حتى بالإفلاس . المهم فى نظر المراهق ، هو القدرة على تجديد الحياة ، وعلى اكتشاف وسائل جديدة لمغالبة المواقف الصعبة والأزمات المفاجئة . إن المراهق والمراهِقة يهمهما تمتُّع الأب بالذكاء الاجتماعى ، وبخاصة فيما يتعلق بالكسب . ولكن يهم المراهق والمراهِقة أيضًا ، أن يكون الكسب مشروعًا ، وحتى إذا هما أبديا رضاءهما للأب الغشاش أو المختلس ، فإن ذلك لا يكون إلا رضاء سطحيا خاليًا من الحب والتقدير .

رابعا - حُسْن التصرف فى الدخل ، والقدرة على تقدير الأولويات فى الإنفاق ، فالأب الذى لا يستطيع تحديد الأولويات فى الإنفاق ، وتقديم الأهم على المهم ؛ لا يستطيع أن ينال تقدير واحترام أبنائه وبناته المراهقين .

خامسا - المعلومات العامة . فالأب الذى يريد أن ينال إعجاب وحب أبنائه وبناته المراهقين ، هو ذلك الشخص غير المحبوس فى قمقم عمله ، وما يتضمنه من معلومات ومهارات . إن المراهقين يهفون إلى الشخصية المتفتحة التي تعرف من أطراف كل شىء شيئًا ، والتي تعرف غير ما هى مضطرة بحكم عملها وتخصصها إلى معرفته . ولا شك أن المعلومات المتجددة تكسب الشخصية قدرة لغوية جديرة بالإعجاب . وهناك تواز فيما بين الأفكار وبين الكلمات المستخدمة . ولذا فإنك تجد أولئك الأشخاص الذين يصابون بمرض عقلى

يُفْسد لديهم ما سبق لهم أن تعلموه من كلام ، فينكصون بلغة حديثهم إلى الوراء ، ويصير كلامهم مفككًا وبحاجة إلى التكامل والتجديد . أما شخصية الأب السوية والمتفتحة على الجديد ، والتى تُشْغف بالقراءة ؛ فإنها تتمتع بالجاذبية التى تجعل الأبناء والبنات - وبخاصة فى فترة المراهقة - مقبلين بالحب والتقدير على ذلك الأب المتمتع بتلك الشخصية المتفتحة المستنيرة .

سادسا - القدرة على الإقناع . فالأب الذى يؤيد كلامه بالحجج القاطعة ؛ بغير تفيهق أو سفسطة ، إنما يحظى بإعجاب وحب أبنائه وبناته المراهقين .

سابعا - القدرة على تقديم المشورة الصادقة والتمتّع بالحكمة فى تقدير الأمور . فالمراهق والمراهِقة يريدان أن يجدا لديه المشورة الصالحة والصادقة والمفيدة والعملية والتى تقيهما التعثر فى الحياة الاجتماعية أو التعرُّض للمؤاخذة أو الحرج .

ثامنا - النجاح فى العلاقات الاجتماعية، والقدرة على فض المنازعات ، فالواقع أن الأب الحكيم المتزن وجدانيا ، القادر على فهم المواقف الاجتماعية . والقادر على التأثير بشخصه فى الآخرين ، والقادر على جمع الشمل وفض المنازعات، لهو الأب الجدير بإحراز حب أبنائه وبناته المراهقين وتقديرهم له .

تاسعا - السلوك النظيف والإخلاص للأم . فلكى يحظى الأب بحب أبنائه وبناته المراهقين ، يجب أن يكون شخصية نظيفة مستقيمة فى المسائل الجنسية ، عفيفًا عن الدنايا ، مخلصًا للأم فى حضورها وغيابها ، فى صحتها وفى مرضها . فالواقع أن حب الأب للأم وإخلاصه لها ، يقوم دليلا قاطعًا فى نظر الأبناء والبنات على حب الأب لأبنائه وبناته ، وتقديره لهم وتكريس قلبه وعقله لهم . ولا غرو فإن الأم هى المصْدر الذى أتوا منه . فإذا لم يكن الأب محبا ومخلصًا للمَصْدر ، فكيف يستطيع أن يحب وأن يخلص للفروع ؟

عاشرا - حب الأم والغيرة على استمرار الكيان العضوى للأسرة وتماسك أفرادها . فإحساس الأبناء والبنات بأن الأب كَلِف بالأسرة ، وبأنه يبذل جهده للحفاظ عليها وعلى تماسكها ، وإزالة الخلافات التى قد تنشب بين بعض أفرادها ، إنما يحصل بالتالى على حب وتقدير أبنائه وبناته المراهقين .

وهناك بعض الشروط الواجب توافرها فى حب الأب لأبنائه وبناته المراهقين حتى يكون حبا سويا وبعيدا عن التدليل :

أولا - يجب أن يكون حب الأب لأبنائه وبناته المراهقين مساعدًا لهم على إحراز النجاح فى الحياة ، وألا يكون عائقًا أو معطِّلا لهم نحو التقدم . فالحب الصحيح ليس عائقا أمام التقدم بل هو مساعد له .

ثانيا - يجب أن يكون الحب الأبوى وسيلة للتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى حياة المراهقين الأبناء والبنات .

ثالثا - يجب ألا يكون الحب متخذًا وسائل منفِّرة ككثرة التقبيل والتدليل .

رابعا - يجب ألا تكون هناك تفرقة فى الحب ، فالأب العاقل هو الذى يوزع الحب بالتساوى بين أبنائه وبناته المراهقين ، وألا يبدى زيادة فى الحب لأحدهم على حساب الباقين .

خامسا - يجب الا يستخدم الحب كأداة لمعاقبة الآخرين من الأبناء والبنات أو لإغاظتهم أو النيل من مكانتهم بالأسرة .

سادسا - يجب الا يكون حب الأب سببًا فى إحجامه عن تقديم النصيحة، أو التأديب ، أو حتى توقيع العقوبة على الخارج على الأصول المرعية أو الأخلاق الكريمة .

سابعا - يجب الا يكون الحب عامل إحجام من جانب الأب عن توقيع الألم على ابنه أو ابنته المراهقة المريضة التي قد تحتاج إلى عملية جراحية تتألم خلالها .

ثامنا - يجب ألا يكون الحب الأبوى أداة لمسخ شخصية الابن أو الابنة المراهقة فتنطفئ خواصها ومعالمها الحقيقية .

تاسعا - يجب الا يكون الحب عاملاً على تعطيل أو شل حركة الابن أو البنت فى تحمل مسئوليات الحياة أو الحصول على الاستقلال التدريجى .

عاشرا - يجب الا يكون الحب الأبوى على حساب حب الأب للأم . فبعض الآباء ينصرفون بحب أبنائهم وبناتهم عن استمرار حبهم للأم . فيكون حبهم للذرية مضيعة لحب الزوجة .

ونستطيع أن نوجز جميع الشروط العشرة السابقة لحب الأب لأبنائه المراهقين والمراهقات فى شرط واحد هو : أن يكون حبه لهم حبا نزيهًا عن الأهواء الشخصية وأن يكون لمصلحة الأبناء والبنات ، سواء فى المستقبل القريب أم فى المستقبل البعيد.

حزم بغير قسوة :

إن المراهقين والمراهقات يحسون إحساسًا واضحًا وقويا بضحالة خبراتهم ، ولكنهم فى أغلب الأحيان لا يعترفون بذلك ، بل يزعمون أنهم وصلوا إلى مرحلة من النضج تؤهلهم لتحمل مسئولياتهم فى الحياة . ولا غرو فإن فترة المراهقة هى فترة استعداد للنهوض بمسئولياتهم فى الحياة والاعتماد على النفس . وإذا نحن رجعنا إلى حياة القبائل البدائية ، إذن لوجدنا أن فترة المراهقة كانت بداية فعلية لتحمل أعباء الحياة . وشاهد ذلك حفلات التدشين المشهورة التى كانت القبائل البدائية ـ ولا تزال ـ تقيمها للأولاد والبنات الذين بلغوا سن المراهقة ، ووصلوا إلى البلوغ . فكان هناك توازن فيما بين النضج الجنسى وبين النضج الاجتماعى .

ولكن الحال اختلف بالنسبة للمجتمعات الحديثة التى تستظل بظل الحضارة ؛ فلم يَعُد البلوغ الجنسى مبرِّرًا كافيًا لتحمل أعباء الحياة بالمجتمع ، بل صار هناك بلوغ آخر غير البلوغ الجنسى ، لا يقل أهمية عنه ، هو البلوغ الاجتماعى ، وصار من واجب الكبار أن يتحملوا أعباء رعاية المراهق ، وعدم تركه يتخبط بالمحاولة والخطأ فى خضم الحياة الاجتماعية ، وقبالة المجتمع الحديث المعقد ، وأكثر من هذا فإن تربية المراهقين والمراهقات صارت بحاجة شديدة إلى فهم لخواصها ، وفهم لحاجات المراهقين والمراهقات خلالها .

ومن أكثر الحاجات النفسية اعتمالاً لدى المراهقين والمراهقات ، هي الحاجة إلى أن يحميهم الأب ـ وهو المسئول عن الردّع بالأسرة ـ من أنفسهم ، ومن الأهواء التى يمكن أن تطيح بهم ، وتعصف بطمأنينتهم . ولعل مما يبدو مناقضًا للواقع ، القول : بأن آباء المراهقين والمراهقات الذين يتصفون بالضعف والليونة ، ليسوا أفضل الآباء فى نظر أبنائهم ؛ ذلك أن المراهق والمراهقة اللذين يستشعران الحزم فى أبيهم ، ينظران إليه بإعجاب ، ويفتخران به أمام أصدقائهما . ولا غرو فإن المراهق والمراهقة ، لا يحبان الأب الرخو الذى لا رأى له ، أو الذى يتسم باللامبالاة ، أو الذى لا يشد من أزرهم ، ولا يساند إرادتهم ولا يأخذ بأيديهم فى إلجام نزواتهم .

ومما يجعل المراهقين والمراهقات بحاجة إلى من يساند إرادتهم ، ويحسم المواقف والمشكلات معهم ، أن طبيعة المراهقة ، تتسم بالتذبذب فيما بين الطفولة

الفجة وبين الرجولة أو النسوية الناضجة . فإنك تجد المراهق فى لحظة ما يتسم بالرجولة كأشد ما تكون الرجولة ، ولكنه ما يفتأ بعد لحظة أن ينقلب إلى طفل صغير . وكذلك فإن المراهِقة تكون فى لحظة ما متلبسة بأثواب النسوية الناضجة ، ولكنها سرعان ما تنقلب طفلة تطلب الحماية والرعاية .

وواجب الأب فى جميع الحالات ، أن يحمى ابنه المراهق وابنته المراهقة من التقلبات التى تعتور حياتهما . والواجب عليه أن يكون حازمًا ومتبَصرًا بأحوالهما ، ومتمكنًا من إقناعهما بإخضاع فجاجتهما لرجحان فكره ، وسلامة منطقه ، وحصافة آرائه ، ومتانة خبراته . وهنا نشير إلى ضرورة ثقة المراهق فى الأب ، وفى نزاهة أحكامه حتى يُسلّس القياد له ، وحتى يثق فى مشورته .

بيد أن الحزم الذى يجب أن يتمتع به الأب ، ليس معناه مصادرة حرية المراهق والمراهقة فى تسيير شئون حياتهما ، وليس معناه أن تسير حركة سلوكهما بتوجيه من الخارج ، وأن ينتظرا فى كل صغيرة وكبيرة لكى يتلقيا مشورة الأب . إن أبًا من هذا النوع يجب ألا يوصف بالحزم ، بل بالقسوة . فالأب القاسى ، هو الذى يعمد إلى مصادرة حرية أبنائه المراهقين والمراهقات ، وهو الذى لا يترك لهم حيزًا من حياتهم يسلكون فيه ، وهو الذى يصادر حرية الابن وحرية البنت فى التصرف ، وفى تحمل المسئولية .

إن الذى نقصد إليه من وصف الأب الحازم ، هو تبيان ما يجب أن يقدمه الأب من مساعدة ومساندة إلى أبنائه فى عهد المراهقة . وما يجعلنا نؤكد ضرورة تقديم المساعدة ، هو أن من طبيعة هذه المرحلة أنها تتصف بالنكوص إلى الطفولة فى بعض الفترات . وهذا النكوص قد يستطيل إلى فترات طويلة ، وقد يصبغ الحياة بحيث يشكل الطابع الذى تتسم به حياة المراهق أو المراهِقة . والواقع أن المراهقين والمراهقات الذين يصابون بهذا العرض النكوصى لمدة طويلة ، إنما يكونون بحاجة شديدة إلى أب حازم يأخذ بأيديهم ، ويساعدهم على الفطام النفسى والاجتماعى ، والتقدم فى معارج الكبار ، والتطلع إلى المسئوليات التى يتضمنها ذلك العالم المسئول.

والموقف هنا أشبه ما يكون بموقف الأب الذى يصاحب طفله إلى الشاطئ ويأخذ فى تشجيعه على النزول إلى البحر لتعلُّم العوم ، ولكن الطفل يأبى مُبديًا الخوف والهلع من البحر . فماذا يكون إذن موقف الأب ؟ إن عليه أن يأخذ ابنه بالحزم ، فيحمله على مضض منه ، ويلقى به فى الماء . طبيعى أن الطفل فى هذا الموقف سيصرخ ، ولكنه حالما يجد الأب مدفوعًا إلى حمايته من الخضم ، فإنه يضحك ويكتشف لتوه أن ما كان يخشاه من البحر ، هو وهم ارتسم فى ذهنه ، وليس له رصيد من الواقع . وكأن الأب هنا قد فطم طفله من الخوف من الماء ، وجعله قادرًا على مجابهة الواقع بالبحر ، بعد أن كان مستمسكًا بالواقع على الشاطئ . وهكذا أيضًا بالنسبة لآباء المراهقين . إن عليهم أن يأخذوا بأيدى أبنائهم وبناتهم ، ويحملوهم من شاطئ الطفولة إلى بحر الكبار ، وما فيه من أمواج صاخبة ، ومخاطر موهومة . والحزم الذى يستعين به والد المراهق والمراهقة هو حزم المتبصِّر، وليس حزم الأعمى ، الذى لا يشاهد الواقع والمستقبل .

فالأب إذن فى المراهقة باستخدامه الحزم والحسم ، إنما يكون كالمدرب الذى يأخذ الخاضعين لتدريبه بالتخشين ، وبما يبدو أنه قسوة ظاهرية . والواقع أن حزم الأب فى هذه الفترة يكون مشفوعًا بالحب المستتير ، ولا يكون مشوبًا بأية قسوة .

وهذا لا يفوت المراهق والمراهقة ، بل إنهما يستشعران ما يعتمل فى صدر الأب من حنو وعواطف أبوية عميقة .

ولا يفوتنا أن نذكر : أن عامل التخويف له أهميته فى تكوين الشخصية الاجتماعية ؛ ذلك أن الخوف كالملح على الطعام ، إن قل عن الحد المقرر ؛ صار الطعام ماسخا ، وإن زاد عن المعقول ؛ صار منفرًا للمذاق . والإنسان فى جميع مراحل عمره بحاجة إلى جرعة من الخوف تحميه من الشرور ؛ بل وتحميه من التورُّط فى تصرفات يعض أصبع الندم على إتيانها . وإذا كان الإنسان بحاجة إلى الخوف كأداة تربوية تهذيبية فى حياته ، فإن المراهق والمراهِقة أكثر حاجة من الكبير فى هذا الصدد . ولكن يجب ألا يستخدم التخويف بحماقة وإلا انقلب المراهق والمراهقة إلى طاغيين ، فيعلنان شق عصا الطاعة ، ويأخذان فى تحدى جميع القواعد المقررة ، ويعصيان جميع ما يصدر إليهما من أوامر .

والواجب أن يوجه الخوف لدى المراهق والمراهقة إلى ما يمكن أن يصيب شخصيتيهما من امتهان ، نتيجة التصرفات الهوجاء غير المرسومة . والأب الحكيم هو الذى يستطيع توفير فرص الإحساس بالكرامة لدى أبنائه المراهقين ، وإشعارهم بالخوف على سمعتهم ، وما قد يلحق بكرامتهم من احتقار إذا هم لم يراعوا أصول السلوك السوى .

وأفضل نوع من التخويف ، ما أتى بالطريق غير المباشر ؛ فالمراهق والمراهقة لا يحبان التهديد ، ولا يرغبان فى أن يساقا إلى ما ينبغى عليهما اتخاذه من تصرفات . إنهما يتأثران بالإيحاء غير المباشر ، أكثر بكثير من تأثرهما بالكلام المكشوف والنصائح العلنية .

والواجب أيضًا على الآباء ألا يفهما الحزم أو التخويف بأنه التشهير بأبنائهما المراهقين ، أو أن ينالا من سمعتهم أو كرامتهم أمام الآخرين . فالمراهق والمراهقة يعتدَّان بكرامتهما ولايرضخان للتشهير ، وفضح المستور عن أعين الناس . فالأب الحازم والحصيف فى الوقت نفسه ، لا يعلن مخازى أبنائه المراهقين أمام الناس ، ولا يعلن عن أخطائهما على الملاء ، إنه يتخذ من التوجيه ومن الأوامر الهادئة ، وسيلة فعالة وباترة للسلوك الردىء الذى يتعرَّض له الابن أو البنت .

وطبيعى أن الأب الذى يغالى فى تخويف أبنائه وبناته المراهقين . إنما يمسخ شخصياتهم ، ويقضى على ما بها من أصالة ، ويحول بينهم وبين تجريب الحياة ، كما يحول بينهم وبين تحمل المسئولية ؛ ذلك أن الخوف عندما يزيد عن الحد المعقول ، يسلب الشخصية قدرتها على إدراك مقوماتها ، كما يفقدها قدرتها على قياد نفسها بنفسها ، بل إنه يفقدها القدرة على التواؤم والتكيف للمجتمع ومطالبه وظروفه ، ويجعل المراهق والمراهقة شخصين غريبين عن واقعهما وشاذين فى تصرفاتهما ، إن لم يؤد بهما إلى الإصابة بحالات من المرض النفسى والعقلى .

ولقد يكون لسان حال المراهق فى بعض المواقف ، مطالبًا الكبار بإلجامه ، فهو يتلفت حوله طالبًا العون ، وبخاصة من الأب . وكثير من الكبار الفاشلين ينددون بآبائهم الذين لم يأخذوا فى إلجامهم فى وقت المراهقة ، ويقولون : « لو أن آباءنا كانوا حازمين معنا ، إذن لكنا قد شققنا طريقنا فى الحياة على نحو أكثر نجاحًا وفلاحًا مما عليه حالنا اليوم » .

والواقع أن هناك **فروقا جوهرية بين الحزم والقسوة . وأول فرق** نلاحظه ، هو أن الحزم يكون متبصرًا بظروف الموقف ومقوماته ، بل وبحالة المراهق والمراهقة النفسية ، بينما تكون القسوة عمياء ، لا تأخذ الظروف الموضوعية والظروف النفسية فى الاعتبار .

والفرق الثانى بين الحزم والقسوة ، هو ان الحزم صدى لمصلحة المراهق والمراهقة ، بينما تكون القسوة صدى للأحقاد المعتملة فى نفسية الشخص . فالأب الحازم لا يصدر فى حزمه إلا عن معرفة أكيدة بأن حزمه موصِّل إلى الطريق السليم ، وأنه يستطيع توظيف حزمه فى حياة المراهق ، والوصول به إلى الحياة السوية ، وإلى المستقبل المرموق . أما الأب القاسى فإنه لا يستطيع أن يميز بين ما يفيد المراهق وبين ما يضره . إنه يَصدر فى قسوته عن انفعالات تجيش فى صدره ، وهى انفعالات قاتمة حقودة غير متبصِّرة بالعواقب .

والفرق الثالث بين الحزم والقسوة ، هو أن الحزم يستهدف مساعدة المراهق على إلجام نفسه بنفسه ، بينما تستهدف القسوة سلب إرادة المراهق ، وجعله عاجزًا عن إلجام نفسه بنفسه ، وإنما يكون كبح جماحه من الخارج من جانب الأب . فالأب الحازم يهتم بأن يكون حزمه وسيلة معاونة على ترشيد المراهق أو المراهقة ومساندتهما على تحقيق الفطام النفسى والاجتماعى فى أقرب وقت ممكن . فالحزم إذن وظيفى ، ولا يعدو أن يكون وسيلة ، بينما القسوة هدف فى حد ذاتها ، تصدر عن الأب المريض بالسيطرة وكبح جماح الشخصيات المحيطة به، وبخاصة أبنائه وبناته . فالأب القاسى لا يفرح بأن يجد أبناءه قد شبُّوا عن الطوق ، وأنهم قد حظوا بقدر من القوة والاستقلال وتحمل المسئولية ، بل إنه يحزن لذلك ، ويتمنى لو يظلون صغارًا يكيل لهم العذاب ، ويسومهم الخسف ، ويبطش بهم كيفما يشاء .

أما **الفرق الرابع** بين الحزم والقسوة ، فهو أن للحزم أهدافًا إيجابية واضحة المعالم ، بينما القسوة سلبية وأهدافها أيضًا سلبية . فالأب الحازم يرغب فى تحقيق أشياء بعينها من وراء حزمه مع أولاده وما يريد تحقيقه إنما يكون أشياء بَنَّاءة وليست أشياء تنال من شخصية المراهق أو المراهقة . وحتى إذا طلب الأب الحازم من ابنه أو ابنته الامتناع عن نوع معين من التصرفات ، فإن امتناعهما ينتهى بهما إلى بناء جانب من شخصيتهما . أما الأب القاسى ، فإنه بقسوته يعمل على هدم جوانب جوهرية من شخصيات أبنائه وبناته .

أما **الفرق الخامس** بين الحزم والقسوة ، فهو أن الحزم يكون مشفوعًا بالحب الصادق والمتبصر من جانب الأب ، بينما تكون القسوة مشفوعة بمجموعة من الانفعالات والأحقاد العمياء . ولقد يتساءل البعض : وهل يمكن أن نتصور أبًا يحقد على أبنائه ؟ إن هذا ممكن وواقع فى كثير من الحالات . فإذا تخيلنا أن جميع الناس أسوياء وعقلاء وفضلاء ، فإننا نستطيع بالتالى أن نتصور أنهم جميعًا يحبون أبناءهم حبا عاقلاً ، ولكن الواقع أن كثيرًا من الآباء لا يتمتعون بالعقل الراجح ولا بالسوية الخالصة ولا بالفضيلة فى تَمها . ومن ثمَّ فإنك تستطيع أن تجد كثيرًا من هؤلاء الآباء يكونون قساة فى معاملتهم لأبنائهم وبناتهم ، ولا يتعاملون معهم بحكمة ، وبحب مستنير وصادق .

أما **الفرق السادس** بين الحزم والقسوة ، فهو أن الحزم يعرف الحدود التى يصل إليها والحدود التى يقف عندها ، أما القسوة فإنها لا تعرف لنفسها حدودًا . ولا غرو فكما سبق أن قلنا ، فإن القسوة عمياء ، بينما الحزم متبصر ومتفتح . فالأب الحازم لا يستخدم حزمه إلا بقَدَر ، ولا يتشبث بأن يكون حزمه فى كل موقف ومع كل ابن من أبنائه بنفس القَدْر . إنه ليس كالقاضى الذى يحاكم الجريمة ، بغير أن يأخذ فى اعتباره نفسية المجرم إلا بالدرجة الثانية بعد اعتبار ما قرره القانون من عقوبة توقَّع بإزاء كل نوع من الجرائم . إن الأب الحكيم يختلف فى موقفه عن موقف القاضى ، بأنه يرغب فى التبصير لا الانتقام للمجتمع . إن الأب مُرَب قبل أن يكون محقِّقًا للعدالة . إنه يريد أن يذهب بابنه أو بابنته إلى شاطئ النجاة من الشطط والتهور . ولذا فإنه يستخدم حزمه ؛ لتحقيق مصلحة الابن أو البنت ، وليس للتنكيل بهما أو أخذ حق العدالة منهما .

والفرق السابع بين الحزم والقسوة ، هو أن الحزم يساعد المراهق والمراهِقة على الاستقلال التدريجى ، بينما لا تحقِّق القسوة إلا العبودية وفقدان الإحساس بالمسئولية وامتناع تبلور الشخصية .

والفرق الثامن ، هو أن الحزم يعرف أكثر من طريقة لإلجام نزوات المراهق والمراهقة ، بينما لا تعرف القسوة طريقًا لتحقيق ذلك ، إلا القهر وقمع كل ما ينم على الخروج عن الخط المرسوم من جانب الأب .

أما **الفرق التاسع** ، فهو أن الحزم يساعد المراهق والمراهِقة ، على تحقيق قدر أكبر من التكيُّف للحياة ، بينما تجعل القسوة المراهق والمراهِقة غريبين عن المجتمع ، وغير متكيفين للحياة الاجتماعية .

وأخيرًا فإن **الفرق العاشر** ، هو أن الحزم ينال استحسان الناس ، سواء بالأسرة أو بخارجها ، بينما تنال القسوة السُّخْط والاحتقار من جميع معارف الأب المتَّصف بالقسوة . وطبيعى أن يحظى الأب الحازم بإعجاب وحب أبنائه المراهقين وتقديرهم ، بينما يسخط أبناء وبنات الأب القاسى ، ويتمنَّون اختفاءه من مسرح حياة الأسرة فى أقرب وقت ممكن .

رعاية بغير تدخل :

على الرغم من أن الرعاية تتضمن معنى التدخل ، فإننا مع هذا نميِّز بين الرعاية والتدخل ، وذلك بِجعل الرعاية لا تعنى التدخُّل بالطريق المباشر ، بل بالطريق غير المباشر . فالتدخل المباشر يجعل المراهق والمراهِقة مجرَّد خامة تخضع للتشكيل ، بحيث لا يكون لهما دور إيجابى فى توجيه الذات وَفْق المقومات الشخصية التى جبلا عليها .

والواقع أن مصلحة المراهق والمراهقة تقتضى أن يكون تدخُّل الأب بالطريق غير المباشر ، أعنى : بالرعاية . وهنا نستطيع تقسيم الآباء إلى نوعين أساسيين : نوع يؤمن بالتدخل المباشر ، فتكون التربية فى هذه الحالة موصوفة بأنها **تربية ميكانيكية** ، كما قد يكون التدخل بالرعاية والتوجيه فيما يتعلق بالأساسيات ، وهذا ما يوصف **بالتربية الديناميكية** .

والتربية الميكانيكية تتكر على الأطفال والمراهقين الحرية فى الاختيار ، وتعتبر أن الكبار وحدهم هم الجديرون بالاختيار للصغار ؛ لأنهم وحدهم الذين يدركون بوضوح مصالح الطفل ، وما قد يعطّل أو يعرقل تلك المصالح . وتقوم هذه الفلسفة الميكانيكية على أساس من الاعتقاد بأن الطفل صفحة بيضاء يكتب عليها المربون ما يريدونه ، ويمحون ما يجب محوه منها . ومعنى هذا : أن المؤمنين بهذا النوع من التربية ينكرون الدور التفاعلى فى التربية ، ويعتقدون أنها عملية إملاء وتشكيل لملامح الشخصية .

ولكن **الفلسفة الديناميكية** فى التربية تناهض الفلسفة الميكانيكية ، معتقدة أن التربية هى عملية مشتركة بين المربى من جهة ، والطفل أو المراهق الخاضع للتربية من جهة أخرى . وحتى كلمة « خاضع » التى ذكرناها هنا ، لا تتماشى فى الواقع مع اتجاهات التربية الديناميكية . وأفضل منها أن نستخدم كلمة « المشارك » . فالطفل أو المراهق فى التربية الديناميكية هو شريك للمربى فى عملية التربية . إنه ليس خامة يراد تشكيلها أو تحديد ملامحها . إنه كائن حى يتضمن بالفعل كل مقومات الشخصية ، وليست مهمة المربى سوى الكشف عن تلك الاستعدادات والإمكانات ، وإخراجها من حيِّز الكمون إلى حيِّز الواقع الخارجى . فالتربية الديناميكية إذن بمثابة تفاعل لا تعرف نتائجه بالضبط ؛ ذلك أن المربى لا يحدد مقدمًا نتائج التفاعل التى ستحدث ، بل هو يفترض أن عنصرًا مثيرًا ما قد يصلح لتفاعله . إنه ليس كالكيميائى الذى يكون متأكدًا فى الغالب من صلاحية العناصر للتفاعل قبل تجهيز الموقف التفاعلى ، فموقف المربى الديناميكى موقف حدسى تخمينى ، وليس موقف الواثق من التفاعل . ولذا فإنك تجده مجهِّزا كثيرًا من العناصر التربوية التى يحتمل تفاعلها مع الطفل والمراهق ، ويوفِّر لها جميع الظروف التفاعلية التى يرى أنها أصلح من غيرها للتفاعل ، ويتركها وشأنها .

والواقع أن موقف المربى الديناميكى هذا ، ليس مناهضًا للاتجاه العلمى . ففى بعض الأحيان لا يكون عالم الكيمياء - الحقيق بنعته بأنه عالم - واثقًا من التفاعل الذى يحدث ، فيعمد إلى الحدس والتخمين ، كما يفعل المربى الديناميكى . فتقديم الفروض أساس - فى الواقع - فى التفكير العلمى كما نعلم .

والمهم فى موقف الأب الذى يؤمن بهذه الفلسفة الأخيرة ، هو موقف المعترف بأن للمراهق والمراهِقة نطاقًا معينًا يتحركان فيه ، ويسيطران عليه . وهذا لا ينطبق على حالة المراهق وحده، بل ينطبق أيضًا على الطفل الصغير. فالواجب على الأب المؤمن بهذه الفلسفة ـ وهى ذاتها فلسفة الرعاية المناهضة لفلسفة التدخل المباشر ـ أن يترك بدائل للاختيار أمام أطفاله ، وذلك حتى يجعل منهم أشخاصًا يصنعون شخصياتهم بأيديهم ، فلا تأتى شخصياتهم شخصيات زائفة بعيدة عن الأصالة . فنحن مهما قلنا عن البيئة من حيث قوة تأثيرها فى الإنسان ، فمما لا شك فيه أن المقوِّمات الوراثية التى نولد بها جديرة باعتبارنا ، بحيث لا تأتى تربيتنا لأطفالنا ومراهقينا من فراغ ، بل تأتى على أساس مما وُهِب الطفل بالوراثة .

بيد أننا يجب أن نكون واضحين فى هذه النقطة . فنحن لا نبدأ فى كل موقف خِبْرى من المقومات الوراثية ، بل نبدأ فى كل موقف خِبْرى من المستوى التفاعلى الذى وصلنا إليه بالفعل . فنحن فى حياتنا نسير بطريقة تفاعلية تراكبية . فعندما أقرأ كتابًا ، فإنى أقرؤه بكل حالتى التى وصلت إليها وقت قراءته . ومادامت المقومات الموروثة وأيضًا المؤثرات الخِبْرية متباينة من شخص لآخر ، فإنك لا تستطيع أن تفترض أن هناك شخصية تتطابق معك ، حتى ولو كانت تلك الشخصية هى ابنك أو ابنتك . إذن ليس أمامك سوى أن تعترف بأن من الواجب عليك أن تهيئ أفضل المؤثرات البيئية لأولادك بغير أن تتدخل فى النتائج التى يمكن أن تنتهى إليها التفاعلات الخِبْرية الحاصلة .

والواجب على الأب أيضًا أن يضع نصب عينيه أن نطاق التحرك الذى يتمتع به الطفل ، يأخذ فى الاتساع كلما تقدم من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية تالية . ومعنى هذا أن المراهق والمراهقة يجب أن يستمتعا بنطاق واسع للتحرك والتصرف . ويجب أن يسمح لهما بالتعبير عن دخيلتيهما بحرية . أما أن يعتقد الأب أن المراهق والمراهقة لا يعدوان أن يكونا طفلين ، ولا يجب أن يمنحا حرية الفكر والتصرف أكثر مما يمنح للطفل ؛ فإن معناه : مصادرة حرية يجب أن تُكْفل ، ومعناه : تشويه ملامح يجب أن تتحدد ، ومعناه : مصادرة مسئولية يجب أن يترك للمراهق والمراهِقة فرصة كافية لتحملها .

ولكن يجب ألا يَعْزب عن بالنا فى الوقت نفسه أن المسألة هنا تختلف وتتباين من شخص لآخر ، وأن المراهقين والمراهقات يختلفون فيما بينهم من حيث النطاق الذى يجب أن يسمح لكل منهم بالتحرك فيه ، وتحمُّل المسئوليات خلاله . فهناك من المراهقين والمراهقات من يسبقون غيرهم فى النضج العقلى والنضج الاجتماعى ، بل والنضج الجسمى . ولذا يجب أن يأخذ الأب العاقل هذا فى اعتباره ، فيعامل ابنه المراهق وابنته المراهقة فى ضوء ما أوتيا من نضج جسمى وعقلى ووجدانى واجتماعى . فكلما وجد الأب أن ابنه المراهق أو ابنته المراهقة قد توافر لهما قدر أكبر من النضج ، فالواجب عليه أن يسارع بتوسيع نطاق الحرية المكفولة لهما ، وألا يظل مضيِّقًا نطاق التحرك أمامهما .

ونستطيع أكثر من هذا أن نؤكد أن وظيفة الأب ، هى تشجيع المراهق والمراهقة على الفطام النفسى والاجتماعى كما سبق أن ذكرنا . ولكى نترجم هذا فى ضوء فكرة الرعاية ، نقول : إن الأب الحصيف ، هو الذى يساعد أبناءه على الاستقلال عنه ، ولا يكون تدخله فى شئونهما إلا بالقدر اللازم ؛ لحفظهما بعيدًا عن المزالق ، وبالقدر الذى يؤازر نموهما وتقدمهما نحو الاستقلال والتقدم فى الحياة واستغلال ما لديهما من إمكانات وقدرات .

وجدير بالأب الذى يجد نفسه عاجزًا عن تقديم عناصر خِبْرية جديدة أن يتوقف عن التدخل بدلا من أن يأتى تدخله مضيِّعًا لما لدى المراهق والمراهقة من استعدادات طيبة ، وحتى لا ينتج عن تدخله مَسْخ شخصيات أبنائه ، وحتى لا يفشل فى الوصول إلى مبتغاه ، ويأتى تدخله معهم بغير ما تصوره من نتائج .

وكقاعدة عامة يجب أن يقتصر تدخل الأب الحصيف فى شئون أبنائه المراهقين والمراهقات على نطاق الأساسيات ، وألا يقحم نفسه فى الفرعيات والتفاصيل . الواجب أن يعطى ابنه وابنته الفرصة لتشكيل شخصيتيهما ، وبخاصة فيما يتعلق بالفروع . والواقع أن الكلام عن الأساسيات والفرعيات ، يسوقنا إلى الكلام عن النسبية . فكثير من الأساسيات فى فترة نمائية معينة ، يُعَد من الفرعيات فى فترة أخرى . خذ مثالاً لذلك : كتابة الخط . إن تعلُّم الخط فى مرحلة عمرية معينة (المرحلة الابتدائية) يكون من الأساسيات ، ولكنه يصير من الفرعيات

فى المراحل التالية . وقد يحتاج الطفل الصغير خلال المرحلة الابتدائية إلى تدخُّل مباشر فى استذكاره وفى طريقة كتابته ، وفى جلسته إلى المكتب ، وفى غير ذلك من المسائل الدراسية ، ولكن الحال يختلف عن ذلك فى المرحلة الاعدادية والثانوية . فإذا صح للأب أن يتدخَّل فى تلك المسائل وابنه أو ابنته بالمرحلة الابتدائية ، فلا يصح له ذلك ، وقد انخرط ذلك الابن أو تلك البنت بالمرحلة الإعدادية أو المرحلة الثانوية .

فيجب إذن على الأب أن يميِّز بين الأساسيات والفرعيات فى كل مرحلة عمرية . وعليه فى المراهقة أن يقف على الأساسيات والفرعيات فى حياة المراهق والمراهِقة ، وأن يمنع نفسه من التدخل فى الفرعيات و يتركها لابنه وابنته ، ولا يكون تدخله إلا بالنسبة للأساسيات وحدها . ويتطلب هذا من الأب أن يكون متطوِّرًا ، وألا يتجمد فى معاملته لأبنائه . فما يصح فى الطفولة ، قد لا يصح فى المراحل العمرية التالية . إذن يجب على الآباء أن يفهموا مقتضيات ومطالب مرحلة المراهقة، وأن يأخذوها فى اعتبارهم ، ويمرنوا أنفسهم على مراعاتها عمليا فى سلوكهم ، بإزاء أبنائهم وبناتهم المراهقين .

ولعلنا نحاول فيما يلى تحديد **الفروق الأساسية بين الرعاية والتدخل** :

أولا ـ تتطلب الرعاية توافر التفاعل المشترك فيما بين الكبير والصغير . أما التدخل فإنه يقتضى الفرض والإجبار من طرف واحد هو الكبير على الصغير .

ثانيا ـ تستلزم الرعاية الاستعانة بعمليتى الإقناع والاقتناع المستمرَّين . وهذا ما يعرف بالفكر الديالكتيكى أو الجدلى بين طرفين . والفكر الديالكتيكى قد يصل إلى نتائج لم تكن مرسومة أو محددة من قبل . أما التدخل فإنه يستلزم الفرض الفكرى من الكبير على الصغير . ولا شك أن الطريقة الديالكتيكية تساعد كلا من الأب والمراهق على النمو الفكرى وعلى التفتح الذهنى المستمر .

ثالثا ـ تستلزم الرعاية فهمًا واضحًا ومحددًا لما لدى المراهق والمراهقة من إمكانات واستعدادات وخواص فكرية ونفسية واجتماعية ، وأخذ هذا كله فى الاعتبار لدى التعامل معهما . فالشخص المؤمن بالرعاية كمن يقوم بدراسة آلة ما قبل استخدامها ـ مع الفارق فى التشبيه ـ فالحصيف هو الذى يعرف خصائص تلك الآلة قبل

الإقدام على إدارتها ؛ حتى لا يفسدها . والأب الحصيف أيضًا يجب أن يقرأ ويفهم خواص المراهقة ، ولا يعتمد على إحساسه الداخلى ، أو على ما يكنه من حب لأبنائه ، أو على ثقافته العامة التى حصل عليها فى تخصصاته المهنية .

رابعا ـ تستلزم الرعاية أيضًا الأخذ بالفهم التطورى لطبيعة الإنسان الذاتية . فلا يكفى أن يفهم الأب خواص المراهق والمراهقة كما قرأها بالكتب ، بل يجب أن يكون متابعًا لما يحدث من تطورات فعلية لدى أبنائه وبناته المراهقين . فلكل شخص خصائص ذاتية تختلف عن خصائص غيره ، حتى وإن اشترك مع أترابه فى إطار عام من الخصائص المشتركة . أما التدخل فإنه لا يعمل حسابًا لذلك التطور .

خامسا ـ تستلزم الرعاية تغيير الوسائل المستخدمة بحسب الظروف القائمة . فالأب الذى يؤمن برعاية أولاده دون التدخل فى شئونهم ، يقوم بتعديل وسائله المستخدمة كلما وجد وسائل بديلة أفضل من الوسائل التى دأب على استخدامها . أما التدخل فإنه لا يؤمن إلا بوسيلة واحدة لا تتغير حتى وإن ثبت فشلها فى التعامل مع المراهق والمراهقة .

سادسا ـ قد تتطلب الرعاية تغيير موقف الأب والرجوع عما كان يأخذ به من أفكار ومبادئ . فالأب المؤمن بالأخذ بالرعاية لا يقدس الأفكار والمبادئ التربوية التى يستعين بها فى رعاية المراهق والمراهقة ، إذا ما صادف أفكارًا ومبادئ أفضل فى سياستهما . ولكن هذا لا يعنى أن الأب المؤمن بالرعاية يتقلب من فكرة إلى أخرى ، ومن مبدأ إلى مبدأ آخر ، بل معناه : أن المرونة فى التفكير تكون هى الهادى للأب ، وهي السبيل الذى يتبعه فى تربيته . وفرق كبير بين الانتقال الطبيعى من فكرة إلى أخرى ، ومن مبدأ تربوى إلى مبدأ تربوى آخر، وبين التذبذب بين فكرتين أو التذبذب بين مبدأين .

سابعا ـ إن الرعاية توفر الطمأنينة للمراهق والمراهقة ؛ ذلك أن الأب الذى يؤمن بالرعاية ، يعمد أيضًا إلى توفير الطمأنينة والجو المناسب لأبنائه المراهقين والمراهقات . حتى ينموا فى جو مناسب للتقدم فى الحياة ، وتحمُّل المسئولية. أما فلسفة التدخل فإنها لا تورث إلا القلق للأبناء والبنات المراهقين .

ثامنا - يشجع الأبُ المؤمن بالرعاية أولاَده وبناته المراهقين على إبداء ما يدور بخلدهم من نقد ونقد ذاتى . أما الأب المؤمن بالتدخل ، فإنه يصادر حرية النقد مصادرة تامة، ويحذِّر أولاده وبناته من الوقوف على أية نقيصة فى طريقة التربية التى يخضعون لها، وأن يلتزموا السلبية بأن يتقبَّلوا كل ما يقال لهم بغير أدنى مناقشة .

تاسعا - إن الأب المؤمن بالرعاية لا يعمد إلى تحديد ملامح شخصيات أبنائه وبناته المراهقين بطريقة مُسْبقة ، بل هو يقدِّم الجو التربوى الملائم للنمو بغير أن يتساءل عما سيحدث من نتائج ، وعما ستؤول إليه سماتهم الشخصية . أما الأب المؤمن بالتدخل فإنه يحدد قسمات شخصيات أبنائه وبناته المراهقين بشكل مُسْبق ، ويغضب جدا إذا وجد أن ما حدده لهم من صفات ومواصفات لم يتحقق لديهم بالفعل .

عاشرا - إن الأب المؤمن بالرعاية ينظر إلى الشخصية بطريقة تكاملية ، أما الأب المؤمن بالتدخل فإنه يتناول الشخصيات التي تخضع لرعايته بطريقة مقطعة ، ويصب اهتمامه كله أو معظمه على الجوانب التى تجذب اهتمامه وتستحوذ على وجدانه .

ويتضح مما سبق ما للرعاية التربوية من ميزات تَفْضل التدخل المباشر .

ونستطيع تلخيص **المزايا التربوية المتأتية عن الأخذ بفلسفة الرعاية التربوية** فيما يلى:

أولا - لا شك أن المراهق والمراهقة اللذين يتربيان على أساس من الرعاية التربوية ينشآن على أصالة الشخصية ، فتكون حياتهما وتصرفاتهما وكل ما يصدر عنهما من سلوك نابعًا عن دخيلتيهما الحقيقيتين ، ومعبِّرًا عن جوهرهما .

ثانيا - تعتبر شخصية المراهق أو المراهقة فى رحاب هذه التربية شخصية حرة تسلك سلوكًا نابعًا من أعماقها ، وليس سلوكًا مفروضًا عليها من خارج .

ثالثا - تتضمن هذه التربية استمرار التقدم وعدم التوقف عن التفتح على الحياة بمجرد رفع الأب يده عن تربية المراهق أو المراهقة .

رابعا - توفر هذه التربية للمراهق والمراهقة الشعور بالمسئولية والقدرة على تحمُّل أعبائهما.

خامسا - توفر هذه التربية للمراهقين الفكر الخلاق الذى يتمكنون بواسطته من سَبْر أغوار المجاهل الفكرية والضرب فى سبل جديدة لم تكن ميسرة لهم من قبل .

سادسا ـ واضح أن الأب الذى يأخذ بهذا النوع من التربية ، يكون أكثر راحة من الأب الذى يأخذ بالتربية التى تعتمد على التدخل المباشر . ذلك أن الأب الذى يأخذ بالرعاية ، يلقى بمسئولية توجيه السلوك على أبنائه وبناته المراهقين شيئًا فشيئًا .

سابعا ـ من المقطوع به أن الأبناء والبنات المراهقين ، الذين يتربون بالرعاية ، يكونون على جانب من الصحة النفسية أفضل بكثير مما يحظى به أولئك الذين خضعوا للتدخل المباشر باستمرار .

ثامنا ـ أخيرًا فإن التربية بالرعاية ، تجعل من الممكن بالنسبة للمراهقين الإفادة من الخبرات التي سبق لهم اكتسابها ؛ وجعلها قابلة للتطبيق العملى فى الحياة .

إنفاق بغير تبذير :

يخرج المراهق والمراهقة من طور الطفولة الثانية إلى طور المراهقة ، وقد أخذت مطالبهما فى التزايد المستمر ، بل وفى التزايد المتدفق والمفاجئ . فبعد أن كان الطفل والطفلة خاضعين للكبار بالنسبة لما يقدمونه إليهما بغير مناقشة تقريبًا ، وبغير اعتراض إلا فى النادر ، فإننا نجد أن المراهق والمراهقة قلما يكونان راضيين عما يقدم إليهما من ملابس ، أو عما يتوافر لهما من وسائل ترفيهية . وأكثر من هذا فإنهما يأبيان على الكبار من حولهما أن يقوموا بتوفير الأشياء لهما بغير أن يأخذوا رأيهما ، وبغير أن يكون لهما الاختيار الأساسى فيما يشترى لسد احتياجاتهما . ولعل المراهق والمراهقة يفضّلان أن يتسلما النقود من الأب ، وأن يقوما بنفسيهما بشراء ما يلزمهما بغير استثارة أو توجيه من جانب الكبار .

والمشكلة التى يصادفها الأب والأم ـ وبخاصة الأب ـ فى هذا الموقف ، هى نقص خبرة المراهق والمراهقة فى توجيه النقود التى تصل إلى أيديهما على نحو سليم . فلقد يذهب المراهق أو المراهقة لشراء شىء يكونان قد اتفقا عليه مع الأب ، وإذا بهما ينفقان النقود فى شىء آخر جذب انتباههما ، وقد انصرفا عن اهتمامهما بالشىء الأصلى الذى كانا يلحّان على الأب للحصول عليه واقتنائه . وواضح أن الأب يُصدّم لذلك ، ويحس بأن ما أنفقه ابنه المراهق أو ابنته المراهقة ، إنما ذهب إلى الضياع ، وأنه قد خسر النقود التى أنفقت فى غير ما طائل ، وبغير فائدة تُذكر .

ويحدث فى كثير من الأحيان أن يُلح المراهق والمراهقة على طلب أشياء استلبت لبهما ، وأخذت بمجامع قلبيهما ، وأسرت وجدانهما ، ولكن الأب لا يجد أية وجاهة فى إلحاحهما ، فيأبى عليهما ما طلباه . ولكن البؤس يأخذ فى الارتسام على محياهما ، وقد يلجآن إلى الأم للتدخل بالشفاعة لدى الأب . وفى أغلب الأحيان يمتثل الأب لشفاعة زوجته التى يحبها ، وهو الذى يحب أبناءه وبناته أيضًا ، ويتمنى لو يوفر لهم كل ما يطلبونه ، وكل ما تتمناه قلوبهم . ولكن على الرغم من تقديم الأب النقود التى يطلبها الابن المراهق أو البنت المراهقة لشراء ما يرغبان فيه ، فإنه فى قرارة نفسه لا يكون مقتنعًا بوجاهة ما سوف تنفق فيه النقود التى خرجت من جيبه.

ولقد تجد المراهق والمراهقة يلحان على الأب لزيادة مصروف الجيب الذى اعتاد أن يقدمه إليهما . إنهما يجدان أن ذلك المصروف ضئيل ، ولا يكفى لشراء ما يرغبان فى شرائه ، وللصرف على ما يبعث السرور فى نفسيهما . ولا ينظر المراهق والمراهقة إلى الاعتبارات الأخرى المتعلقة بجوانب الإنفاق على الأسرة . إنهما لا يهتمان غالبًا إلا بشئونهما الخاصة ، وبالزاوية التى تجذب انتباههما وتستلب قلبيهما . وقد يحاول الأب جاهدًا أن يثنى ابنه المراهق أو ابنته المراهقة عن الإلحاح على مطالبيهما بغير ما جدوى . ذلك أن المراهق والمراهقة يتّسمان بالإيمان بما يلح عليهما من مطالب ورغبات .

والخطورة التي تعتور طريق الإنفاق لدى المراهق والمراهقة ، تتمثل فى أنهما لا يستطيعان التمييز بين أولويات الإنفاق . إن الأولوية التى يضعانها فى المرتبة الأولى وفى أول القائمة بصفة مستمرة ، هى ما يعتمل لديهما من رغبات ملحة تستأثر بهما، وتستلب لبهما ، وتأخذ بمجامع قلبيهما . ولقد ينفق المراهق والمراهقة مصروفهما فى شىء تافه ، أو ربما فى شىء ضار . ولذا فإن النقص فى حنكة المراهق والمراهقة فى توجيه دفّة الإنفاق يعرضهما لخطر الانزلاق فى مهاوى الرذيلة.

والواقع أن باب الرذائل ينفتح على مصراعيه بسبب جهل المراهق والمراهقة بما ينبغى أن ينفقا فيه ما فى جيبهما من نقود . وكثيرًا ما نجد أن تجار الرذيلة يعرفون نقطة الضعف لدى المراهق والمراهقة ويبدأون فى الضرب على أوتارها ، بحيث يأخذونهما أسيرين فى الفخ الذى نصبوه لهما . وأكثر تلك الفخاخ ذيوعًا فى مصر

والبلاد العربية الجنس والمخدرات والتدخين . فتجار الجنس يعرفون ما للغريزة الجنسية من سلطة وسيادة على وجدان المراهق وانفعالاته ، فيأخذون فى تقديم الملذات الجنسية إليه نظير نقود فى مقدوره سدادها . وحالما يجد تجار الجنس أنه قد وقع فريسة فى حبائلهم ، فإنهم يأخذون فى زيادة الثمن الذى يجب عليه تقديمه . ولكن عندما يجد المراهق أنه لا يستطيع مسايرة تاجر الجنس فيما يطلبه من ثمن باهظ ، فإنه يأخذ فى الإلحاح على أهله ؛ لكى يرفعوا من قيمة ما يقدمونه إليه من مصروف ، وكثيرًا ما يعترض الأب على طلب الابن المراهق بزيادة مصروفه ، ولكنه يخضع بعد أن تتدخل الأم أو الجدة ، طالبة من الأب ألا يحطم شخصية الابن ، وألا يحرمه من الزيادة المطلوبة ، وهي لا تعلم شيئًا عن سر طلبه لتلك الزيادة .

وكثيرًا ما يعمد تجار الجنس إلى ما يشبع غرور المراهق ، فيأخذون فى الضرب على الأوتار الحساسة بشخصيته ، وذلك بامتداحه بأنه معطاء كريم ، أو أنه بادى الثراء، وأن مظهره الوسيم ينم عن ذلك ، وأن من يشاهده لابد راءٍ فيه أنه من سلالة الأشراف، ومن أصحاب الضياع والأطيان والخزائن العامرة بالذهب الرنان. ولقد يعمد أصحاب المحال التى تبيع الجنس خفية إلى الدفع بالراقصات وبائعات الهوى من بنات الليل لكى يجالسن المراهق ، ويبدين إعجابهن بما حباه اللّه به من خلقة تسحر الألباب ، وتأخذ بمجامع القلوب . وكثيرًا ما يقال للمراهق الأسطوانة المحفوظة التى تلوكها ألسنة بائعات الهوى لكل من يصادفهن فى المواخير من شباب ومراهقين.

أما المخدرات والسجائر فإنهما من مستلزمات السهرات الليلية ، وبجانبهما الخمر . وعلى الرغم من أن كثيرًا من المراهقين يجدون الحزم والشدة من جانب الآباء بحيث لا يذهب الواحد منهم إلى منتهى الرذيلة ، فإن الواقع أن المراهقين والمراهقات عرضة للانحراف أكثر مما يتعرض أى شخص فى أية سن أخرى . ذلك أن المراهقين والمراهقات يتشوقون إلى الحرية ، وإلى تحمل المسئولية ، ويظن الواحد منهم (أو الواحدة منهن) أن من العيب أن يظل خاضعًا لتوجيه الآباء ، وأن الجدير به أن يستقل فى الرأى ، وأن يأخذ بزمام العمل والتصرف ، وألا يركن إلى ما ألِفه الكبار من حوله من ألوان التصرف والسلوك . ومادامت خبرة المراهق والمراهقة خبرة فجَّة ، ومادام اللعب بعواطف وغرائز المراهق والمراهقة شيئا ميسورا وسهلا ، لذا فإنك تجد أنهما يكونان أكثر الناس قابلية للانحراف والخروج عن الخط المرسوم .

ولسنا هنا نطالب الآباء بالتقتير على المراهقين والمراهقات ؛ ذلك أن التقتير على المراهق والمراهقة يحملهما على اتخاذ طرائق ملتوية فى السلوك . لقد يحدث عندما تلح الرغبة لدى المراهق للإنفاق لإشباع رغباته التى يحرِّمها عليه الأب، أن يعمد إلى مد يده إلى جيب والده ، ويسرق منه . وربما يجترئ المراهق لارتكاب ما هو أشد جرمًا من ذلك ، فيسرق بعض مصوغات والدته ؛ لكى يبيعها بأبخس الأثمان ، ويأخذ المال الذى يستطيع الحصول عليه نظير ما سرقه ثم ينفقه فى غير ما طائل .

أضف إلى هذا أن التقتير على المراهق والمراهقة ، يؤدى إلى شيوع الكراهية فى قلبيهما ، ويبدآن فى الحقد على الأب الذى لم يعطهما الفرصة الكافية لتذوق الحياة والاستمتاع بطيبات الدنيا وملذاتها . وينسى المراهق والمراهقة أن الأب لم يقتر عليهما رغبة فى الحرص على المال دونهما ، بل إنه أراد بذلك الحفاظ عليهما من الزلل والانحراف عن الطريق المستقيم . والسبب فى هذا النسيان - أو عدم التبصُّر بتعبير أدق - هو قصر نظر المراهق والمراهقة ، واعتبار رغباتهما شيئًا مقدسًا يجب ألا يمس ، بل يجب الوفاء بمطالبه كما ارتسم فى عقليهما ، وكما يخامرهما ، ويداعب خيالهما .

أضف إلى هذا أيضًا أن التقتير على المراهق والمراهقة ، يؤدى إلى إحساسهما بالنقص الشديد لدى وجودهما مع أقرانهما والإحساس بالنقص إذا ما استمر واشتد وتأصل بالشخصية ، فإنه يضحى سِمة لتلك الشخصية . وإنك لتقابل أشخاصًا من الكبار ، فتحس بمجرد جلوسك إليهم أنهم يخشون التعامل مع غيرهم، أو أنهم يحسون بالرغبة فى الانزواء عن الأنظار ، وكأنهم يحسون بأن الأرض ستميد من تحتهم ، وبأنهم أضحوكة الناس ومثار سخريتهم . وعلى الرغم من أنهم تركوا المراهقة ، وانخرطوا فى عالم الكبار ، وأخذت النقود تسيل فى أيديهم بوفرة ، فإن السمة السائدة على شخصياتهم هى الشعور بالنقص ، كأنهم يخشون من أن يطلب منهم أحد إخراج قرش من جيوبهم .

الواقع أن ما يحدو بالآباء فى الغالب إلى التقتير على أبنائهم وبناتهم فى المراهقة ، هو ميل المراهقين بوجه عام إلى التبذير . فالمراهق والمراهقة أميل ما يكونان إلى الظهور بمظهر الكرماء والأغنياء فى الوقت نفسه . وأخشى ما يخشاه

المراهق والمراهقة أن ينعتهما الأصدقاء والصديقات بالبخل والإمساك عن الإنفاق . وشدة حساسية المراهق والمراهقة لكرامتهما ، وشدة رغبتهما فى الحفاظ على الأصدقاء والصديقات تجعلهما فى خشية من الاتهام بالتقصير فى حق الصداقة ، أو بالعزوف عن الإنفاق فى سبيل دعم الوشائج الأخوية وتوثيقها وعدم تكريم الصداقة والأصدقاء . ولا يكتفى المراهق والمراهقة بإبداء الاستياء من شُح الأب عليهما ، بل إنهما يفلسفان المواقف ، ويأخذان فى رسم أصول للحياة والعلاقات ، ويعمدان إلى تسفيه الطريقة التى ينتهجها الأب فى الحياة ، ويقران خطا جديدًا يجب أن تسير العلاقات بين الناس بمقتضاه .

والمشكلة الرئيسة التى تجابه المراهقين والمراهقات هى مشكلة تحقيق التوازن فى جوانب الإنفاق المختلفة .. ولا غرو فإن المراهقين والمراهقات ما يزالون بعيدًا عن المسئوليات ، كما أنهم ما يزالون غير مدربين على توزيع النفقات . وأكثر من هذا فإن الأهم لديهم هو ما يستحوذ أكثر من غيره على لبِّهم . والأهم لديهم لا يستمد أهميته من اعتبارات موضوعية ، بل يستمد أهميته من اعتبارات وجدانية . إذن فالأهمية لدى المراهقين هى أهمية وجدانية ، وليست أهمية اقتصادية أو اجتماعية أو موضوعية . ولا شك أن الأهمية السيكلوچية أو الوجدانية لا تعنى شيئًا فى نظر الآباء . ذلك لأنهم لا يقيمون أى اعتبار إلا لأهمية واحدة هى الأهمية الموضوعية الواقعية التى لا دخل للعواطف فيها .

ولكن ما الحل الواجب الاتباع بإزاء تربية المراهقين والمراهقات فيما يتعلق بالإنفاق ؟ هل يجب على الآباء أن يأخذوا بسياسة التقتير أم أن يأخذوا بسياسة تقديم كل ما يطلبه المراهق بغير مناقشة ؟ وهل يجب على الآباء أن يحاسبوا أبناءهم المراهقين على ما أنفقوه ، وأن يوبخوهم أو ينتقدوهم لدى اكتشافهم أن الإنفاق لم يكن فى غير محله ؟

للإجابة نقول : إن واجب الآباء أن يوجهوا المراهقين ويدربوهم على طريقة الإنفاق المثلى ، وألا يتركوا ذلك للمصادفة ، ولا يؤجلوه حتى يصير المراهق من أفراد مجتمع الكبار المسئولين ؛ ذلك أن القاعدة التربوية المثلى هى أن الحياة لا تقدَّم - ولا ينبغي أن تقدَّم - إلى الإنسان طفرة واحدة ، بل يجب أن يعيش الإنسان فى

الحياة بالمشاركة فيها ، وألا يبعد عن سياقها ، وألا يُعْفى من مسئولياتها ، ويجب أن يبدأ الآباء بتدريب أبنائهم المراهقين وبناتهم المراهقات على أصول الإنفاق ؛ حتى لا يجدا نفسيهما فى مواجهة المسئولية دفعة واحدة بلا تمهيد وبلا توجيه ، والواقع أن التدريب على الإنفاق شأنه شأن أى قطاع حياتى من قطاعات الحياة . والحياة بقطاعاتها المختلفة ، يجب أن تخضع للتدريب والتوجيه ، ويجب ألا تترك للمصادفة والظروف . ونستطيع القطع بأن كثيرًا من الارتباكات المالية التى تظهر فى حياة الكبار ، إنما ترجع بالدرجة الأولى إلى عدم التدرُّب على تحمل مسئولية الإنفاق منذ الصغر ، وبخاصة فى فترة المراهقة . ومعنى هذا : أن واجب الآباء ألا يقتروا على أبنائهم المراهقين والمراهقات ، بل أن يأخذوا فى جعلهم شركاء فى الشئون المالية للأسرة ، وتبصيرهم بجوانب الإنفاق وكيف توزع الميزانية عليها ، فهذا فى الواقع أدعى إلى تصحيح نظرتهم الرومانسية إلى النقود ، وجعلها نظرة واقعية نوعًا ، وقريبة من الموضوعية . ولكن هذا لا يعنى أن نجعل المراهق والمراهقة مهيمنَيْن على شئون الأسرة المالية ، بل معناه : إدخالهما فى زمرة المسئولين فقط ، ولو من الناحية المعرفية بإزاء أحوال الأسرة وموقفها المالى .

وليس معنى هذا أيضًا أننا لا نعزل مصروف المراهق عما يتاح للأسرة من مال كمؤسسة للإنفاق على مطالبها . فالواجب أن يتم هذا العزل ، فمصروف المراهق والمراهقة يجب أن يتحدَّد ، ويجب ألا يختلط مع ميزانية الأسرة ، ويجب أن يمرِّن الآباء أنفسهم على عدم استرداد ما سبق أن منحوه لأبنائهم وبناتهم المراهقين، وأن يمنحوا أبناءهم فرصة التصرف فى مصروفهم ، مع تقديم النصح لهم إذا ما وجدوا أن إنفاقهم لا يسير على الوجه السليم ، أو أنهم لم يحسنوا توزيعه على الأبواب المختلفة .

وفى بعض الحالات يكون من المستحسن عدم تسليم المراهق والمراهِقة المصروف الشهرى دفعة واحدة ؛ ذلك أن بعض المراهقين لا يحسنون توزيع مصروفهم على أيام الشهر ، فيأخذون فى الإنفاق ببذخ فى أوائل الشهر ، وما أن تمر بضعة أيام حتى يصيروا خاولى الوفاض ، وليس معهم فى جيوبهم شروى نقير ؛ ومن ثمَّ فإنهم يأخذون فى الاستدانة من إخوتهم ، أو يبدأون فى استدرار عطف

أمهم ؛ لأخذ مصروف آخر إلى جانب ما سبق أن أخذوه . وطبيعى أن هذا يشجِّع المراهقين على الأخذ بعادات رديئة كالاستدانة والإنفاق عن بذخ والتواكل والاطمئنان إلى أنهم سيجدون من يمد يد المساعدة إليهم بعد أن ينفقوا ما فى حوزتهم . فيجب على الآباء توزيع مصروف هؤلاء الأولاد على أربعة أقسام ، ويسلمون لهم نصيبهم فى بداية كل أسبوع .

ومن الواجب على الآباء أن يستخدموا المكافآت المالية ؛ وسيلة لدفع أبنائهم المراهقين وبناتهم المراهقات نحو التقدم فى الحياة ، سواء من الناحية الدراسية ، أو من الناحية الأخلاقية . ولكن يجب ألا تكون تلك المكافآت فى صيغة رشوة . فيجب ألا تكون مقابلا يناله المراهق والمراهقة إن استذكر دروسه ، ويجب ألا تكون مقابلا إن هو سلك السلوك الحسن بالبيت . إن المراهق والمراهقة يجب أن يفهما ويقتنعا بأن الاستذكار واجب عليهما ، وأن السلوك الطيِّب بأدب فى رحاب الأسرة شىء لا يحتاج إلى جدال ، وأن المكافآت التي تقدَّم إلى المجتهد فى الاستذكار أو إلى المؤدَّب بالأسرة ، لا تعنى أننا نقدم رشوة إليه بحيث يمتنع عن الاستذكار إذا لم تقدَّم المكافأة إليه ، أو يخرج عن حدود اللياقة فى معاملة الأم والإخوة والأخوات إذا انقطعت عنه . لذا يجب ألا تحدد المكافآت بصفة مُسْبقة ، وألا تصير قاعدة يلتزم بها الأب فى فترات معينة أو فى مواقف معينة ، بل يجب أن تظل مرتبطة بعنصر المفاجأة ، وألا تكون متوقَّعة من جانب المراهق أو المراهقة .

الفصل الثالث

لكى تكونى أمًا صالحة للمراهق والمراهقة

فهم الحقائق أولاً :

قد تعتقد بعض الأمهات أن نجاحهن فى سياسة أطفالهن قبل انخراطهم فى المراهقة ، كفيل لهن بأن ينجحن فى سياستهم وتربيتهم ، وقد خرجوا من طوْر الطفولة إلى طور المراهقة . والواقع أنه على الرغم من وجود تداخل وتدرُّج فيما بين الطفولة والمراهقة ، فإن هناك مع هذا صفات مختلفة تمامًا تظهر فى المراهقة ، وتتباين إلى حد بعيد عن الصفات التى كانت موجودة لدى نفس الأشخاص خلال طفولتهم . وليس بخاف - والوضع هذا شأنه - أن من الواجب أن تبدأ الأم بفهم التغيرات التى حدثت فى الكيان الجسمى والنفسى والعقلى والاجتماعى لابنها وابنتها ، وقد دخلا فى طور المراهقة ؛ حتى يتسنى لها أن تنجح فى التعامل معهما ، وحتى تتلافى الأخطاء التى يمكن أن تقع فيها ، نتيجة جهلها بتلك الخصائص الجديدة التى استجدت فى تكوينهما الجسمى والنفسى والاجتماعى .

والواقع أنه على الرغم من أن هناك خصائص عامة يشترك فيها جميع المراهقين ، وخصائص أخرى تشترك فيها جميع المراهقات ، فمما لا شك فيه أن هناك مع ذلك فروقًا فردية من مراهق إلى مراهق آخر ، ومن مراهِقة إلى مراهِقة أخرى . ولا تقتصر تلك الفروق على الكم وحده ، بل تنسحب أيضًا بإزاء الكيف . فإلى جانب اشتداد أو ضعف بعض الخصائص لدى أحد المراهقين عنها لدى مراهق آخر ، واشتداد أو ضعف خاصية معينة لدى إحدى المراهقات عنها لدى مراهقة أخرى ، فإن هناك خصائص فردية قد تظهر لدى مراهق آخر أو لدى مراهِقة أخرى . ومعنى هذا إذن : أن الواجب على الأمهات - والآباء أيضًا - الا يكتفين

بالوقوف على الخصائص العامة لمرحلة المراهقة ، وذلك بالعكوف على بعض الكتب التى تتناول تلك المرحلة بالوصف وتفهُّم ما ورد بها ، بل الواجب أكثر من هذا - وأهم من هذا - أن تعكف الأم على استيضاح وتفهُّم ودراسة حالة ابنها المراهق وحالة ابنتها المراهقة دراسة فردية . وهذا لا يتأتى بالطبع بالطريق العقلى ، بل يتأتى بالطريق الحدسى الوجدانى . فالتفهُّم هنا ليس كتفهم المعانى الواردة بأحد الكتب ، بل هو تفهُّم وجدانى ، أو هو - بتعبير أدق - تبصُّر وتقدير لحالة المراهق والمراهقة بقصد التكيف لهما وبقصد النجاح فى التعامل معهما . فليس المقصود بفهم المراهق والمراهقة من جانب الأم ، الوقوف على حقائق علمية معلَّقة فى فراغ، بل المقصود الوقوف على الجوانب التى تغْمض على الأم ، والتى تساعدها على التعامل بقدر أكبر من النجاح معهما ، وعلى أن توفر لهما أكبر قسط من السعادة والصحة النفسية فى حياتهما الحاضرة وحياتهما المقبلة .

ويقوم إلحاحنا على ضرورة تفهُّم الأم لحالة المراهق والمراهقة أو تفهُّمها للتغيرات التى طرأت مع طفرات النمو الجديد عليهما ، على أساس هام هو الطبيعة الجديدة للعلاقات التى تقوم بين المراهق والمراهقة من جهة ، وبينهما وبين الأم من جهة أخْرى . ذلك أن نفس الابن ونفس البنت عندما كانا طفلين ، فإنهما كانا يعتمدان فى تسيير شئونهما على الأم ، وكانت الأم تجد السعادة فيما كانت تبذله من جهد ، وفيما كانت تبديه من رعاية لطفليها . ولكن المراهق والمراهقة يأخذان فى تغيير موقفهما من الأم . فهما لا يطلبان المساعدات نفسها التى دأبا فى طفولتهما على طلبها ، والإلحاح على الأم لتقديمها . إنهما صارا يرغبان فى الاستقلال ، وفى تنحية الأم عن موقفها الذى دأبت عليه أيام طفولتهما . إنهما الآن يريدان الاستقلال، ويريدان الاختيار بغير خضوع لإرادتها .

فبعد أن كانت الأم تصطحب أطفالها إلى المحال التجارية ؛ لتشترى لهم ما ترى أنهم بحاجة إليه ، صار الحال مغايرًا للوضع السابق . صار كل منهما يحس بالقدرة على الاختيار ، وبأنه يستطيع أن يَشقَّ طريقًا مستقلا له فى الحياة . إنه يحب أن يختار لنفسه بنفسه ، وأن ينقد ما تقوم الأم باختياره له . وقد لا يكتفى المراهق والمراهقة بإبداء تذوقاتهما الشخصية المغايرة - بل والمناهضة - لتذوقات

الأم ، بل إنهما قد يعمدان إلى إبراز ما فى تذوقات الأم من نقائص . ولقد يكون تأكيد المراهق والمراهقة على ما فى تذوقات الأم من معايب مما يؤكد قدرتهما على الاستقلال ، وشق طريق جديد لنفسهما فى الحياة بغير اعتماد على مشورة أحد .

وواضح أن هذا الموقف النقدى من جانب المراهق والمراهقة ، كثيرًا ما يخدش شعور الأم ، وكثيرًا ما تحس بأن ثورة قد نشبت فى بيتها على مملكتها ، التى كانت السكينة والهدوء يشيعان فى أرجائها . فما الذى حدث ؟ وما الأخطاء التى ارتكبتها حتى يقف منها أبناؤها وبناتها المراهقون هذا الموقف المهين ؟ إن الأم التى لا تفهم طبيعة المراهقة ، والتى لا تعرف أن هذه الفترة من النمو تتسم بهذا الاتجاه بوجه عام - مع وجود فروق فردية من مراهق إلى آخر ، ومن مراهقة إلى أخرى - إنما تحس بالمرارة تملأ جوانب شخصيتها ، وقد يمتد هذا الإحساس إلى أملها المعقود على أبنائها . فتنهزم تلك الآمال ، وتستحيل إلى يأس قانط ، وإلى إفلاس تربوى مرير .

والواجب على الأم التى تريد أن تكون أما صالحة للمراهقِة والمراهق ، أن تتفهم طبيعة هذه المرحلة ، وأن تضيف إلى هذا الفهم موقفًا واقعيا ، وفلسفة تربوية لا غنى لها عنها . يجب عليها أن تضع نُصّب عينيها أنها لا تربى أبناءها للاحتفاظ بهم فى حضنها ، أو لكى يظلوا تابعين لها ، وخاضعين لإرادتها ، بل يجب أن تربيهم لأنفسهم، وأن تستهدى بطبيعتهم ، وأن تأخذ فى اعتبارها الخصائص التى تتبدى لديهم ، وتأخذ فى الظهور والتبلور من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، ومن سن إلى سن أخرى . يجب على الأم أن تفهم جيدًا أنها لا تربى الأطفال لنفسها ، بل تربيهم ؛ لكى تساعدهم على النمو ، ولكى يبلوروا شخصياتهم ، وينهجوا طريقهم فى الحياة وفْق ما لديهم من استعدادات وميول شخصية .

ويجب أن تضع الأم فى اعتبارها أن النمو معناه : الزيادة فى الاستقلال ، والنقص فى الاعتماد على الكبار وبخاصة الأم . وليس معنى هذا أننا نجعل الطفولة هى مرحلة الاعتماد على الأم ، وأن مرحلة المراهقة هى مرحلة الاستقلال عنها ، والابتعاد عن نطاق سيادتها ، بل معناه : أن النمو فى تدرُّجه ، يلازمه نمو القدرة على الاستقلال لدى الشخص . وحيث إن مرحلة المراهقة تتسم بِتدفق النمو ، لذا فإنها أيضًا مرحلة تدفق الاستقلال عن الأم .

ولكن المسألة لا تقتصر على مجرد الاستقلال عن الأم والاعتماد على النفس، بل إن هذه المرحلة هى مرحلة التغاير والتأكيد على الفروق وعلى أوجه الاختلاف أيضًا . لقد يلذ للمراهق والمراهقة أن يتباينا عن الأم ، وأن يؤكدا ما بينهما من خلاف فى النظرة وفى التذوق عنها . إنهما لا يبرزان أوجه الاختلاف فحسب ، بل يعمدان إلى تأكيد صحة موقفهما ، وتأكيد خطأ موقف الأم . ولكأن المراهقة هى مرحلة العصيان على القديم ، وتأكيد الجديد الذى اكتشفه المراهق والمراهقة فى طَوْر النمو الجديد الذى انخرطا فيه .

ولقد يميل المراهق والمراهقة إلى إبراز ما يتمتعان به من قوة جديدة دبت فى أوصالهما . إنهما لم يعودا صغيرين كما كانا ، بل صارا شخصين كبيرين يستطيعان الاستقلال والاعتماد على النفس فى تسيير شئونهما الخاصة ، ولا داعى للاعتماد على مشورة الأم فى كل صغيرة وكبيرة . وأكثر من هذا يجب عليهما أن يجربا تلك القوة الجديدة التى حظيا بها . أليست البنت المراهقة مفعمة بالأنوثة ؟ وأليس المراهق مفعمًا بالرجولة ؟ إذن فماذا ينقص البنت المراهقة عن أمها ؟ وماذا ينقص الولد المراهق عن أبيه المتحكم والمسيطر ، والذى تخضع له الأم ؟ لماذا لا تخضع له أمه كما تخضع للأب ؟ .

إن هذه الأوهام تسيطر على ذهن المراهق والمراهقة ، ويبدآن فى الإحساس بأن الخضوع والتبعية اللذين كانا يتسمان بهما فى الطفولة ، ليس لهما ما يبررهما الآن ، وأن الواجب على كل من يحيط بهما ، وبخاصة الأم ، أن تفهم الحالة الجديدة التى وصلا إليها . ولابد أن تحسب الحساب كل الحساب لما تلبسا به من قوة ، وما امتلكا من قدرة على الاستقلال وقيادة الذات .

وليت الأمر يقتصر على النطاق الذاتى للمراهق والمراهقة ، بل إنهما كثيرًا ما يعمدان إلى التدخُّل فى شئون الأسرة ، وفى سلطات الأم التى دأبت على التمتع بها . إنهما يريان أن بمقدورهما أن يحلا محلها ، وأن ما سيقومان به من أعمال ، وما سوف يضيفانه من خطط جديدة ، لا شك سيكون أفضل مما تفعله الأم . ولا شك أن ما يُقْدم عليه المراهق والمراهقة من تحديات لما تراه الأم صالحًا ، وما دأبت على انتهاجه بالبيت ، لمما يسىء إليها ، ويجرح شعورها ، ويجعلها قلقة على مكانتها وسلطتها بالبيت .

ولكن الأم التى تفهم خواص المراهقة ، والتى تعدِّل من سلوكها ، وتخفف من غُلَوائها ، والتى تستطيع أن توائم بين سلطتها وبين القدرات والقوى الجديدة التى بدأت فى البزوغ فى سماء حياة المراهق والمراهقة ، تستطيع بلا شك أن تجعل فترة المراهقة تمر بسلام وهدوء ، ولا تكون بحاجة إلى إبداء السُّخْط على أولادها وبناتها المراهقين ، ولا تحس بأن الأرض تميد من تحتها ، أو أن سلطتها وكيانها آخذان فى الانهيار أمام سلطة وكيان أبنائها وبناتها المراهقين .

والواجب على الأم أن تفهم أيضًا أن الأسرة الحديثة ، لها شركاء أقوياء يساهمون فى تربية الأطفال والمراهقين والشباب . وأهم هؤلاء الشركاء تلك المؤسسات التربوية الأخرى التى نشأت أساسًا لخدمة الأَسرة ، ومساعدتها فيما تعجز عن القيام به . ولا شك أن المدرسة والكلية والجامعة ، هى أهم المؤسسات التربوية المؤثرة فى شخصية الطفل والمراهق والشاب . وطبيعى أن تختلف التأثيرات التي تتركها كل مؤسسة تربوية عن التأثيرات التى تتركها المؤسسات الأخرى . وإذا كانت الأسرة هى أكثر المؤسسات التربوية تأثيرًا فى مراحل الطفولة المبكرة ، فمما لا شك فيه أن معاهد التعليم والتربية هى الأكثر تأثيرًا فى شخصية وخبرات المراهقين والشباب .

ولعل المراهق والمراهقة يحسَّان بالبَوْن الشاسع بين تأثير الأسرة وبين تأثير المدرسة أو المعهد فيهما ، فيدركان أن تأثير المدرسة أو المعهد - أو النادى إذا كانا يترددان على أحد الأندية - أقوى بكثير من تأثير الأسرة فيهما ، فيبدآن فى إبداء الاهتمام بالمؤثر الأقوى ، مهملَيْن المؤثر الأضعف . وحيث إن الأم هى النواة التى تلتف الأسرة حولها ، إذن فتلك النواة هى الجديرة بالإغفال ، بل والجديرة بأن تعلن الثورة ضدها . ومن هذا الاعتبار يقوم الصراع بين المراهق والمراهقة وبين الأم .

ومن الطبيعى أننا لا نستطيع أن نعتقد أن هناك صراعًا ينشأ بين المراهقين والمراهقات وبين الأم ، إذا هى لم تستجب لإثارة أبنائها المراهقين والمراهقات ، ووقفت موقف المتفهِّم والمتقبِّل للأمر الواقع والعام . فالأم التى تفهم أن ما يحدث بإزاء أبنائها إنما يحدث بالنسبة لجميع الأبناء والبنات المراهقين فى كل زمان وفى كل عصر ، لا يمكن أن يأخذ بها الغضب كل مأخذ ، ولا يمكن أن تكمل الدائرة ، فينشأ الصراع الذى ذكرناه .

وحتى بالنسبة للحب الذى تُكِنه الأم وتعلنه لأولادها ، ينبغى أن يتلبس بصيغ مناسبة للمرحلة التى يمر فيها المراهق والمراهقة . فليس لحب الأم صيغة واحدة يجب أن تتخذها وأن تبديها لأبنائها فى جميع مراحل نموهم ، بل يجب أن تقدّم الصيغة الوجدانية المناسبة لمطالب مرحلة النمو التى يمر أبناؤها وبناتها فيها . فلقد نجد أن المراهقين والمراهقات ينفرون من التدليل والحَدْب الشديدين اللذين كانت الأم تستعين بهما فى إبداء الحب لهم وقت أن كانوا أطفالاً ، قبل انخراطهم فى طَوْر المراهقة . إنهم بحاجة إلى لون جديد من العطف . إنه لون يتبدى أكثر ما يتبدى فى التصرفات ، وفى لغة الحديث أكثر من تبديه فى أساليب الحدب والحنو المباشرة كالتقبيل والحضن والرَّبْت ، وغير ذلك من علامات الحب التي يحبها الأطفال ، وينفر منها المراهقون والمراهقات .

ومما يؤلم الأم أيضًا أنها تحس بأن ابنها المراهق يأنس إلى صديقه المراهق أكثر مما يأنس إليها ، وأن ابنتها المراهقة تأنس إلى صديقتها المراهقة وتبثها أسرارها دونها . فهى لم تَعُد صريحة معها كما كانت من قبل ، ولم تَعُد تعترف لها بمكنونات قلبها كما كانت وهى طفلة . وكثيرًا ما يحدث أن الأم تتوجس من الصداقة الشديدة التى تربط ابنها بابن الجيران أو بأحد المراهقين بالمدرسة ، وكذلك قد تدب الغيرة فى قلب الأم عندما ترى تعلق ابنتها المراهقة بصديقة مراهقة أخرى أو بقريبة لها فى نفس السن . لقد أخذ المراهقون فى نَسْج عالم خاص بهم لا يرضون عنه بديلاً ، ويأبون أن يدخل أحد فى نطاقه .

ولقد تتهم الأم ابنها المراهق وابنتها المراهِقة بسوء الأدب بسبب ذلك النزاع ، وذلك الشجار الذى كثيرًا ما ينشب بينهما . إنهما كثيرًا ما ينقدان بعضهما بعضًا ، ولا تكاد إحدى المنازعات تنفض بينهما ، ويأخذ الوئام فى السيادة ، حتى تنشب معركة جديدة وتحتدم . ولا يكون فى وُسْع الأم إلا أن تتدخل لتهدئ الموقف ، ولكن بغير جدوى أن تصل إلى تسوية دائمة بينهما . وأكثر من هذا فإن المراهقين عندما يجتمعون معا فإنهم يشكّلون شلة أو حزبًا مناهضًا للحزب أو الشلة التى شكلتها المراهقات .

وبالإضافة إلى هذا أيضًا فقد تستاء الأم عندما تجد ابنتها المراهقة قد اختارت إحدى مدرساتها وجعلت منها معبودة لها ، فهى تحتفظ بصورتها فى حضنها بالليل ، ولقد تأخذ فى مناجاتها ، ويشتد التعلق بها حتى تملأ عليها حياتها. إنها تعتقد أنها لا تستطيع أن تعيش بدونها . والويل لمن يتعرض بكلمة ضد تلك الشخصية المعبودة . ولعل الأم تتساءل بينها وبين نفسها : ماذا قدمت هذه المخلوقة لابنتى ؟ وهل نسيت ابنتى كل تلك التضحيات التى قدمتها وأقدمها إليها ؟ أليس من الظلم أن تحظى تلك الإنسانة بكل هذا التقدير والإعجاب ، وأنا الأم المضحية أحرم من كل شىء ؟

ولكن الواقع أن الأم النابهة ، هى التى تفهم حقيقة هذه المرحلة ، وأن هذه الظواهر السلوكية عامة وليست قاصرة على ابنتها المراهقة وحدها . فهى تعرف جيدًا أن لفترة المراهقة سماتها الخاصة بها ، والتى ينبغى أن تفهم جيدًا على حقيقتها ، وليس كما تفهم وتفسر خطأ من جانب بعض الأمهات . وإذا كان جهل الأم بخصائص مرحلة المراهقة يؤدى إلى إحساسها بالبؤس والامتعاض من حياتها مع أبنائها وبناتها المراهقين ، فإن تفهُّمها لها ، يؤدى إلى سعادتها بأبنائها وبناتها ، وتقبلها لكل خصائص المراهقة بارتياح ، بغير أن تتهمهم بالأنانية أو العقوق ، وبغير أن تصطدم وجدانيا أو فكريا أو اجتماعيا معهم .

الاتزان الوجدانى :

من أكثر الأشياء أهمية بالنسبة للتكوين النفسى للأم الاتزان الوجدانى . ونقصد بالاتزان الوجدانى الهدوء النفسى ، وعدم التهور بالهياج أو بالثورة ، لأسباب لا تستدعي الهياج أو الثورة . ولكن الاتزان الانفعالى أو الوجدانى لا يقتصر على الناحية الغضبية ، بل ينسحب أيضًا على الناحية الجنسية . فنقول : إن الأم القانعة بزوجها جنسيا ، والتى لا تبحث خارج البيت عن مصدر آخر غير الزواج ؛ لتوفير الإشباع الجنسى هى أيضًا شخصية متمتعة بالاتزان الوجدانى . والاتزان الانفعالى الوجدانى ، لا يبرهن على توافره بما يتبدى من تصرفات تبدو للعيان فحسب ، بل يبرهن عليه أيضًا بما تنطوى عليه الشخصية من سلوك باطنى لا تظهر له آثار مباشرة فى العالم الخارجى ، وفى محيط الشخص البيئى . ونستطيع القول بأن

السلوك الظاهرى ، هو انعكاس للسلوك الداخلى ، وأن تفهُّم الشخصية لا يتأتى بمجرد تصفح سلوكها الخارجى ، بل يجب أن ينضاف السلوك الباطنى إلى السلوك الظاهرى، ويفسَّر السلوكان معًا فى ضوء ما مر على الشخصية من خبرات حديثة وقديمة .

ومعنى هذا : أننا لا نستطيع أن نحكم للأم بأنها متزنة انفعاليا ووجدانيا ، لمجرد أنها هادئة لا تغضب ولا تثور لأتفه الأسباب ، ولمجرد أنها مستقيمة جنسيا ولا تقيم علاقات بينها وبين غير زوجها من رجال ، ولمجرد أنها لا تهيم على وجهها بحثًا عن مصادر إشباع جنسية خارج نطاق العلاقات الجنسية المشروعة لها مع الزوج . فلقد تعمد الأم إلى إحلال الغيظ محل الغضب ، فتكون نفسها مليئة بالانفعالات الغضبية الداخلية ، بحيث توجه طاقتها الغضبية من الواقع الاجتماعى المحيط بها فى الأسرة ، إلى قطاع نفسى خيالى عن طريق استعانتها بأحلام اليقظة. فهى تقوم بالدور الذى كانت ستضطلع به غضبيا مع أبنائها وزوجها ، ولكن فى خيالها وفى أحلامها .

والشىء نفسه قد يقال بالنسبة للناحية الجنسية . فلقد تكون الزوجة مستقيمة كأحسن ما تكون الاستقامة ، ولا يكون على سلوكها وأخلاقها أية شائبة تشوبها ، ولكنها فى دخيلتها تكون غير قانعة بزوجها ـ والد أولادها ـ جنسيا ، ولا تجد فى عيشتها معه ما يشبع حاجاتها النفسية الجنسية ، فتعمد إلى نطاق الأحلام بطريقة لا شعورية ، وأيضًا إلى أحلام اليقظة ، حيث تنسج لنفسها عالما خياليا خاصا بها ، تحقق فيه بالوهم مالم تسعدها الأيام بتحقيقه فى الواقع الحى .

والواقع أن للاتزان الانفعالى الوجدانى بمعنييه : الخارجى الواقعى ، والباطنى الوهمى ؛ أفعل الآثار وأقواها فى أبناء الأم التي تحظى بذلك الاتزان . فذلك الاتزان الانفعالى الوجدانى ينعكس فى سلوك الأبناء والبنات وبخاصة فى المراهقة . فمن الحقائق التي ينبغى ألا تعزب عن البال ، أن الأسرة كيان عضوى يتأثر بعضه ببعضٍ ، وتتناغم أعضاؤه بعضها مع بعض . والأولاد والبنات لا يحيون فى نطاق الأسرة بأجسادهم وحدها ، بل إنهم يحيون أولاً وقبل كل شىء بوجداناتهم وبما لديهم من قدرة على استشفاف كل ما يدور بخلَد الوالدين . فالأولاد والبنات قادرون على الوقوف على نوعية العلاقة بين الأب والأم ، وهم يدركون بحسِّهم

الفطرى ما تكنه الأم للأب من عواطف . ولا غرو فقد ترعرعوا رويدًا رويدًا فى أحضان الأسرة، ووقفوا منذ نعومة أظافرهم على الأحاسيس الدفينة ، وعلى الخلجات الداخلية ، وعلى ما حاولت الأم أن تستره وتخفيه عن غيرها حتى عن الأب نفسه . ولا شك أن التصاق الأطفال بأمهم خلال طفولتهم حتى طور المراهقة ، يمكنهم من الوقوف على حقيقة العلاقات الأسرية مهما أحيطت بزخرف خارجى يراد به التمويه وإخفاء الحقائق عن أولئك الواقعين خارج نطاق الأسرة .

ولقد اكتشف علماء النفس ، أن كثيرًا من الأمراض النفسية التي تظهر فى أيام المراهقة والشباب ، إنما ترجع فى كثير من الحالات إلى الصراع الذى نشأ لدى المراهق أو المراهقة بسب ما يراه أو تراه من تناقض وجدانى فى علاقة الأم بالأب . فبينما تبدى الأم الحب الشديد للأب ، فإن المراهق الابن أو المراهقة البنت تدرك بحسها الصادق ، أن ما يبدو من سلوك ظاهرى لدى الأم ينم ظاهريا على حبها للأب ، إنما هو فى حقيقة الأمر سلوك كاذب ، لا يضم فى رحابه أى رصيد من الحقيقة . بل هو سلوك زائف تمامًا ، لا يعبِّر إلا عن خداع من جانب تلك الأم لذلك الأب . والحقيقة هى أن تلك الأم لا تُكِن لذلك الأب إلا كل كراهية وبغض واحتقار . ولكنها تعمد إلى التلبس بالسلوك المعبِّر عن الحب العميق ، والتفانى فى الإخلاص ، بقصد التمويه والخديعة حتى تضمن ارتباط زوجها بها ، أو لأنها تخشى من أن يفلت ذلك الزوج من يديها ، ويتزوج بغيرها ، أو خوفًا من أن تحرم من أولادها بعد أن ينهدم عش الزوجية إن هى أبدت كراهيتها له .

والشىء نفسه يقال عن كثير من الحالات المَرَضِيَّة النفسية التى يتضح بعد سبر أغوارها والوقوف على أسبابها ، أنها ترجع إلى عدم تقدير الأم للأب جنسيا ، وأنها تهفو بقلبها إلى غيره ، أو أنها على الأقل لا تجد فى نفسها مواءمة بينها وبينه من الناحية الجنسية . والواقع أن إحساس الأولاد والبنات بما يعتمل فى قلب الأم وفى سلوكها الخارجى ، أو فى سلوكها الباطنى ، يجعلهم فى صراع شديد بين ما يرونه من إخلاص زائف تبديه الأم للأب ، وبين خيانة حقيقية واقعية أو باطنية نفسية ، يستشعرونها بحسِّهم الصائب . ولعلهم فى وقت ما يقتنعون بأن أمهم تحب أباهم ، ولكنهم ما يفتأون بعد يوم أو بعض يوم يجدون عكس ما ظنوا ، وتبدأ

الشكوك تأكل صدورهم . والأولاد والبنات وبخاصة فى المراهقة يحبون أن يتأكدوا من أن الإخلاص الجنسى متوافر بين المنبعين اللذين صدرا عنهما ، وأخشى ما يخشونه أن يكتشفوا أن خروجهما إلى هذه الحياة ، كان نتيجة مصادفة قدرية ، ولم يكن نتيجة حب خالص ، وتكريس قلبى متين بين الأم والأب .

وقد يحدث فى بعض الحالات المرضية أن تكون الوساوس قد نجمت عن شك دَبَّ فى قلب المراهق أو فى قلب المراهقة ، بأنهما ليسا ابنى ذاك الأب ، وأن الأم قد حملت بهما سفاحا . وفى هذه الحالات يجد المراهق والمراهقة نفسيهما فى موقف متناقض من الأب . فبينما يحملان له الحب ؛ لأنه هو الأب الذى قام بتربيتهما ؛ فإنهما قد يحملان له فى الوقت نفسه كل كره ؛ لأنه دخيل ـ ولو ظنا ـ فى نطاق الأسرة ، وأن غيره ـ أى : الأب الحقيقى ـ كان يجب أن يحتل مكانه . ولكنهما لا يحملان الحب لذلك المجهول ـ أى : الأب الحقيقى فى ظنهما ـ بل يحملان له كل نقمة وكل احتقار وكراهية .

ولكن الأمر لا يقتصر على موقف الأولاد والبنات المراهقين من الأب الحقيقى والأب الوهمى ، بل إنهما يبديان الاحتقار أيضًا وبالدرجة الأولى لتلك الأم التي خدعت ذلك المسكين ، فاعتقد خطأ أنه أبوهم ، فأخذ فى الحَدْب عليهم والرحمة بهم . ناهيك عن ذلك الإخلاص الزوجى الذى عمد إلى توفيره فى حياته بينه وبين زوجته ، وبينه وبين نفسه وربه . ولقد يأخذ الأولاد والبنات فى المراهقة بدءًا من الشك الذى يلعب بوجدانهم إلى الخيالات التى ترتسم فى خيالهم وانتهاءً إلى الإيمان بما ارتسم وهمًا أو حقيقة فى أذهانهم ، فى السلوك بالتواء فى الأسرة ، وقد أخذوا فى التكتم على ما يحسونه بشكوك فى نفوسهم ، وفى تخبئة كل هواجسهم عن غيرهم ، مما يزيدها قوة واحتدامًا ، بحيث تنتهى بهم فى نهاية المطاف إلى الجنون أو إلى ما يشبه الجنون .

وفى بعض الأحيان نجد أن الأم العصبية ، تقيم الدنيا وتُقْعدها لأتفه الأسباب بحيث تكون دائمة الشجار مع الأب ومع من يحيطون بها فى نطاق الأسرة أو مع الجيران . والواقع أن الأم من هذا النوع ، لا تسمح لأبنائها وبناتها المراهقين بالإحساس بالطمأنينة بل تجعلهم فى توجس دائم مما سيأتى به المستقبل من نوائب

واضطرابات . ولا شك أن كل مرة تقع فيها معركة فيما بين تلك الأم العصبية وبين الأب ، فإن الأولاد والبنات يتوقعون تقويض دعائم الأسرة وانهيارها ، وما يتبع ذلك من تشرُّد وتفكك أوصال البيت . وطبيعى أن أولادًا وبناتٍ هذا شأنهم ، يكونون قد اعتادوا مشاهدة مثل ذلك الشجار منذ نعومة أظافرهم ، وبالتالى فإنهم يكونون قد اعتادوا توقُّع الشر المستطير ، ومن ثم فإن حياتهم تصطبغ بالقتامة والتشاؤم ، ولا يتطلعون إلى المستقبل إلا فى ضوء ما سوف يحمله إليهم من شرور ومآس .

والأم العصبية تجعل أبناءها وبناتها يتَّخذون منها موقفًا فى المراهقة غير ما كانت تأمل أو تتوقع . لقد كانت وقد كان أولادها وبناتها فى مرحلة الطفولة تستبد بهم كما يحلو لها . إنها كانت تضرب هذا وتركل ذاك ، وتثور لأتفه الأسباب وأطفالها قبالتها ذاهلين خائفين . ولكن الأولاد والبنات كبروا الآن ، وفى جبلتهم الميل إلى استخدام القوة ، وإلى الاستقلال عن الآخرين ، وعدم الخضوع للطغيان . ولذا فإنك تجد أن المراهق قد بدأ يبدى لأمه الامتعاض من معاملتها الهائجة له ، كما تجد أن المراهقة قد بدأت تغضى عن أوامر أمها ، وتتحدى رغباتها ، بل إنها تأخذ فى الابتسام بتهكُّم عندما تثور أمها عليها وتتوعَّدها . وعندئذ تبدأ الأم العصبية فى الإحساس بأنها بدأت تفقد سلطتها على أبنائها وبناتها الذين دأبت على إخضاعهم لها بمجرد صيحة غضب تدوِّى فى أرجاء المنزل .

والأب المسكين فى مثل هذا البيت بين تلك الأم العصبية وأولئك الأولاد والبنات المراهقين يكون موقفه فى غاية الحرج . إنه يريد دائمًا أن يساعد زوجته أمَّ أولاده وبناته ، وأن يجعل كلمتها مسموعة عالية ، وأن يحافظ على كرامتها بكل عزيز وغال . ولكنه يجد أنها مغالية دائمًا فى غضبها ، وفيما تتذرع به من أسباب ، ويجد أن أولاده وبناته على صواب فى الأغلب ، وأنه لو كان مكانهم ، إذن لكان قد اتخذ موقفًا شبيهًا بموقفهم . ولكن ماذا يفعل ؟ هل يناصر الأولاد والبنات على زوجته المسكينة ؟ إنه يعلم مُسبقًا أن تدخله بالنصح لزوجته بأن تخفف من غلوائها مع أبنائها وبناتها المراهقين ، سيقابل بالسُّخْط والصياح من جانبها ، وأنها سوف لا تتركه فى سلام ، بل ستترك الأولاد والبنات وتبدأ فى الإمساك بخناقه ، وتُحيل يومه إلى يوم حالك السواد ، بحيث لا يهنأ له بال ، ولا يرتاح له ضمير . إذن فما

العمل ؟ لابد إذن من التدخل لدى أولاده ، ولابد أن يبحث عن أسباب لتخطيئهم ، وإظهار ما بدا فى سلوكهم من شطط ، ولابد له أن يدافع عن سلوك الأم وعن تصرفاتها ، ولابد أن يؤكد صدق موقفها وخطأ موقفهم ، ويؤكد أنها معذورة فيما لجأت إليه من وسائل خشنة مفعمة بالعصبية ؛ لأن سلوكهم لابد مؤدٍ إلى ذلك مع أى إنسان آخر غير الأم .

ولكن هذا الموقف من جانب الأب ، لا يعفيه فى نظر أولاده من الوقوع فى الخطإ . إنهم يرون أنهم على صواب ، وأن أمهم على خطأ ، وهم يلمحون فى عينى الأب وفى نبرات صوته أنه معهم ، وليس مع أمهم ، ويكاد يقول لها إنه فى صفهم ضدها ، ولكنه يخشى مغبَّة ذلك . إذن فلابد من اتهامه بالخوف منها . وهل هناك تهمة أشنع من تهمة الخوف من الزوجة يمكن أن توجه إلى رجل ؟ وهكذا يظل الأب المسكين فى موقف حرج حكمت عليه زوجته بعصبيتها بأن يقفه من أولاده ، بحيث صار متهمًا فى قوته ، وفى قدرته على ضبط شئون البيت ، وإعطاء كل ذى حق حقه، حتى ولو بكلمة واحدة تقال .

ومن المستحيل أن تصير الأم العصبية موضع ثقة أبنائها وبناتها المراهقين بحيث يتسنى لهم بث أسرارهم الشخصية لها ، أو عرض مشكلاتهم عليها . ذلك أنهم يخشون من مغبَّة عرضهم لأسرارهم ومشكلاتهم أمامها . فالأم العصبية لا يمكن أن تؤتمن على أسرار ، لأنها فى ثورة غضبها ، قد تفشى ما قيل لها ، كما أن الأم العصبية لا يمكن أن تكون جديرة بأن تعرض عليها مشكلات للقيام بحلها ، وذلك لأن حل المشكلات - وبخاصة المشكلات النفسية لدى المراهقين والمراهقات - بحاجة إلى طول أناة ، وقدرة على الإنصات ، وتقبُّل للوقائع المسموعة بموقف يتسم بالموضوعية والهدوء ، والتزام التقدير لكل موقف ، وتقديم العلاج والمشورة بهدوء وبحنو واتزان وجدانى .

وعصبية الأم تنعكس على شخصيات أبنائها وبناتها المراهقين والمراهقات . ولا غرو أن يكون المدى الذى تؤثر به الأم فى نفوس وعقليات وتصرفات أبنائها وبناتها ، بل وفى الكيان الكلى لشخصياتهم ، أبعد مفعولا وأقوى أثرًا ، وأدوم مدة من تأثير الأب العصبى . ذلك أن الأب مهما كان فى عصبيته متطرِّفًا ، فإن مدة

التصاق الطفل به تكون أقصر من مدة التصاقه بالأم غالبًا . ناهيك عن أن الأم فى تعلّقها الوجدانى الانفعالى بالطفل ، ومن ثَمَّ به كمراهق أو كمراهقة ؛ أقوى من تعلق الأب به بكثير . فالتعلّق المتبادل بين الابن والبنت من جهة ، وبين الأم من جهة أخرى، يجعل احتدام الغضب والهياج ذا تأثير ردىء للغاية فى حياة الأولاد والبنات ، بحيث تبدأ آثار تلك الحالة فى المراهقة والشباب فى الظهور . وإنك لتجد أن نسبة الانحرافات النفسية الناجمة عن عصبية الأم ، تظهر فى الغالب فى المراهقة والشباب ، ولا تكاد تظهر فى الطفولة ؛ ذلك أن تلك العصبية ، والتوترات المستمرة تتراكم وتتواكب وتتفاعل آثارها بعضها مع بعض خلال الطفولة ؛ لكى تثمر ثمارها الرديئة فى المراهقة وليس قبلها .

بيد أن هناك عوامل مساعدة ، تعمل على ظهور الأمراض النفسية فى المراهقة نتيجة عصبية الأم . ذلك أن المراهق والمراهقة بطبيعتهما مرهفا الحس ، وشديدا التأثر بما حولهما وبما يتخيَّلانه . ولقد يكون للواقع الفعلى الذى يقفان عليه ، تأثير معادل فقط للوهم المتخيَّل ، وللاحتمالات العقلية التى تحدث فى أعماقهما . ومن جهة أخرى فقد تنضم الظروف الواقعية المحيطة بالمراهق والمراهقة إلى الأوهام العقلية التى تعمل عملها فى عقليهما ، بحيث تحتدم ثورة هائلة فى أعماقهما ناهيك عما تبديه الأم من عصبية وهياج ، وبما تحدثه فى البيت من توتر وعدم استقرار .

وليس عجيبًا أن تتبدى لدى أبناء وبنات الأم العصبية ، سمات لا تفوت الملاحظ المدقق . وأولى تلك السمات هى تلك الانهزامية المرتسمة على محياهم . ويتواكب مع الملامح الانهزامية تلك الملامح الدالة على عدم الثقة بالنفس ، وعلى عدم الثقة بالآخرين ، بل وقد ترتسم على محياهم تلك الملامح الخاصة بالمصابين بالقلق والمخاوف المجهولة وترقُّب المفاجآت المخيفة ، والتوجُّس من المستقبل .

وعلى عكس هذا نجد التأثير الذى تتركه الأم المتمتعة بالإتزان الوجدانى . فإن أولادها وبناتها ينشأون على الثقة بالنفس ، وعلى التفتح للحياة والابتسام لها ، والإحساس بالطمأنينة تجاه حاضرهم ومستقبلهم ، بل إنك تجد الواحد منهم والواحدة منهن تثق فى الآخرين ، وتتمنى النجاح للجميع ، وتحس بالاستقرار يسود حياتها وحياة من يحيطون بها .

السيطرة بالحب :

يجب أن نؤكد منذ البداية فى تعرضنا لسيطرة الحب ، أو السيطرة بالحب ، أن الحب يمثّل قوة كبيرة فى أيدى المحبين والمحبوبين لا يمكن الاستهانة بها . ولقد وقف الناس على هذه الحقيقة منذ القدم ، فجعلوا يستعينون بالحب يُسّدونه لمن حولهم ، وصاروا بذلك ذوى تأثير عظيم فيهم . وربما لا يكون المحبون مدركين فى بداية الأمر للقوة التى يحرزونها بما يقوم من حب بينهم وبين الآخرين ، ولكنهم ما يفتأون يدركون أنهم يستطيعون بالحب التأثير فى تصرفات وأفكار واتجاهات أولئك الذين خضعوا لهم بالحب .

والواقع أن أكثر من استطاعوا التسلُّح بقوة الحب ، هم الشخصيات الدينية والشخصيات السياسية والآباء والأمهات . والأم بحبها تخضع الطفل لإرادتها ، وتجعل منه خامة طيعة تستطيع أن تشكلها بالطريقة التى ترغب فيها . ولعل الأم التى تعرف كيف تستفيد فى تربية أبنائها وبناتها من قوة الحب ، تكون أقوى بكثير من تلك الأم العصبية التي تفقد بعصبيتها حب أبنائها لها ، وأقوى من تلك الأم الأنانية التى يبدو من تصرفاتها وكلامها أنها تدور بعواطفها حول نفسها ، أكثر مما تدور بها حول أبنائها وبناتها . فلسنا هنا نفترض أن جميع الأمهات مثاليات . فواقع الأمر أن الأمومة الصادقة ، ليست موزعة على جميع الأمهات بالتساوى ؛ ذلك أن الأمومة شأنها شأن أية وظيفة اجتماعية أخرى بحاجة إلى قَدْر من الفطرة والاستعدادات الشخصية ، وقدرٍ آخر من الصقل والاكتساب والتربية .

فعندما نتعرض لحب الأمهات لأبنائهن وبناتهن ، فإننا لا نستطيع أن نزعم أن الأمهات بطبيعتهن محبات لأبنائهن وبناتهن ، ومن ثم فلا داعى للتعرض بالتوجيه والتربية لحب الأمهات ؛ ذلك أن الحب الأمومى سلاح ذو حدين ، يمكن أن يستخدم لفائدة الأبناء والبنات ، كما قد يستخدم لتوقيع الضرر عليهم ، والعزوف بهم عن الطريق الصحيح .

ولا يعتمد الحب بين الأم وبين أولادها وبناتها فى المراهقة على الغريزة ، بقدر اعتماده على التربية . فالمفروض من حيث الفطرة الخالصة ، أن تكون الأمومة قد أدت وظيفتها بانتهاء الطفولة ، والمفروض أن يبدأ المراهقون ـ لو أن الحضارة لم تكن موجودة أو قائمة ـ بشق طريقهم فى الحياة ، وهجران الأسرة ؛ لتكوين أسر جديدة .

ولكن الحضارة جعلت من المراهقة طورًا هاما من الأطوار التى توليها التربية اهتمامها ، وذلك بعد أن اقتضت الحضارة مَدَّ مدة العيالة حتى يتسنى تحقيق التكيف والتلاؤم بنجاح مع البيئة الحضارية المعقدة ، وحتى يتسنى النهوض بالأعباء الدقيقة المطلوبة من الإنسان الحديث المتحضر .

ومن هنا فإن أمومة المرأة الحديثة المتحضرة للمراهقة ، يجب أن تخضع للإعداد والصقل والتربية ، ولا يجوز أن يكتفى بإزائها بما كفلته الطبيعة من عاطفة حنو وحدب للمرأة . وإذا أردت أن تعرف موقف المرأة - إذا لم تخضع عواطفها للتربية - فإنك تستطيع أن تتأمل الحيوانات العليا فى علاقاتها بصغارها . إنها بقدر ما تبدى من حب وعطف لها فى طفولتها (أى : طفولة الصغار من تلك الحيوانات) بقدر ما تتعارك معها ، وتحاول إبعادها عن نطاق الأسرة ، حال بلوغها طور المراهقة - إذا صح أن يكون لتلك الحيوانات العليا مراهقة .

ولكن التربية التى نتلقاها فى ظل مجتمعاتنا المتحضرة ، تجعلنا - برغم اشتراكنا معها فى الغرائز - مباينين لها ، وقد صار ما اكتسبناه من تربية عبر العصور المتعاقبة ، وكأنه غريزة أخرى ، أو أقوى من الغريزة . بيد أننا لا نستطيع مع هذا أن نزعم ، أن الحضارة والتربية كفيلتان بمحو الغرائز تمامًا . ولا يصح أن يخطر ببال أحد أن من الممكن أن نعتمد على الاكتساب بالمصادفة ، فيما يتعلق بصقل عواطف الأمومة .

فلابد إذن من أن تحدَّد المفاهيم الدقيقة للأمهات ، وأن يبدأ تدريبهن مع بداية كل مرحلة عمرية يصل إليها أبناؤهن ، حتى تكون العاطفة التي يقدمنها إلى أبنائهن ، عاطفة سليمة غير مُعوجة ، أو غير مناسبة للعمر الذى ينخرطون فيه .

والواقع أن كثيرًا من الأمهات يستخدمن الحب استخدامًا سيئًا قبالة الأبناء والبنات المراهقين . ولا شك أن إساءة استخدام الحب من جانب بعض الأمهات ، إنما يرجع أساسًا إلى جهل أولئك الأمهات بالوظيفة الاجتماعية للحب ، أو يرجع إلى عوامل نفسية دفينة فى إعداد شخصية الأم للأمومة منذ الصغر . ونستطيع أن نوجز الأخطاء التربوية التى تتعرض لها بعض الأمهات فى استخدامهن لعواطفهن تجاه أبنائهن المراهقين فيما يلى : -

أولا ـ بعض الأمهات يغالين فى إبداء الحب لأبنائهن وبناتهن المراهقين . فتجد الأم من هذا الصنف ، تعلن فى كل مجلس توجد به عن عمق العواطف التى تكنها لأبنائها وبناتها المراهقين . ولعلها تنتهز فرصة وجودهم بالمجلس ، فتأخذ فى تقبيلهم ، وأخذهم فى حضنها أمام الجالسين . وطبيعى أن ذلك يثير تهكم وامتعاض الحاضرين ؛ لأن المبالغة فى التعبير عن الحب ، تجعل الحب مرضًا وبحاجة إلى تقويم . وحتى إذا تقبل أبناؤها وبناتها المراهقون هذا اللون من التعبير عن عاطفة الأمومة ، فإن الموجودين بالموقف سوف يستهجنون ذلك منهم ، مع أنهم خالون من كل مسئولية ، وتقع المسئولية كل المسئولية على الأم المبالغة فى ترجمة عاطفة الأمومة لديها إلى سلوك . ولعلماء التحليل النفسى رأى بصدد المبالغة فى إبداء العاطفة والتعبير عنها . إنهم يتهمون مثل هذه الأم بعدم حب أبنائها وبناتها لا شعوريا ، وأن ما تبديه من حب لا يعدو أن يكون تغطية لا شعورية لا تدركها على حقيقتها . إنها تعتقد مخلصة أنها تحب أبناءها وبناتها من صميم فؤادها ، ولكن التحليل النفسى يستطيع أن يُعرى المكونات اللاشعورية ، ويطفو بها إلى شعور تلك الأم ، بحيث تقف على الحقيقة المرة وهى كراهيتها لأولئك الأبناء والبنات لأسباب تخشى إعلانها على الملأ (كراهيتها للأب مثلاً) .

ثانيا ـ التقلُّب بين الحب والكره . والتناقض الوجدانى ambivalence معروف فى علم النفس . ولا شك أن لهذا التقلب الذى ، يترجم إلى سلوك ؛ الأثر الخطير فى شخصيات الأبناء والبنات فهم ما يكادون يقتنعون بحب أمهم لهم، حتى يفاجأوا بانقلابها عليهم شر منقلب ، واستخدامها لأبشع ألوان السُّخْط تجاههم ، موجِّهة إليهم اللعنات والسِّبَاب ـ إن لم يكن الضرب ـ بحيث لا يساورهم أدنى شك ، فى أنها تُضْمر لهم كل عداوة وبغض . ولكن الأم المسكينة المتقلِّبة وجدانيا ، ما تفتأ ترجع إلى صَوَابها مستخدمة أساليب الحب معهم من جديد . وإنك لتجد تلك العواطف المتصارعة ، تترك أيضًا آثارًا متصارعة فى نفسية المراهق أو المراهقة .

إنه يصير مشدودًا مرة إلى ناحية الحب ، ومشدودًا مرة أخرى إلى جانب الكراهية . وخطورة هذا الموقف المتذبذب ، تتبلور فى شخصية المراهق والمراهقة بعدم الثقة فى عواطف الآخرين تجاهه . إن ما يحس به قُبالة الأم، ينسحب أيضًا على جميع علاقاته الاجتماعية بالآخرين ، فهو ينجذب إليهم بقلبه فى لحظة، ويبتعد عنهم وجدانيا - بل ويكرههم - فى لحظة تالية . وإذا ما اشتدت تلك الحال بالمراهق والمراهقة ، فإنهما يكونان عُرْضة إذن للإصابة ببعض الأمراض العقلية ، أو بحالة نفسية تلازمهم فى علاقاتهم الاجتماعية فى حاضرهم ومستقبلهم .

ثالثا - الامتناع عن إبداء أية علاقات أو تصرفات تنم على حب الأم لأبنائها وبناتها المراهقين . وهذا الأسلوب السلوكى الذى ينتهجه قليل من الأمهات ، يكون مشفوعًا باللامبالاة غالبًا . وبالنسبة لهؤلاء ، فإن المحيطين بهم يأخذون فى التساؤل . «أليس هؤلاء أبناءها وبناتها ؟ كيف لا تحس نحوهم بأدنى عاطفة ؟! إنها لا تكاد تحس بوجودهم حولها » والأم من هذا النوع تكون فى الأرجح مصابة ببلادة الشعور apathy ، وهى إحدى حالات المرض النفسى المعروفة .

رابعا - قد تأخذ بعض الأمهات من الحب الأمومى وسيلة للإلحاح على أبنائهن وبناتهن المراهقين بالمطالب الكثيرة والثقيلة ، مما تنوء به كواهلهم ، ولا يستطيعون النهوض به على الإطلاق ، أو لا يستطيعون النهوض به على خير وجه . ولقد يتساءل المراهقِ (أو المراهقة) الذى يبتلى بأم من هذا النوع : «كيف تزعم هذه الأم أنها تحبنى وهى لا تألو جهدًا فى إرهاقى بأعباء لا قِبَل لى بها ، ولا جهد عندى لتحمُّلها؟ ولماذا لا تستجيب لرجائى عندما أطلب منها أن تخفف عنى ولو قليلاً ، ولكنها تُصِر على إرهاقى وزيادة أعبائى ؟! » .

خامسا - قد تستغل بعض الأمهات الحب القائم بينهن وبين أبنائهن وبناتهن المراهقين ، كذريعة للتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من حياتهم . إن مثل أولئك الأمهات يعمدن إلى مصادرة كل حرية يمكن أن تتسنى للمراهق والمراهقة ، ويدخلنهما فى نطاق أسرهن الذى لا فكاك منه . فباسم الحب تقوم الأم من

هذا الصنف بتكبيل أبنائها وبناتها المراهقين ، ولا تسمح لهم بأن يكبروا ، بل تَحْكم عليهم بالبقاء فى نطاق الطفولة الكليلة ، التى لا تستطيع أن تفكر أو تتصرف إلا بإذن مُسْبق . والأم من هذه الفئة ، لا تسمح لأبنائها وبناتها بأن يشبوا عن الطَّوْق مهما امتدت بهم الأعمار إنهم يظلون خاضعين فى طفولة، لا يسمح لها بالتزايل ، لكى تحل محلها الأطوار العمرية النمائية التالية . وكثير من الأمهات الواقعات فى نطاق هذه الفئة ، لا يسمحن لأبنائهن وبناتهن بالزواج على الإطلاق ، وإن سمحن لهم ، فإنهن يُذقن زوجات الأبناء أو أزواج البنات كل ألوان العذاب ، وكأن المملكة التى أتيح لهن السيطرة عليها قد اتسعت ، بحيث صارت تضم أولئك الأتباع الجدد . والويل والثبور وعظائم الأمور لمن تساوره نفسه من الأتباع الجدد ، بالعصيان أو بالتحريض بوضع بذور الثورة فى قلوب الأبناء والبنات الذين دأبوا على الطاعة ، ولم يتسرَّب إليهم الفساد (فى رأى الأمهات) إلا بعد الزواج .

سادسا - قد يأخذ الحب الأمومى الملتوى صيغة أخرى لدى بعض الأمهات ، وذلك بأن تعمد الأم إلى التباهى والافتخار بابنها أو بابنتها المراهقة أمام كل من تصادفه ، وقد يكون المدح أمامه أو فى غيابه . وكأن اللّه سبحانه لم يخلق مراهقًا عظيمًا، شجاعًا ، مغوارًا ، ذكيًا ، لطيفًا ، حكيما ، مطيعًا ، لماحًا ، خفيف الظل ، كما خلق ابنها ، وكأن البشرية لم تعرف مراهقة تتمتع بجميع جوانب الجمال ، والرقة، والعذوبة ، والفطنة ، كما تحظى به ابنتها المراهقة. وواضح بما لا يدع مجالا للبرهان ، أن أمًا من هذا النوع، تعمل على إفساد أبنائها ، وتجعل منهم شخصيات مغرورة ، لا تحسب حسابًا للآخرين . وما داموا قد وصلوا إلى كل شىء ، إذن فلا حاجة بهم إلى الاجتهاد فى الحياة ، أو السعى للتقدم ، أو لاكتساب خبرات جديدة . وينجم عن هذا الإحساس من جانب المراهقين والمراهقات المخدوعين تجمُّد شخصياتهم ، وتوقفها عن متابعة مسيرة النمو ، والتقوقع فى قمقم ضيق . ناهيك عما يحمله لهم أترابهم من واحتقار ، وما يبدونه لهم من تهكم وامتعاض .

سابعا ـ ولقد يزيد انحراف الأم من هذا النوع بحيث تأخذ فى إبداء إعجابها بما يبدو فى سلوك ابنها المراهق أو ابنتها المراهقة من اعوجاجات سلوكية . إنها تجعل من المشاغبات التى ينخرط فيها ابنها بطولات ، لا يقدر على أمثالها سواه . وهى تجعل من الوسائل التى يستعين بها للغش فى الامتحان براعة فى التفكير والتخطيط، وتجعل من الوسائل التى يتذرَّع بها لمعاكسة بنات الجيران رشاقة ، وخفة ظل ورجولة متدفقة لا تحتاج إلى برهان . وموقف مثل هذه الأم تجاه ابنتها المراهقة، لا يختلف كثيرًا عن موقفها من ابنها المراهق . إنها تجعل من مغامرات ابنتها مع الشبان ، تحضرًا ومماشاة للعصر ومقتضياته . ولعلها تفتخر لدى جاراتها بأن ابنتها تغوى الشباب بجمالها . وبعد أن يسعوا نحوها ، فإنها تلوذ بالفرار من وجوههم مكتفية بإذلالهم وإخضاعهم لحبها . وهكذا تجد مثل هذه الأم تأخذ فى الضحك متفاخرة بسخافات ابنتها ، جاعلة من كل قبيحة تقترفها مجدًا لها ، يجب أن يخلّده الجيران فى سجلاتهم ، بل ويجب عليهم أن يتناقلوها كمفخرة لا تستطيع أن تحظى بها سوى ابنتها العزيزة .

ثامنا ـ ولقد تنحرف الأم بعواطفها تجاه ابنها المراهق أو ابنتها المراهقة ، وذلك بإحلاله أو إحلالها محل الأب . وإحلال الابن المراهق محل الأب فى السيطرة على مقاليد الأسرة ، واستحواذه على الكلمة المسموعة ، مسألة مشهورة فى كثير من الأسر. ولكن استحواذ المراهقة على ذلك ، منحصر فى حالات نادرة . لقد تجد الشائع بالنسبة لبعض الآباء المصابين بالحب المقلوب لبناتهم ، أن يحلوا البنت الكبيرة المراهقة محل الأم ، وذلك يجعل كلمتها هى الكلمة المسموعة فى الأسرة ، ويأخذ الأب فى تسليمها مصروف البيت ومقاليد تدبيره ، وكأنه أمر بإحالة الأم إلى المعاش ، ونفى وجودها الاجتماعى من بيته . وإذا نحن عدنا إلى الأم التى تحيل موقع ابنها الصغير إلى موقع ضخم ، بحيث تحله محل الأب ، وتجعل له الكلمة العليا فى الأسرة ، فإننا نقول : إن مثل تلك الحالات تكون مشفوعة فى الغالب برغبة فى الانتقام قديمة تعتمل لدى الأم من الأب . ربما كان ذلك الأب عاتيًا فى أيام زواجه

الأولى ، فاصطبرت الأم حتى يكبر ابنها الصغير ، وينخرط فى سلك الرجال، ثم تأخذ فى القيام بلعبتها الماكرة ، وهى إزالة وجود الأب معنويا من البيت ، وذلك بتضخيم شخصية الابن ، والانتصار له على الأب . ولقد تصل الأم فى سبيل تحقيق ذلك إلى حد إفساد الابن والقضاء على مستقبله وكيانه النفسى والاجتماعى. ولقد تأخذ ـ شعوريا أو لا شعوريا ـ بوضع الدسائس بين الابن وأبيه، حتى تسنح لها الفرصة للإطاحة بالأب وتتويج الابن معنويا مكانه .

تاسعا ـ ولقد تتجه الأم بعواطفها نحو أبنائها وبناتها المراهقين وجهة أخرى ، إذ تعمد إلى تحقيق كل رغبة تلوح فى أفق فكر الابن أو البنت . وتنسى مثل هذه الأم أن تفرق بين الحاجات والرغبات كما سبق أن فرَّقنا وميَّزنا . فهى تخضع لطغيان الرغبات الجانحة والمتدفقة والمستمرة فى النمو والنهم ، لدى كل من الابن والبنت المراهقين . ولذا فإن مثل تلك الأم تحفر قبر أمومتها بيديها ؛ ذلك أن المراهق والمراهقة اللذين يعتادان استجابة كل رغبة تعتمل فى قلبيهما، إنما يتدهوران اجتماعيا، ويفسدان أخلاقيا ولا يطيق عشرتهما أحد . فالأنانية ترتسم على ملامحهما ، وتتبدى فى تصرفاتهما ، ولا يمكن ترويضهما بعد فوات الأوان بأى حال من الأحوال .

عاشرا ـ أخيرًا قد يأخذ حب الأم نهجًا آخر مضادا لما ذكرناه . لقد ينحرف حب الأم من التهاون إلى التشديد ، ومن الخضوع للرغبات إلى محاربة كل رغبة تظهر لدى المراهق . وهذا نوع من الأمهات تستولى عليه غالبًا مخاوف من أن الابن المراهق أو البنت المراهقة معرضان للفساد ، ويجب أخذهما بكل حزم وشدة . وهذا يحدو بهن إلى أن يتشبثن بمثل عليا تربوية غير واقعية .

ونستطيع أن نحدد موقف الأم التي ترغب فى أن تكون أما صالحة للمراهق وللمراهِقة فى أنه موقف متفهِّم ، متبصِّر بواقع العلاقة الوجدانية بين الأم وأبنائها المراهقين فلا تستخدم تلك العاطفة الأمومية إلا لصالح أبنائها المراهقين، ولا تحاول أن تنحاز فى نظرتها إلى نفسها ، ولا تجعل من حبها وسيلة لمناوأة الأب أو النيل من مكانته فى الأسرة ، ولا تفترض أن حبها لأبنائها وبناتها يتخذ نفس الصيغة أو نفس الشدة كما كان الحال وقت أن كانوا أطفالا صغارًا .

المشورة الصالحة :

لا شك أن الأم التى تستطيع تقديم المشورة الصالحة لأبنائها وبناتها المراهقين، لهى أم حكيمة تستطيع أن تُخَرِّج من بين يديها شخصيات سعيدة وناجحة ومتبصِّرة فى الحياة . وعلى العكس من ذلك ، فإن الأم العاجزة عن تقديم المشورة الصالحة ، أو التى تقدم مشورة فاسدة ، هى أم تخرج من بين يديها شخصيات خرقاء حمقاء وفاشلة فى الحياة ، لا تستطيع أن تتقدم خطوة نحو المستقبل بتوفيق وفلاح.

والمراهقون والمراهقات أكثر من أية فئة عمرية أخرى ، هم أكثر الناس حاجة إلى الحصول على المشورة الصالحة فى الحياة ؛ ذلك أن فترة المراهقة مفعمة بالكثير من المشكلات المتنوعة . فثمة مشكلات نفسية ، وأخرى اجتماعية تتعلق بأفراد الأسرة ، وثالثة تتعلق بالمدرسة والمدرسين والطلاب ، ورابعة تتعلق بالمجتمع الخارجى ككل ، وخامسة تتعلق بالدراسة والاستذكار ، وسادسة تتعلق بالتوافق مع المجتمع ، والوقوف على شئونه المتباينة ، واتخاذ موقف محدد منها . وهناك أيضًا من جهة سابعة مشكلات فكرية وعقائدية تتعلق بالدين وبالقضايا العامة الأساسية ، كقضية المرأة ومساواتها بالرجل وقضايا الوطن ، وغير ذلك من قضايا تتطلب من كل مراهق ومراهقة اتخاذ موقف بإزائها .

ولكى تستطيع الأم تقديم المشورة الصالحة لأبنائها وبناتها المراهقين بإزاء كل تلك الصنوف من المشكلات وغيرها ، مما يطرأ على حياة المراهق والمراهقة، ومما يلح على فكره ووجدانه ؛ فلابد لها أن تكون متزنة وجدانيا من جهة ، ومستنيرة بوجه عام من جهة ثانية ، ومعتدلة التفكير والمزاج من جهة ثالثة ، وصادقة الحس من جهة رابعة ، وقادرة على استحواذ ثقة أولادها وبناتها المراهقين من جهة خامسة.

وهناك بعض الناس - وبخاصة بعض الأمهات - يحظون بموهبة الحس الصادق . وهذا ما يعبَّر عنه فى علم النفس بالحدس . ويعرَّف الحدس بأنه رؤية عقلية للواقع لا تعتمد على معطيات حسية مباشرة ، أو على شواهد وأحداث واقعية . وهناك من يخلطون بين التخمين وبين الحدس ، ولكن الواقع أن هناك فرقًا واضحًا فيما بين الحدس والتخمين . فالتخمين : عبارة عن اختيار بين بدائل مختلفة مع الخضوع للمصادفة فى الاختيار . فالذى يخمِّن لا يكون واثقًا من ظنِّه ؛ بل يكون مُقيمًا الاحتمال لصدقه أو لخطئه . أما بالنسبة للشخص الحادس : فإنه يكون مشاهدًا للحقيقة بجوهرية عقله . ولا يكون فى حدسه معرَّضًا للظن ، بل

يكون مسلّحا باليقين الذى لا تشوبه ريبة أو تردُّد فكرى . فنحن بالحدس نستطيع أن نقف على كثير من الحقائق . وهذا ما يحدث لدى تناول بعض المشكلات العقلية . إن الشخص الحادس يستطيع أن يقف فجأة على العلاقات الموجودة بالموقف ، بغير أن يسير فى سلسلة من المقدمات إلى النتائج . فالحل العقلى يصل إليه فجأة بالحدس لا بالعقل . وهذا ما حدث مثلاً مع ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) بالنسبة للكوجيتو (أنا أفكر ؛ فأنا موجود) ، وهو الذى نفعله فى كثير من المواقف الحاسمة فى حياتنا اليومية وفى الاختيارات التي تحدِّد مسار مستقبلنا .

والأم الصالحة للمراهق والمراهقة ، يجب أن تكون صاحبة حس صادق وحدس سابر لأعماق الواقع ، بل وسابر لأعماق ابنها المراهق وابنتها المراهقة . ذلك أن الناس جميعًا إذا ما تهيأت نفوسهم بالهدوء النفسى ، والاستقرار الوجدانى ، فإنهم يتسلّحون عندئذ بسلاح الحدس الذى يمكّنهم من الوقوف على الحقائق من حولهم ، بغير ما حاجة إلى وقائع محسوبة يستندون إليها ، وبغير ما حاجة إلى شواهد أو أحداث يشيدون عليها ما ينتهون إليه من أحكام .

والواقع أنه ليس ثمة تعارض بحال فيما بين حصول الأم على الوقائع والمعلومات ، وبين أن تكون متمتعة بالقدرة على الحدس . والذين يزعمون أن الحدس النقى لا يتواكب إلا مع الجهل ، بدليل أن كثيرًا من العجائز يستمتعن بهذه القدرة الحدسية ، إنما يرتكنون إلى برهان يقوم على المصادفة ، وليس على الواقع الفعلى . والعنصر الضرورى لتوافر الحدس عند الشخص ، هو صفاء النفس وخلودها إلى الهدوء والاتزان النفسى . ولم يقل أحد إن المعرفة فى حد ذاتها ، تعمل على إفساد الإحساس النقى والتفتح القلبى والهدوء النفسى . بيد أننا قد نجد كثيرًا من المتعلمين، وقد فقدوا استقرارهم النفسى وهدوءهم الداخلى ، وصاروا نهبًا للانفعالات الداخلية بحيث انتهوا إلى ظلام نفسى مقيت وأصبحوا فى صراع داخلى مرير.

ومن هنا فإننا نستطيع القول بأنه إذا ما تواكبت لدى الأم المعرفة السليمة مع الحس الباطنى والاتزان الانفعالى المكين ، فإنها تستطيع أن تكون مهيأة عندئذ لتقديم المشورة الصالحة لأبنائها وبناتها المراهقين . ولكن تقديم المشورة فن لا يتوافر بالمصادفة لكل أم عرفت وقائع الحياة ، وتسلحت بالحس الصادق ؛ ذلك أن الحنكة فى الحياة ، والإفادة من الخبرات التى تمر بالشخصية ، بل ومن الخبرات التى تمر فى حياة الآخرين والقدرة على انتقاء المناسب لكل حالة ولكل موقف ، ضرورى للأم، لكى تتمكن من تقديم المشورة الصالحة والصادقة إلى أبنائها وبناتها .

ومن الأهمية بمكان أن ندرك أن طريقة تقديم النصيحة فن عظيم يجب أن تتدرب عليه الأم . فالهدوء والإيضاح وعدم فرض الرأى بشدة وتقديم المشورة بطريقة موضوعية وغير حماسية يساعد على تقبُّل الرأى بغير مقاومة من جانب المراهق والمراهقة . فالحماس الكثير من جانب الأم يقابَل بنفور كبير من جانب الابن أو البنت . أما التزام الهدوء فى تقديم النصيحة ، فإنه كفيل بسريان مفعولها فى نفسية المراهق والمراهقة وعدم إبداء المقاومة فى ذلك .

والأم التى تصلح لتقديم المشورة الصالحة ، هى تلك التى تحسن استخدام صوتها فى تقديم النصيحة والرأى . والواقع أن نبرات الصوت ، لا تقل أهمية عن مضمون النصيحة نفسه . وهناك من الشخصيات من أعطيت قدرة على التحكم فى الصوت ، وعلى إعطاء المعنى الذى يتضمنه الكلام الإطار الصوتى المناسب له . فلا يكفى أن تقوم الأم بتقديم النصيحة بأى صوت وبأى نغمة ، بل يجب أن تتخيَّر طبقة الصوت المناسبة ، وأن تضغط على الكلمات التى يجب الضغط عليها ، والبطء عند الفقرات التى يجب مراعاة البطء فيها . وفى هذا المقام نَذْكر فيلسوف التربية الروسى أنطون ماكارنكو (١٨٨٨ - ١٩١٦) الذى قرر فى فلسفته التربوية أهمية تدريب المربى والمربية على استخدام طريقة إلقاء الأوامر المناسبة ، قائلا : إن الصوت يُعتَّبر من أهم العوامل التى تجعل للكلام قوة وتأثيرًا مما يحمل المستمع على الطاعة.

وهذا فى الواقع ملاحظ فى حياتنا اليومية . ويكفى للتأكد من هذا أن نتناول بعض الحالات التى تشكو فيها الأم من عدم جدوى كلامها مع أبنائها المراهقين والمراهقات . لاحظ قدرة كل أم من أولئك الأمهات على التحكُّم فى صوتها ، وعلى مدى قدرتها على حسن استخدامه . إنك سوف تلاحظ أن الواحدة منهن تخرج من حنجرتها صياحًا لا يصل إلى القلب ، أو أنها تتذرَّع بطبقة صوتية منفِّرة ، أو أن إلقاءها للأمر يكون بطريقة مائعة وكأنها تتثاءب وهى تتكلم . والمفروض أن تستعين الأم بنغمات صوتية مناسبة للمعنى الذى تسوقه . وقد يحتاج الأمر من بعض الأمهات إلى الاستعانة بالتدرب على إخراج الكلمات بالطريقة المناسبة ، والتذرع بالهدوء المناسب ، وقد يحتاج الأمر إلى أن تعدِل الأم عن استخدام بعض المفردات التى تستخدمها ، أو من طريقة نطقها بها .

والمهم أن تعلم الأمهات أننا لا نؤثّر فى الآخرين بفكرنا وحده ، بل نؤثّر فيهم أيضًا وبالدرجة الأولى بما نتركه فيهم من انطباعات وجدانية . ومن أهم وسائل التأثير ما يخرج من أفواهنا من نغمات . هل تعلم أن الإنسان يعيش بالوجدان وبموسيقى الحياة أكثر مما يعيش بفكره ومنطقه ؟ وهل تعلم أن الكلام الذى ننقله من حناجرنا إلى آذان الآخرين ليس مجرد ذبذبات تخرج من اللسان إلى الآذان ، وليس مجرد كلمات تحمل معانى ، بل هو فوق ذلك ـ وأهم من ذلك ـ تعبيرات وجدانية تنم عن انفعالات معينة صاخبة أو هادئة . ولا غرو فإن الكلام قبل أن يتطوَّر فى نطاق الحضارة ويصير لغة ، كان عبارة عن صيحات معبِّرة عن الانفعالات المعتملة لدى الناطق به . والمعروف أننا لا نخلع عن أنفسنا طبيعتنا الأصلية ونرتفع إلى آخر مستوى وصلت إليه الحضارة ، بل إننا نعيش بكل الطبقات الحضارية التى انبنت الحضارة عليها . فما يزال فى كياننا البشرى ذلك الكيان البدائى الذى نشأ وانبنى على يدى المجتمع البدائى ، وما تزال فينا أيضًا تلك الطبقات الحضارية التالية للمجتمع البدائى . وطبيعى أن يعتمل فينا أيضًا ما يتضمنه المجتمع الحضارى الراهن . ومعنى هذا : أننا نعيش بما ورثناه عن الماضى البعيد متفاعلاً مع ما يتضمنه الحاضر القريب . فالأصوات المؤثِّرة والمعبِّرة التى كانت تدوِّى أو تتناقلها الآذان همسًا فى الغابات ما تزال قائمة وموجودة لدينا ، وما نزال مستخدمين لها فى حياتنا وقد تفاعلت مع المعانى والمنطق . فليس معنى بزوغ المنطق فى حياتنا الإنسانية أننا خلعنا عن أنفسنا ما يتلبس به كلامنا من موسيقى ومن انفعالات ، بل معناه : أن كلام الإنسان الحديث أصبح كالبناء ذى الطوابق المتعددة .

وإذا كنا فى اللغة العلمية نلجأ إلى المنطق أكثر مما نلجأ إلى العواطف ، فإننا فى لغة الحديث نلجأ إلى العواطف أكثر من لجوئنا إلى المنطق . من هنا يجب على الأم أن تتذرع بالعاطفة تُفعِم به كلامها لدى تقديمها المشورة إلى أبنائها ، وألا تفقد الصلة الوجدانية بينها وبين أبنائها وبناتها . وإذا علمنا أن هذه الفترة هى فترة الإعجاب بالشخصيات العظيمة وبالمثل العليا الاجتماعية التى تعيش بين ظهرانينا أو بعيدًا عنا ، فيجب على الأم أن تسارع بأن تجعل من نفسها مثلاً أعلى يأسر قلوب أبنائها وبناتها المراهقين ، وأن تستخدم فى مشورتها كل الأساليب النفسية التى تؤثّر إيجابيا فى تحريك شخصيات أبنائها فى الاتجاه السليم .

والمشورة الصالحة تَصْدر عن الأم ، وكأنها لسان حال المراهق أو المراهقة التي تطلب المشورة . وطبيعى أن الابن - أو البنت - لا يتقدم إلى الأم بطلب المشورة إلا إذا كان مطمئنا إليها ، واثقًا فى حسن توجيهها . وأفضل مشورة هى تلك التى تعبِّر عن ذاتية طالب المشورة نفسه . إن الأم الحصيفة تستطيع أن تميِّز بين الخيط الأسود والخيط الأبيض ، وتستطيع أن تقدِّر المشورة التى يحس المراهق أو المراهقة أنها إنما تصدر عن ذات نفسه ، وأنها ليست صادرة إليه من خارج كيانه . ولكأن الأم الصالحة تتحدث من دخيلة المراهق ، ولكأنها صارت نفسه أو صارت صميم كيانه ؛ وكأنها قد تقمَّصت ضميره ، بحيث يأتى كلامها صدى لما يعتمل فى داخله .

ولابد لنا من ذكر الصعوبات التى تعترض طريق المشورة الصالحة التى يجب على الأم توفيرها لأبنائها وبناتها المراهقين .

أولا - عدم اختيار الأم للوقت المناسب لتقديم النصيحة أو الرأى . فليس بكاف أن تعمد الأم إلى تصحيح مسار أولادها بالكلام بغير أن يكون أولئك الأبناء والبنات مهيَّئين نفسيا لتقبُّل التوجيهات . ولا تتأتى مرحلة التهيئة النفسية إلا إذا كانت هناك خلفية من الثقة والحب من جانب الأبناء والبنات للأم . وهناك أوقات لا يكون فيها المراهقون والمراهقات على استعداد لسماع أى توجيه أو الإنصات إلى أية نصيحة ، بل يكونون متشبِّثين بما سبق أن تشبثوا به من اتجاهات ، وما اعتادوا عليه من سلوك . ولكن من حسن الحظ أن هناك أوقاتًا أخرى يكون المراهقون والمراهقات على استعداد خلالها للإنصات بكل جوارحهم لما يقال لهم ، بل إنهم يلتمسون النصيحة عند ذوى الفطنة ، ولدى من يثقون فيهم من شخصيات . فإذا كانت الأم حائزة على ثقة أبنائها وبناتها المراهقين ، فإنها تستطيع أن تستغل تلك الثقة ، وأن تتلقَّف الوقت الذى يكونون فيه على استعداد لتقبل المشورة والنصيحة ، فتأخذ فى تقديم توجيهاتها وما تريد حمل أبنائها على اتباعه من سلوك .

ثانيا - وثمة خطأ ثان يتعرض له كثير من الأمهات ، هو ظنهن بأن تقديم المشورة والنصيحة معناه : استلاب المراهق والمراهقة لكل استقلال ولكل موقف إيجابى . والواقع أن تقبُّل المشورة من جانب المراهق والمراهقة ، لا يعنى

الطاعة العمياء ، وعدم اتخاذ موقف إيجابى ، أو موقف فيه شىء من التعارض مع ما يلقى إليهم من نصيحة أو ما يُسّدى إليهم من مشورة . الواقع أن هذا غير صحيح ؛ فإيجابية المراهق والمراهقة خلال أخذ المشورة قد يعنى أيضًا الأخذ بجانب من المشورة دون باقى الجوانب . ولقد يرفض المراهقون والمراهقات المشورة وقت الاستماع إليها، ولكنهم ما يفتأون يأخذون بها بعد حين . ولكأن المشورة تكون أحيانًا بحاجة إلى بعض الوقت ؛ لكى تختمر خلاله ، ولكى تملك ناصية المراهق والمراهقة . فيجب أن تفهم الأم أن رفض ابنها أو ابنتها للمشورة أو النصيحة ، لا يعنى باستمرار أنه رفض قاطع لا رجعة فيه ، بل قد يكون الرفض رفضًا شكليا ، بينما هو فى حقيقته قبول للرأى أو المشورة . وتظهر ثمار ما قيل لهما بعد حين ، قد يقصر أو يطول . وتستطيع الأم بحصافتها أن تدرك فى عينى ابنها أو ابنتها ذلك التقبُّل للمشورة التي قدمتها إليهما برغم تظاهرهما بعدم قبولها .

ثالثا - فى بعض الأحيان يكون لدى المراهق والمراهقة ما يقولانه ، ولكن الأم لا تعطيهما الفرصة الكافية للتعبير عن خلجاتهما ومشكلاتهما ، بل هى تقدم النصائح والتوجيهات قبل أن تقف على الحقيقة كاملة . ومعنى هذا بالتالى : أنها تقدم الدواء لداء غير الداء ، ومعناه أيضًا : أنها تتعصب لبعض الاتجاهات ولبعض ألوان السلوك التي قد لا تناسب الاتجاهات والسلوك الواجب على المراهق والمراهقة الأخذ بهما واتباعهما .

كاتمة الأسرار :

قلنا إن ثقة المراهق والمراهقة فى أمهما تعتبر ركنًا أساسيا وجوهريا فى علاقتهما بها إذ إن تلك الثقة تسمح لهما بأن يقرّبا المسافة بينهما وبينها ويُفْصحا لها عما يدور بخلدهما ، ولا يكتما عنها ما يعتقدان أنه ضمن أسرارهما التى ينبغى ألا تكشف لسواها حتى للأب والإخوة والأخوات بالبيت .

ويجب على الأم أن تضع فى اعتبارها أن سرية السر مسألة نسبية وليست مسألة عامة تخضع لمعيار موضوعى عام يشترك فيه جميع الناس . فما قد يعتبر سرًا بالنسبة لى قد لا يعتبر سرا بالنسبة لك ، وما يعتبر سرا بالنسبة للمراهق قد لا يكون كذلك بالنسبة للمراهقة ، وما يعتبر سرا بالنسبة للشخص وهو طفل صغير، قد لا يعتبر كذلك فى المراهقة ، وما يعتبر سرا فى نظر المراهق قد لا يعتبر سرا

بالنسبة له هو شخصيا بعد أن يترك طور المراهقة وينخرط فى طور الشباب . ولقد يعمد الشخص نفسه إلى تسجيل وإعلان ما كان يعتبره يومًا ما من أكثر أسراره حساسية له ، ولكنه بعد أن كبر ونضج إلى مستوى نمائى معين ، صار ما كان يراه سرا مسألة عادية لا مانع لديه من التحدث عنها على الملأ ، ولا يخجل من أن يعرفه الآخرون ، وهم الأشخاص أنفسهم الذين كان يخشى من إعلان تلك الأشياء عليهم .

ومعنى هذا : ألا تعمد الأم إلى تحديد ما هو سر وما ليس بسر مما يقال لها من المراهق والمراهقة فى ضوء معاييرها الخاصة بها ، بل يجب أن تحدد ذلك فى ضوء معايير أبنائها وبناتها أنفسهم . والواقع أن الأم لا تستطيع أن تكون أما صالحة لرعاية المراهقين والمراهقات إلا إذا هى استطاعت أن تحافظ على أسرارهم وتقدسها ؛ وتتعهد أمام الله وأمام ضميرها بألا تُفْضى بما أسرَّ لها أبناؤها به خفية حتى للأب . وذلك حماية لأمومتها ، وحماية لمشاعر أبنائها وبناتها .

وطبيعى أن المراهق والمراهقة إذا ما أحسا بأن الأم تعلن ما أودعاه لديها من أسرار شخصية ؛ فإنهما لن يعودا إلى بثها أى سر جديد مما يريان ضرورة إخفائه عن الناس . ولا شك أن الأم التى تفقد هذه الثقة ، والتى يخشى أبناؤها من ذكر شىء لها من خصوصياتهم ؛ خوف انتشاره وذيوعه ، إنما تكون قد فقدت ركنا هاما وأساسيا من وظيفتها التربوية ، بل وتكون قد سدَّت أمام أولادها وبناتها مَنْفذًا هاما كان يجب أن يظل مفتوحًا ومتاحًا يودعون فيه أسرارهم بغير أن يخافوا من انتشارها وإعلانها على الملأ .

ولا شك أن إلحاح السر على ذهن المراهق والمراهقة يحدث لديهما شيئًا من التوتر النفسى ، بحيث يجدان نفسيهما فى لحظة ما بحاجة ماسة إلى شخص أمين يُفْضيان له بمكنونات قلبيهما مطمئنين إلى أن كل حرف سيقولانه له ، وكل خلجة من خلجاتهما سيعبران بها أمامه ، سوف تظل غير واجدة إلى الإفشاء سبيلا . ولقد تكون حاجة المراهق أو المراهقة حاجة نفسية وليست حاجة أخلاقية لدى إيداعه سره فى أحضان الأم ؛ لأنه يجد فى هذه العملية استرخاء نفسيا يجب أن يحصل عليه ، واتزانا وجدانيا يجب أن يسترده بعد أن فقده ، واستردادا لثقته بنفسه التى بدأ فى الإحساس بإفلاتها من بين يديه ، ولقد ينفعل المراهق أو المراهقة وهو يعلن

لأمه ما يراه سرا ، فينفجر فى بكاء مرير يحس بعده بأن الهدوء قد ساد نفسيته ، وبأن الاعتدال والنقاء قد ظللا وجدانه ، وبأن السعادة قد وجدت طريقها إلى فؤاده.

والواجب على الأم أن تميز بين ما يجب أن تنظر إليه من زاوية نفسية ، وبين ما يجب أن تنظر إليه من زاوية أخلاقية . فالواقع أن كثيرًا مما يعلنه المراهق أو المراهقة للأم من أسرار ، يقع فى نطاق الناحية النفسية ، ويجب على الأم ألا تنظر إليه من الزاوية الأخلاقية . وفى هذا النوع النفسى من الأسرار ، تكون المهمة الأساسية للأم منحصرة فى حسن الإصغاء لما يقال لها ، ولما يعبِّر به المراهق والمراهقة عن أسرارهما ، سواء كان كلمات ، أم نبرات صوت أم ملامح وجه أم حركات ، وسواء كان التعبير صريحًا جليا ، أم كان غامضًا ومبهمًا ومشوبًا ببعض الرموز أو الإيماءات .

ولا يعنى الأم كثيرًا أن تفهم المضمون والتفاصيل ، بالنسبة لهذا النوع من الأسرار النفسية التى يقصد المراهق (أو المراهقة) من إفشائها لها التخفيف من حدة التوتر النفسى المعتمل لديه ، ولا يكون من الضرورى أن توجه الأسئلة والاستفسارات المتلاحقة إليه بل يجب تركه وشأنه ينطق بما يريد ويعبر عما يشاء ، ويخفى أيضًا ما يشاء . ويجب ألا يأخذ حب الاستطلاع فى امتلاك ناصية الأم ، فتبدى اشتياقها لمعرفة المزيد ، كما يجب عليها أيضًا ألا تبدى الامتعاض مما تسمع، وألا تعمد إلى إبداء أية علامة فى وجهها أو بكلامها تدل على الغيظ أو الاحتقار أو حتى عدم التوقع . إنها يجب أن تأخذ الأمر مأخذًا موضوعيا ولا تبدى كثير اهتمام بما تسمع مهما كان مثيرًا . يجب أن تكون فى مقام عال وكأنها طبيب نفسانى يستمع إلى خلجات نفس المريض الذى يعبِّر عن باطنه بغير تدخُّل وبغير إلحاح على ما يقول وما لا يقول .

والواقع أننا عندما نشبِّه الأم فى هذا الموقف بالمحلل النفسى أو الطبيب النفسى ، فإننا لا نكون مغالين ، ولا نكون مشبِّهين شيئًا بشىء آخر مخالف ، بل نكون مؤكدين الدور السيكلوجى الذى تقوم به الأم ، واشتراكها فيه مع المحلل النفسى . ولكن لكى تستطيع الأم تقديم المساهمة الإيجابية والفعَّالة فى هذا الدور النفسى ، يجب أن تمرِّن نفسها على حسن الإصغاء ، وعلى تقديم القدر المناسب من

الأسئلة والاستفسارات بغير أن تطنب فى ذلك ، وبغير أن تقدم الأسئلة قبل أن ينتهى المراهق أو المراهقة من حديثهما . إن الواجب على الأم أن تترك الفرصة لابنها المراهق أو لابنتها المراهقة ؛ لكى يقولا كل ما عندهما ، ولا داعى لمقاطعة كلامهما للاستفسار عن شىء ، ولا داعى أن يكون الكلام المسموع مترابطًا محكمًا ، ولا داعى للتبرم من طول الاستماع ، أو للانصراف عن الاستماع إلى شىء آخر مما يهم الأم أكثر من الاستماع إلى كلام ابنها أو ابنتها .

وطبيعى أن توفر الأم الفرصة والمكان والزمان وكل مقومات الموقف التى تسمح لابنها المراهق أو لابنتها المراهقة للتعبير عما يدور بخَلَدهما . وبهذه المناسبة ننصح الأم بأن تخصص بعض الفرص لكل واحد من أبنائها على حدة بغير تكلُّف ؛ لكى تقضى الوقت الكافى معه على انفراد ، كأن تصحبه إلى مكان بعيد عن البيت تجلس إليه فيه ، وتكون قد وضعت نصب عينيها إعطاءه (أو إعطاءها) الفرصة الكافية للتعبير عن نفسه بحرية وكأنها تقول فى نفسها : « إن هذه هى فرصته للكلام وليست فرصتى . إذن فلأتركه يتكلم بحرية بغير أن أقاطعه » . والأم فى هذا الموقف لا تقول لابنها أو ابنتها : « ها إنى هيأت الفرصة لك لكى تذكر لى أسرارك» إن الأسرار لا تطلب بل تعرض بمحض إرادة المراهق والمراهقة ، وباعتمال فى أوصالهما، وبإحساسهما بالحاجة النفسية للتعبير عن ذات نفسيهما لأمهما . إن على الأم فقط أن تهيئ الظروف والمواقف المناسبة لتعبير المراهق والمراهقة عن نفسيهما لها ، ولكنها لا تطالب الابن أو البنت بالكلام ، ولا تدهش أو تتضايق لأنهما لم يقولا لها شيئًا . إن كل ما عليها هو توفير الفرصة أمام أبنائها وبناتها للكلام ، فإن هم استغلوها فبها ونِعْمت ، وإن لم يستغلوها ، إذن فليست لديهم توترات ملحة بحاجة إلى التعبير عن وجودها ، أو لعلهم لم يتهيأوا بعد للاعتراف لها بما يكنونه فى أنفسهم من أسرار .

وإذا كانت الأسرار التى تقال للأم من النوع الذى يكون بحاجة إلى توجيه أخلاقى فعليها إذن أن تقتصد فى تقديم النصائح ، ويجب عليها أن تفهم جيدًا أن النصائح الكثيرة يضيِّع بعضها بعضًا ، وأن الاقتصاد فى تقديم النصائح هو أفضل ضامن لفاعليتها .

والمهم أن تعرف الأم متى تقدِّم النصيحة ، ونوعية النصيحة التى تقدمها ، ويجب أن تكون ماهرة فى تحديد الوقت الذى تقدم النصيحة فيه كما سبق أن ذكرنا. ويجب أن تطمئن الأم ابنها وابنتها بأنها ستحافظ على سرهما بعيدًا عن جميع الناس، وأن ما قالاه لها سيكون طَىَّ الكتمان لا يعرفه مخلوق ، وفى الوقت نفسه يجب أن تؤكد عليهما بعدم ذكر أسرارهما لأحد سواها حتى لا تنقل إلى الناس ، وأن تدربهما على الحفاظ على ما لا يريدان إذاعته من أسرارهما الشخصية .

ولعل أخطر ما يعتمل فى نفوس المراهقين والمراهقات من أسرار هو ما كان متعلقًا بالجنس . وبالنسبة للمراهقة فإن بداية الطمث (الدورة الشهرية) تعتبر من أكثر الأشياء سرية فى نظرها . إنها تكاد تقبل يدى ورجلى والدتها طالبة منها أن تحفظ سرها وألا تقول لأحد عنه شيئًا حتى الأب . ويجب أن تعلم الأم أن بعض المراهقات يعتقدن أن فى هذه الظاهرة ما يدل على الخطيئة ، كما قد يستولى الخوف على البعض منهن وقد خيَّم عليهن الاعتقاد بأن هناك خطرًا محيقًا بحياتهن أو أن صحتهن ستتدهور نتيجة هذا الدم المنبثق من أجسادهن . وحتى عندما تحاول الأم جاهدة تصحيح المفاهيم الخاطئة التى ارتسمت فى ذهن ابنتها المراهقة عن تلك الظاهرة الطبيعية ، موضحة لها بأن ما يظهر لديها كل شهر ، إنما يظهر لدى جميع الإناث ، فإنها تحس مع ذلك بأن الأمر شر عظيم يجب إخفاؤه عن كل الناس .

والواجب على الأم الحصيفة أن تشجع هذه السرية ، وألا تهتك أستارها ؛ ذلك أن الفتاة التى تحافظ على كل ما يتصل بتلك الظواهر الجسمية الجنسية جديرة أيضًا بأن تحافظ على عفتها ، وأن تكون بعيدة عن منال الآخرين من الجنس الآخر . هذا بالإضافة إلى أن مثل هذا الاتجاه الذى يتأصَّل لدى المراهقة يجعلها تحترم ذاتها ولا تسف فى الكلام عن هذه الأمور ، وبذا تظل أنوثتها مشفوعة بالحياء الذى هو من ضروريات الأنوثة المكتملة . وحتى إذا تعرضت الأم للحديث عن تلك المسائل ، فيجب أن يكون كلامها بحرص من الإسفاف أو التهكم ، وألا تكثر من التعرض لتلك الموضوعات حتى تظل جليلة تكللها الهيبة والوقار . ويخطئ أولئك الذين يريدون من المراهقة أن تتحدث عن أعضائها التناسلية وعن الظواهر الجنسية التى تظهر لديها كما لو أنها تتحدث عن يديها أو أنفها أو عن عملية الإمساك

باليدين أو الشم بالأنف . فالسرية والتقديس والمهابة المحيطة بالأعضاء التناسلية ووظائفها يجب أن تظل مصونة ومكفولة بقدر الإمكان حتى يمكن جعل الاقتراب من تلك المناطق بحساب . فواقع الأمر أن استخدام اليدين مكفول لها منذ ميلادها ، ولكن الأمر يختلف جوهريا بالنسبة للأعضاء التناسلية ووظائفها . فعلى الرغم من ظهور الطمث عند المراهقة ، فإن المجتمع بما يضمه من قيم دينية واجتماعية يحرِّم عليها استخدام أعضائها التناسلية للحمل والولادة ، مع أن ظهور الطمث معناه من الناحية الفسيولوجية المتجردة عن القيم الاجتماعية والدينية : استعداد الأنثى لتقبُّل الحمل والولادة .

إذن فالسرية المضروبة على الأجهزة التناسلية وعلى وظائفها سرية حقيقة بالاعتبار . وهى حالة ضرورية ؛ لتوفير الاحترام والتقديس والتحريم بالنسبة لتلك المناطق الجسمية . فليست المراهقة حرة فى استخدام تلك الأعضاء كما هى حرة بالنسبة لاستخدام يديها وأنفها . إنها ينبغى أن تتعلم الحفاظ على الأسرار المتعلقة بتلك المناطق ، وألا تعلن ما لديها على غيرها ، باستثناء أمها التى تأخذ مشورتها عند اللزوم وبقَدَر وبعدم إسفاف .

وهناك من الأمهات من يتورطن فى إفشاء أحداث أو وقائع حدثت لأبنائهن وبناتهن خلال طفولتهن ما يزالون يعتبرونها أسرارًا ينبغى تغليفها بستار من الكتمان، فقد تعمد الأم مثلاً إلى ترديد ما كان يصدر عن ابنها وابنتها فى الطفولة من تصرفات حمقاء ، ولقد تذكر الأم أن ابنتها المراهقة ظلت تتبول بفراشها حتى الثامنة أو أن ابنها المراهق ظل حتى السابعة وهو يقضم أظافره أو وهو ينام مع الأب فى نفس السرير ، وقد تلوك بأشياء من هذا القبيل تعتقد أنها أمور عادية مع أن المراهق والمراهقة يحسَّان بأن الأرض تميد تحت أقدامهما وهما يسمعان هذا اللغو وتلك المعلومات التي يريدان لها أن تختفى فى صدر الأم .

ومن الأخطاء أيضًا التى تتورَّط فيها بعض الأمهات ، ترديد المخازى والفضائح والسقطات التى زلَّت فيها أقدام أبنائهن المراهقين والمراهقات . فلا يحلو للواحدة منهن وقد استطالت فى مجلسها مع صديقاتها إلا أن تذكر ما يؤلمها ويشتت نومها ، وتأخذ فى ذكر قصة غرام ابنتها المراهقة مع ابن الجيران ، و كيف

أنها حاولت عبثًا منعها من مقابلته . وطبيعى أن تجد الصديقات متعة شديدة فى الإنصات إلى تلك الأحاديث الغرامية المثيرة ، وطبيعى أيضًا أن الأم عندما تجد الشوق فى أعين جليساتها للاستماع إلى المزيد ، فإنها تستمر فى لوك سمعة ابنتها ، وما تفتأ بالانتحاء إلى الحديث عن ابنها المراهق وكيف أنه يتشاجر معها ويسبها أو حتى يضربها ، وكيف أن الأب لا يحسن تربيته ، وأنه لا يستطيع وقفه عند حده ، وأن درجاته بامتحان الفترة دليل قاطع على فشله وغبائه ولعبه واستهتاره ، وهكذا تنتقل الأم الحمقاء من موضوع إلى آخر ، وفى كل كلمة تنطق بها ، وفى كل قصة تخوض فيها ، إنما تحكم على أبنائها وبناتها بأنهم من السِّفْلة وسيئى التربية ومن حثالة الأبناء والبنات .

لو علمَتْ هذه الأم أنها تهدم بيتها بيديها ؛ باستعراضها لمخازى وسقطات أبنائها وبناتها ، إذن لكانت قد عملت الحساب كل الحساب لكل كلمة تخرج من فمها قبل أن تتورط بإلقائها على مسامع صديقاتها اللائى لا يحلو لهن الكلام إلا عن سير الآخرين ، وبخاصة تلك السير المتعلقة بالشائن من الأمور ، والمخزى من القصص ، والمثير لشهية الخيال الشرير .

ومن الأسرار التى يخشى المراهق والمراهقة تناقلها على الألسنة ، تلك الأسرار المتعلقة بالجنس . فإذا ما ضبطت الأم ابنها وهو يأتى بحركات من الشباك لجذب انتباه ابنة الجيران ، فيجب عليها أن تنصح ذلك الابن بأن يمتنع عن ذلك ؛ حرصًا على سمعته وسمعة ابنة الجيران ، ثم تَعِده بأنها ستعتبر هذا سرا بينها وبينه ولن تفشيه لمخلوق . فإن هى بَرَّت بَوعْدها ، فإن هذا سيكبر تلك الأم فى نظر ابنها طوال حياتها ، ولكنها إذا ثرثرت مع أحد أفراد الأسرة أو لدى الجيران وذكرت معلنة ما وعدت بإخفائه . فلا شك أن ابنها لن يغفر لها ذلك طوال العمر . ناهيك عن أنه سيفقد ثقته فى تلك الأم إلى الأبد .

الفصل الرابع

الجو الأسرى حول المراهق والمراهقة

الكيان العضوى للأسرة :

على الرغم من أن المراهق والمراهقة يرغبان بكل جوارحهما فى التشبث بوجودهما الفردى ، مطالبين بالاستقلال عن الأسرة ، وشق طريق جديد ورسم خط جديد لهما فى الحياة ، وعلى الرغم من الثورات والاحتجاجات التى يعلنانها من وقت لآخر ضد القيود الموجودة ، أو القيود التى يتوهمانها بالأسرة ،فإنهما يَكْلفان أشد الكلَف بأسرتهما ويرتكنان إليها وجدانيا واقتصاديا واجتماعيا ، وينطلقان منها باستمرار نحو كل فكرة جديدة تعتمل فى وجدانهما ، ونحو كل مشروع جديد يصبوان إلى تنفيذه . والواقع الذى ينبغى أن يتضح للوالدين باستمرار ، هو أن المراهق والمراهقة يستشفان إنِّيتيهما ووجودهما الفردى من الوجود الجماعى للأسرة ، وكأن المتعيِّن ينبثق من اللا متعين ، وكأن « الأنا » تخرج من « النحن » .

ولكأن المراهق والمراهقة فى تمسُّكِهما بوجودهما الذاتى لا يهدمان الوجود الجماعى للأسرة ، بل إن وجودهما ذاته هو وجود منبثق من وجود أكبر منه ، ولكأنه تفريخ لوجود جديد من وجود قديم . وليس من شك فى أن الوجود فى استمراره لا ينجم عن اتفاق وانسجام بقدر انبثاقه عن انشقاق وتصارع . وهذا فى الواقع قانون الوجود بأسره . فالكون فى صراع بعضه مع بعض بحيث يخرج من الصراع بين الأضداد كينونات جديدة . وهذه الكينونات الجديدة تبدأ فى التصارع أيضًا فيما بينها كأفراد ، وفيما بينها ككل ، ثم بينها وبين الكينونات السابقة عليها بحيث يتولد عن ذلك وجود جديد .

والصـراع الذى يحـدث فيـمـا بين المراهقين والمراهقـات وبين جـيل الكبـار من الآباء والأمهات والمدرسين ، هو ظاهرة صحية وليس ظاهرة تقويضيـة . فليس معنى هذا الصـراع أن الأسـرة قـد زلزلت زلزالهـا أو أنهـا مـعـرَّضـة للخطر ، بل مـعناه : أن الجيل الجديد يتدرَّب عن طريق هذا الصـراع لانتقاء أفضل خبـرات الجيل القـائم ، ونبـذ الخبـرات التى لا تصلح له . بيـد أن الخطـر التقويضى للأسـرة ينجم فقط عن عدم فهم طبيعة المراهقة ، وظن الآباء والأمهات أن خطرًا يتربَّص بكيـانهم من جانب أبنائهم المراهقين وبناتهم المراهقات ، فيأخذون فى محاربتهم ، والفت فى عَضُدهم ، ومهاجمتهم وكبت كل مـا لديهم من مقومـات شابة ترغب فى تأكيد وجودها وتثبيت دعائمها .

ويجب أن يدرك الآباء والأمـهـات أن ظاهـرة المقـاومـة والتصـارع التى تحـدث بينهم وبين أبنائهم المراهقين وبناتهم المراهقات هى مقاومة وتصارع بين قيم جيلين ، وليـست برهانًا على كـراهيـة الأبناء والبنات لهم بعـينهم . الواجب ألا يحـمِّل الآباء والأمهـات المواقف أكثر مما تحتمل فيظنون أن أبناءهم وبناتهم قد أصابهم العقوق ، وأنهم لا يُكِنون لهم المحبة ، بل يضمـرون لهم البـغض والكراهيـة . الواجب أن يُنظر إلى هذه الظاهرة بنظرة موضوعية عامة . فلكى ينمو المراهق والمراهقة لابد من أن يتم نموهمـا بالصـراع مع قيم الجيل القـائم والناضج . ونسـتطيع فى الواقع أن نستخدم لفظ « تفاعل » بدلا من لفظ « تصارع » بصدد الصلة بين جيل المراهقين والمراهقـات وبين جيل الآباء والأمهات ؛ ذلك أن التصـارع ربما يعنى المقـاومـة التى لا تنتهى إلى حدوث تفـاعل والوصول إلى محصِّلة نهائية ، أمـا التفـاعل فإنه يعنى بالضرورة : حدوث تداخل واندماج بين الطرفين المتفـاعلين بحيث ينتهى التفاعل إلى نتيجة جديدة وإلى محصلة عامة .

ولكأن المراهقـة هى فتـرة ميـلاد جديـدة تحدث أيضًـا بالألم كمـا يحدث الميـلاد الأول الجسمى بالألم . ففى الميلاد الأول وهو الميـلاد الجسمى يُنْتـزع كائن حى من كائن حى آخر ، وتكون عمليـة الانتزاع هذه مصحوبة بالألم تتقبلها الأم ؛ لأنهـا سنة الحيـاة ، وتَرْجُح كفـة الوجـود الجـديد كـفـة الألم المعـارض الذى يصـاحب الميـلاد الجديد . وعلى النحو نفسه فإذا مـا وضع الآباء والأمهات فى اعتبـارهم أن رعاية

المراهقين والمراهقات هى فترة ميلاد جديدة مصحوبة بألم نفسى يناظر الألم الجسمى الذى يصاحب الميلاد الجسمى ، فإنهم سوف ـ إذن ـ يتقبَّلون هذه الفترة بغير امتعاض ، وبغير أن يتسرَّب اليأس إلى قلوبهم . وكما أن تقبُّل الأم لواقع الولادة يعمل على تخفيف الكثير من الآلام الجسمية التى تصاحب تلك العملية ، كذلك فإن تقبل الآباء والأمهات لواقع ميلاد شخصية المراهق وشخصية المراهقة يخفف بلا شك الكثير من الآلام النفسية التى تتواكب مع هذا الميلاد الاجتماعى لشخصية المراهق والمراهقة . نعم إنه فى الحالتين لا تتلاشى الآلام سواء بالنسبة لحالة الولادة الجسمية أو بالنسبة لحالة الولادة النفسية والاجتماعية ، ولكن مما لا شك فيه أن تقبُّل الأم للألم فى حالة الولادة ، وتقبُّل الأب والأم له فى حالة ميلاد شخصية المراهق والمراهقة ، إنما يعمل على التخفيف من كثير من الآلام الجسمية فى الحالة الأولى ومن الآلام النفسية فى الحالة الثانية .

وكما تستعين الأم بالقوة وتتذرع بالصحة الجيدة ؛ حتى يتسنى لها وضع الطفل في حالة جيدة بحيث يكون مستمتعًا بالحيوية والنشاط ، وبحيث تكون هى قادرة على تحمل آلام الوضع ، كذلك يجب أن يكون والد المراهق والمراهقة ووالدتهما متمتعين باللياقة الجسمية والنفسية والاجتماعية ؛ حتى يتسنى لهما تقبُّل الآلام التى تنجم عن التفاعل بينهما وبين ابنهما المراهق وابنتهما المراهقة .

وإذا كان الطفل الوليد بحاجة إلى أم متينة الجسم وإلى كيان عضوى متين لديها حتى يولد بسلام ، وحتى تستطيع القيام بإرضاعه والقيام بمهام خدمته والعناية به ، فإن المراهق والمراهقة بحاجة ماسة إلى وجود كيان عضوى متماسك للأسرة يسمح لهما بمجابهة مطالبهما النفسية والاجتماعية . ولا شك أن الأسرة المتماسكة والراسخة على أرض صُلْبة هى الجديرة برعاية مطالب المراهق والمراهقة من الناحية النفسية والناحية الاجتماعية ، وهى الجديرة بحدوث تفاعل بينهما وبين المراهق بحيث يتم الوجود النفسى والاجتماعى الجديد ، وبحيث تبزغ شخصية المراهق وشخصية المراهقة لا كنسخة من شخصيات الكبار أو كنسخة من الإخوة والأخوات الأكبر ، بل تبزغ كنتيجة للتفاعل والتصارع بين أفكار وقيم واتجاهات الكبار ، وبين الأفكار والقيم والاتجاهات لدى المراهقين والمراهقات .

والجدير بالذكر أن الأسرة التى تتسم بالكيان العضوى هى تلك الأسرة التى تعمل جاهدة بكل ما أوتيت من طاقة على توفير استقلال المراهق والمراهقة ، وعلى بزوغ شخصيتهما بزوغًا مستقلا وفق ما أوتياه من مقومات واستعدادات . ومعنى هذا أن تحافظ الأسرة ذات الكيان العضوى على المقومات الفطرية لدى أبنائها ولا ترجِّح كفة الاصطناع والتأثير المسبق من جانبها . إنها فى تخطيطها لتربية الأبناء والبنات لا تضع خطة لتنفيذها حرفيا ، بل إنها تضع المبادئ والأصول فقط ، تاركة التفاصيل للظروف كيفما تحدث وكيفما يتم الانتهاء إليها ، وكيفما تنشأ بغير افتعال وبغير تحديد للملامح والقسمات والتفصيلات .

ولعلنا فيما يلى نعرض للسمات الأساسية التى تتصف بها الأسرة ذات الكيان العضوى المتين :

أولا - يجب أن يسود الوئام الأسرة التى تريد أن تكون أسرة ذات كيان عضوى متماسك وترفرف عليها المحبة . وليس معنى هذا أن الأسرة العضوية لا تعرف الاختلافات أو تباين وجهات النظر ، وليس معناه أن المشكلات من أى نوع لا تنشأ بين أفرادها . إننا نقصد الخطوط العريضة بالأسرة وحياتها بوجه عام والصيغة السائدة بها ، فلا شك أن بكل أسرة لابد من نشوء بعض الخلافات ، ولكن الأسرة العضوية لا تجعل من تلك الخلافات منازعات دائمة ومتأصلة فى كيانها ، بل تجعل منها أداة لتوثيق العلاقات بين أفرادها ، لدرجة أن أفرادها بعد حين من الزمن يأخذون فى التندُّر بتلك الخلافات ، ويجعلون منها مجالا للترفيه عن أنفسهم بتذكرها والسخرية منها .

ثانيا - تتسم الأسرة العضوية بعدم وجود تيارات متناقضة فى نطاقها . والواقع أن التيارات المتصارعة إذا ما نشأت واشتدت ، فإنها تنتهى إلى تفسيخ أواصر الأسرة وتشتيت كيانها . وثمة فرق جوهرى بين المشكلات البسيطة التى تنشأ من حين لآخر بين أفراد أية أسرة وبين التيارات المتناقضة التي إذا ما نشأت واشتدت فإنها تكون كفيلة بتقطيع الأسرة إلى أحزاب وشيع ، بحيث يشايع الأبَ بعضُ الأفراد ، ويشايع الأمَّ أفرادٌ آخرون ، وينتهى الأمر إلى تقويض دعائم الأسرة وتفسيخها .

ثالثا - يجب أن يقضى أفراد الأسرة العضوية وقتًا كافيًا بعضهم مع بعض ؛ ذلك أن الوقت الذى يقضونه معا يشكل عاملاً أساسيا من عوامل توثيق الروابط . ولا شك أن الأسر التى لا يتقابل أفرادها إلا لمامًا تكون واهنة ضعيفة قابلة للتفتت والتمزق بسهولة .

رابعا - الاستقرار المكانى . فاستقرار الأسرة فى مكان معيَّن يجعل من ارتباطها به وما يحدث فيه من تعلقات وسيلة لتماسك الأسرة عضويا . ولا شك أن الأسر بالمجتمعات الزراعية أكثر عضوية من أسر القبائل الرعوية المتنقلة التى تضطر إلى تغيير مكانها ، وأكثر عضوية كذلك من أسر المدينة الحديثة التى تغير مكان إقامتها من وقت لآخر . وليست المسألة مسألة مكان فحسب ، بل إنها تعدو ذلك إلى شىء آخر هام هو أن الاستقرار المكانى بالريف يستتبعه تزايد فى العلاقات الاجتماعية بين الأسرة والأسر الأخرى مما يجعل أفرادها أكثر ارتباطا بعضهم ببعض . وحتى تلك الأسر الأخرى القريبة منها مكانا ، لا تعدو أن تكون من أقرباء تلك الأسرة . فالأجداد والعمات والخالات والأخوال والأعمام كلهم فى مكان واحد بحيث تساعد علاقاتهم الاجتماعية على توثيق العلاقات الأسرية وعلى جعل الأسرة ذات كيان عضوى مكين .

خامسا - وجود أهداف وآمال مشتركة بين أفراد الأسرة . فالواقع أن وجود تلك الأهداف والآمال المشتركة بين أفراد الأسرة يضمن لها استمرار التماسك العضوى وتكثيف الوجدان وقيام وشائج متينة لا تنفك أو تنحل .

سادسا - العدالة فى المعاملة . فلا شك أن أفراد الأسرة إذا ما لقوا معاملة متناسقة غير مشفوعة بالظلم ، فإنهم - إذن - يسلكون فى خط واحد ولا تشوب علاقاتهم أية فُرْقة أو أية كراهية . بيد أننا نشير هنا إلى نوعين من العدالة فى المعاملة : النوع الأول : العدالة الحسابية والثانى العدالة الهندسية . فالعدالة الحسابية : تقضى بأن يَلْقى أى شخص بالأسرة نفس الجزاء عن نفس العمل . أما العدالة الهندسية فمعناها : أن يَلْقى كل شخص الجزاء الذى يناسب سنه ومكانته بالأسرة . المهم فى العدالة الهندسية شدة تأثير الجزاء وليس شكليته . فقد تزيد فاعلية النهر من حيث الشدة عن فاعلية الضَّرب إذا ما وجه النَّهرُ إلى الكبير والضربُ إلى الصغير . وقد

يكون تأثير الدُمْية تُشْتَرى للطفل أقوى من تأثير كتاب قيِّم يقدم إلى نفس الطفل الذى لا يستطيع قراءته أو الوقوف على قيمته . فالعدالة الهندسية هى الواجبة الاتباع بالأسرة ؛ حتى يتسنى إحداث التأثير المطلوب بأفراد الأسرة . فإذا ما شاعت العدالة فى الأسرة بهذا المفهوم الهندسى ، فإنها تكون عدالة مؤثرة فى تماسكها العضوى . ولقد سميت هذه العدالة بالعدالة الهندسية . وسميت العدالة الأولى بالعدالة الحسابية فى ضوء التوزيع الكمى. فإذا كان لديك إناءان أحدهما كبير وليكن برميلا ، والآخر صغير وليكن كوب ماء ، ووضعت جرامين من الزيت فى كل منهما ، إذن لكان موقفك منهما موقف من يتحرى العدالة الحسابية . ولكنك إذا ملأت البرميل زيتًا حتى نصفه ، وفعلت نفس الشىء بالنسبة للكوب فملأته حتى نصفه ، إذن لكنت متحريًا العدالة الهندسية بالنسبة لكل منهما . فالمطلوب لكى تكون الأسرة متماسكة عضويا ، أن يتحرى الأب والأم أن تكون العدالة بين أفرادها عدالة هندسية وليست عدالة حسابية . فقد يكون من بين الأبناء من هو سريع الاستثارة ، فتجب معاملته بطريقة معيَّنة تتمشى مع حالته . فمعاملة المراهقين والمراهقات بالأسرة يجب أن تتمايز من معاملة الأطفال بها .

سابعا ـ يجب أن يتوافر بالأسرة العضوية حد أدنى من مستوى المعيشة يسمح بسد نفقات ومطالب أبنائها وبناتها ، إلى جانب سد نفقات ومطالب الأب والأم . فليس بكاف أن يكون الأب غنيًا ، بل يجب عليه أيضًا أن يقف على حاجات أبنائه وزوجته وأن يحسن التنسيق فيما بينهما ، بحيث يحس كل عضو بالأسرة بعدم الحرمان . وطبيعى أن الفقر الشديد ، أو عدم التنسيق بين الحاجات والمطالب ينتهى إلى تمزق أوصال الأسرة وعدم تماسكها وفقدانها لعضويتها .

ثامنا ـ اتساق القيم الدينية و الأخلاقية التى يتمسك بها أفراد الأسرة ؛ ذلك أن نشوء صراعات بين أفراد الأسرة فيما يتعلق بالقيم الدينية أو العقائد أو القيم الأخلاقية جدير بالتالى بفك أواصرها وتمزيقها . فلكى تكون الأسرة عضوية يجب أن تكون متمسكة بنفس القيم الدينية والأخلاقية ، وألا تكون قيمها متصارعة ، وإلا فإنها تكون مدعاة للتفكك والنزاع فى المستقبل القريب أو المستقبل البعيد .

تاسعا - الاستعداد للتضحية من أجل الآخرين والتعب من أجلهم والبذل بغير حساب وبغير ترقُّب لنيل فائدة مقابل ما يقدم . فالواقع أن الأساس الذى تقوم عليه الأسرة العضوية يجب أن يكون أساسًا متينًا . وهذا لا يتوافر لها إلا إذا كان كل عضو بها مشوقًا لخدمة الأفراد الآخرين ، والبذل من أجلهم ، والتفانى فى خدمتهم . أما إذا شاعت الأنانية بين أفراد الأسرة ، وإذا كان كل فرد منها يتحيَّن الفرص للحصول على النصيب الأكبر ، والاستمتاع بأوفر قدر من اللذة، فإن الأمر ينتهى بتلك الأسرة إلى الانهيار أو التصدع على الأقل .

عاشرا - تجديد شخصية الأسرة بخبرات جديدة وعدم الانغلاق على حدودها ؛ ذلك أن الأسرة كالشخص الواحد . والشخص الواحد بحاجة دائمة إلى اكتساب خبرات جديدة ، وإلى إقامة صلات متجددة مع الأشخاص الآخرين حتى يتلقى أفكارًا واتجاهات تعمل على تقدمه فى الحياة . والأسرة على هذا النحو بحاجة إلى الاحتكاك بغيرها من أسر بشرط أن تكون أسرًا سوية حتى تستطيع أن تتلقى عنها وأن تنال منها ، وأن تكتسب خبرات جديدة ، وتقيم معها علاقات سوية . إنها بذلك تستطيع أن تتجدَّد وأن تتماسك وأن تصير أسرة عضوية حية متجددة . وعلى عكس هذا فإن الأسرة المنعزلة تأخذ فى الضمور فى علاقاتها الاجتماعية ، ولا تجد أمامها منافذ جديدة تتلقى عنها مقومات جديدة تغذيها وتنهَض بمطالبها وتتقدم بها إلى الأمام .

الجو الديموقراطى :

ليس من شك فى أن الجو الديموقراطى إذا ما شاع بأرجاء الأسرة منذ قيامها، فإن شخصيات أبنائها وبناتها تترعرع فى جو أقرب ما يكون إلى التلقائية والتفتح وسَبْر أغوار النفس وتفتيق مكنونات الشخصية ، بحيث يتبدى ما بها من استعدادات كانت ستظل فى طى الكمون لولا توافر الجو الديموقراطى بالأسرة .

وهناك فى الواقع مجموعة من السمات التى تتميز بها الأسرة التى يشيع الجو الديموقراطى فى ربوعها . وفيما يلى أهم تلك السمات :

اولا ـ حرية التعبير . فالأسرة الديموقراطية تسمح لأفرادها جميعًا الصغير فيها والكبير ، الولد والبنت ، بالتعبير عن خلجات نفسه بحرية وتلقائية ، ولا تضرب بسياج حول ما يمكن أن يقال من كلام . وأكثر من هذا فإن الأسرة الديموقراطية تشجع أفرادها على التعبير عن أنفسهم بحرية وتكفل لهم الأمن وضمان عدم التعرض بالإيذاء بسبب ما يقال . وليس ما تسمح به الأسرة الديموقراطية محصورًا فى نطاق الكلام الذى يحمل معنى ، بل وأيضًا الإيماءات والإشارات التى تحمل طاقة انفعالية وتعبيرًا وجدانيا ينم عن الفرح أو الحزن ، أو ينم عن الارتياح أو الانقباض .

ولا شك أن حرية التعبير التى تُكْفل لأفراد الأسرة تسمح لكل شخص بأن يكون ذاته الحقيقية ، وألا يكون شخصًا زائفًا لا يعبر عن دخيلته . فإذا كفل له التعبير عن خلجاته بحرية ، فإنه يكون عندئذ المسئول الحقيقى عن أقواله ولا يكون مجرد آلة تسجيل تعيد إذاعة ما سبق أن لقنته من كلام وأصوات .

ثانيا ـ حرية النقد . ولا يقتصر الأمر عند هذا المدى من حرية التعبير ، بل يجب أيضًا أن يشجع الجو الديموقراطى للأسرة كل فرد فيها على التعبير عن شعوره بالرضا أو عن شعوره بالسخط على ما يدور حوله . ويجب أن نميز بوضوح فيما بين حرية النقد وبين التجريح والخروج عن الحدود الشخصية والاعتداء على الحقوق الفردية المتاحة لكل فرد بالأسرة . فهناك شروط للنقد يجب أن تتحدد ، ويجب أن تكون واضحة ومحددة بحيث يعرفها كل واحد بالأسرة . فالنقد لا يعنى مثلا توجيه الكلام البذىء للآخرين ، وليس معناه إحراج الشخص الذى ينتقد ، وليس معناه الرغبة فى الاستحواذ على سلطة تفرض على الآخرين أو السيطرة عليهم . يجب أن يفهم النقد على وجهه الصحيح ، وهو التعبير الموضوعى عن الفكر بقصد إصلاح خط معوج من خطوط السلوك الفردى أو السلوك الجماعى بالأسرة . ويجب أن يدرب أفراد الأسرة ويوعوا بأصول النقد . ولا شك أن الأب بالأسرة مسئول هو والأم عن تنشئة أبنائهما وبناتهما على حرية النقد فى نطاق معيَّن ووفْق أسس يتم اتفاقهما صراحة أو ضمنًا عليها . المهم هو أن تتفق الأسرة على كفالة حرية النقد ، ثم يتفق الوالدان على النطاق الذى يكفلانه لأبنائهما وبناتهما بإزاء ذلك ، بحيث يتسع نطاق ما يكفل للابن أو للبنت من نقد فى ضوء السن التي يصلان إليها ، وفى ضوء الخبرات التى يحصلان عليها .

ثالثا - أخذ مقترحات كل أفراد الأسرة فى الاعتبار . فلا يكفى أن يسمح لأفراد الأسرة بالتعبير عن خلجاتهم وأفكارهم ونقداتهم ، بل يجب أكثر من هذا توفير الفرصة أمام كل اقتراح يعرض للمناقشة والأخذ به إذا ما ثبتت وجاهته وفائدته .

رابعا - إعطاء كل فرد فرصة للتحرك ومجالا للتصرف ؛ ذلك أن الأسرة تعتبر مجالا لنشاط الفرد يتحرك خلاله ويبرز فيه قدراته . ولا شك أن الأسرة تعتبر مجالا تدريبيا للمراهق والمراهقة لكى يتسنى لهما مجابهة مطالب الحياة الاجتماعية خارج نطاقها .

خامسا - احترام حرية كل فرد ، واحترام اختلاف الأمزجة الفردية وما بين أفراد الأسرة من فوارق فردية .

سادسا - تشجيع نمو كل فرد فى حدود طاقته . ويقصد هنا بالنمو ذلك النمو الجسمى والنمو العقلى والنمو الوجدانى والنمو اللغوى والنمو العلمى والنمو الاجتماعى . ولا شك أن الحرية إذا ما كفلت للطفل وأزيلت المعوقات من طريق نموه فإنه يأخذ فى النمو إلى أن يصل إلى النضج .

سابعا - توفير أكبر قدر من السعادة لكل فرد بالأسرة . فالواجب على أفراد الأسرة جميعًا أن يوفروا أكبر قدر من السرور والسعادة لكل واحد منهم . والسعادة فى الواقع لا تتأتى لأفراد الأسرة إلا إذا تعاونوا فى سبيل توفيرها وتنميتها وتخصيبها والاستمرار بها .

ثامنا - احترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير . ولكن يجب ألا يفهم الاحترام بأنه استذلال الشخص لنفسه لإعطاء الكبير فرصة للطغيان والسيادة، بل يجب أن يفهم الاحترام بأنه حب وتقدير ، وليس خوفًا وامتهانًا للشخصية .

تاسعا - الإحساس بالانتماء للأسرة وبكيانها العضوى النابع من حب المجموع . وهذا الانتماء لا يتأتى فى الواقع لأفراد الأسرة إلا إذا كان الحب بين أفرادها قويا، والوشائج التى تربطهم بعضهم ببعض متينة . والإحساس بالانتماء للأسرة يمكن أن يقوى عن طريق الخبرات السارة التى يستحدثها أفراد الأسرة ، والتى يتلقاها أولئك الأفراد عنها باستمرار .

عاشراً - صدور الأسرة فى تصرفاتها كمجتمع عن محصلة الرغبات المعتملة فى جنبات أفراد الأسرة . وليس معنى هذا أننا نلغى سلطة الأب والأم ، بل معناه : أن تستمد هذه السلطة قوتها ومفعولها لا من ذاتها ، بل من ذوات جميع أفراد الأسرة .

ويتضح مما سبق أن من أهم الشروط الواجب توافرها فى الأسرة لكى تكون متمتعة بالجو الديموقراطى ، هو توفير الطمأنينة لأفرادها . ومعنى هذا بتعبير آخر: عدم إلقاء الرعب فى قلوب الأبناء والبنات . ولعل الآباء والأمهات يحسون وقد أخذ أبناؤهم وبناتهم فى الانخراط فى المراهقة بمناهضتهم لهم ، فيبدأون فى استخدام العنف معهم والضرب على أيديهم وإشاعة الخوف فى قلوبهم . ولقد ينجح الوالدان فى إخماد ثورة المراهق والمراهقة ضدهما ، ولكنهما لا يكونان بذلك قد نجحا فى إفساح الطريق أمامهما ؛ لتكوين شخصيتيهما التكوين المتحرر الديموقراطى. الواجب عليهما أن يسمحا لهما بالتعبير عن ذاتيتيهما بحرية بقدر الإمكان حتى يخرجا ما لديهما من استعدادات إلى حيز الوجود الاجتماعى الواقعى، وحتى لا يصيران نسختين زائفتين من صورة ذهنية ارتسمت فى ذهنهما حول المراهق الصالح أو حول المراهقة الصالحة . فالواقع الفعلى هو الذى ينبغى أن يأخذ الأولوية على الصور الذهنية المتخيلة . وحتى المثل العليا التي يضعها الوالدان نصب أعينهما يجب أن تستمد مقوماتها من ذلك الواقع المتعلق بالتكوين الطبيعى والاستعدادات الداخلية لدى أبنائهما وبناتهما .

وهذا الاتجاه الواقعى الذى نرجو أن يعتمل فى أعماق الوالدين لا يمكن أن يتأتى لهما إلا إذا لم يؤلها نفسيهما ، ويتشبثا بالدكتاتورية كمبدأ فى التربية . يجب أن يفهم الأب وأن تفهم الأم أن سلطتهما ليست سلطة القامع والكابت ، بل هى سلطة الموجه . ولقد مضى الوقت الذى كان الأب يحكم فيه على ابنه أو على ابنته بالموت بسبب مخالفة أوامره ، ولقد مضى أيضًا الوقت الذى كان فيه الآباء والأمهات يخسفون بأبنائهم ويوردونهم موارد التهلكة بغير أن يقف المجتمع والقانون فى طريق طغيانهم . فمجتمع اليوم يحمى الطفولة ، ويؤيد المراهق والمراهقة ويحميهما من طغيان الآباء والأمهات . وبقى على الآباء والأمهات أنفسهم أن يحموا أبناءهم وبناتهم من ذواتهم ومما قد يداعب خيالهم من سلطة يجب أن تسترد ،

ومن استمالتهم بما استطاعوا الاستحواذ عليه خلال طفولة أبنائهم وبناتهم من سلطة عليهم أو استبداد بهم . فإذا كان الابن والبنت قد ظلا خاضعين وقانعين بما يسديه الأب والأم إليهما من عطف ، فقد حان الوقت الذى يجب أن تصير الأسرة فيه شركة يتقاسم سلطاتها أيضًا المراهقون والمراهقات ، وألا يحرموا من ذلك فمع النمو الجسمى يجب أيضًا أن يتوافر النمو الاجتماعى . والنمو الاجتماعى معناه : إبراز ما فى جعبة الشخص من قوة وتأثير بحيث يأخذ فى التمتع أيضًا بما يخول له من سلطة . وأول سلطة يجب أن تخول للمراهق والمراهقة هى السلطة على شخصيتيهما وعلى تصرفاتهما الشخصية . فبغير أن يتمتع المراهق والمراهقة بتوجيه دفة حياتهما ، والمشاركة فى توجيه دفة مجتمعهما الصغير - أعنى الأسرة - فإنهما لا يكونان إذن قادرين على التحرك خارج المجتمع الصغير إلى المجتمع الأكبر، ولا يكون بمقدورهما أخذ مكانهما بالمجتمع كأشخاص مسئولين فى المستقبل .

ولقد يتمسك بعض الآباء والأمهات ببعض الشكليات فى التعامل مع أبنائهم وبناتهم وذلك كصيغة النداء « أنت وحضرتك وسيادتك وسعادتك ... إلخ ». ومن جهتنا فإننا نرى أن هذه المسألة متروكة لتقدير الأب والأم ، وإن كنا نميل إلى رفع الكلفة فى هذه المسألة بين الأبناء والبنات من جهة وبين آبائهم وأمهاتهم من جهة أخرى ، وهناك من الأشخاص من لديهم حساسية شديدة لكرامتهم حتى مع زوجاتهم . وفى بعض الأحيان نجد مشادة تقع بين زوج وزوجته ؛ لأنه يناديها « بأنت» ويريد فى نفس الوقت أن تناديه : « بحضرتك » . فمثل هذا الزوج لا يؤمن بالمساواة بين الرجل والمرأة ، ويريد أن تكون زوجته فى مقام أقل من مقامه ، وفى مستوى اجتماعى أخفض من مستواه الاجتماعى . وطبيعى أن يتشبث مثل هذا الرجل بأن يناديه أبناؤه وبناته : « بسيادتك أو حضرتك أو سعادتك ... إلخ . » بينما هو يناديهم: « بأنت » إذن فالاختلاف بين الآباء والأمهات هو إذن فى الاتفاق حول الصيغة التي يناديهم بها أبناؤهم وبناتهم .

ويسير جنبًا لجنب مع هذا ما يتلبس به الولد والبنت وبخاصة فى المراهقة من أوضاع فى الجلوس والوقوف والإشارات ونبرات الصوت وغير ذلك من دلائل تتسم بالاحترام أو بعدم الاحترام . فهل يوافق الأب مثلا على أن يظل ابنه مضطجعًا

بينما يدخل عليه الحجرة ؟ وهل يلقى الابن أو البنت رجلا إلى أخرى فى حضرة الأب أو فى حضرة الأم ؟ وهل يمكن أن يمد الابن أو البنت رجله بحيث تكون بطن القدم فى مواجهة وجه الأب أو الأم ؟ وهل يسمح للمراهق والمراهقة بالغناء أو الصفير فى حضرة الأب أو فى حضرة الأم ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تدل الإجابة عنها على مدى ما يسمح به الآباء والأمهات من حرية ومن ديموقراطية لأبنائهم وبناتهم . وطبيعى أنه كلما ضيق الخناق على تحركات وأقوال وأصوات الأبناء والبنات ، كانت الديموقراطية المكفولة أقل قدرًا وأضيق نطاقًا وأخفت صوتًا. وعلى العكس فكلما شجع الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم على التلبس بالسلوك الذى يرتاحون إليه ، كان هذا دليلا قاطعًا على تمسكهم بالديموقراطية وبروح الحرية والتلقائية لأبنائهم وبناتهم .

وثمة مشكلة أخرى تقاس الديموقراطية المكفولة للأبناء والبنات فى ضوئها، هى مشكلة الأصدقاء والصديقات . فهل يسمح للمراهق بأن يقيم صداقات بينه وبين غيره من المراهقين كيفما يشاء ؟ وهل للأب والأم أن يتدخلا فى اختيار الصديق ؟ وهل يسمح لأصدقاء الابن باللقاء به فى البيت ؟ وهل يجب على الآباء والأمهات مراقبة ما يحدث أو ما يتم من أحاديث بين الابن وصديقه فى أثناء وجودهما بالبيت أم أن تكفل لهما الحرية بغير تدخل فى شئونهما من قريب أو بعيد؟ وهل تحدد مواعيد لتلك الزيارات واللقاءات أم تترك لرغبات الأبناء؟ وهل يسمح للمراهق أن يضرب المواعيد لأصدقائه قبل أن يستشير والديه ، أم لابد أن يأخذ الإذن مسبقًا فى هذا الصدد ؟ وهل ما يصح بالنسبة للابن المراهق ، ينسحب أيضًا وبنفس القوة والمقدار على البنت المراهقة ؟ وإذا كانت هناك تباينات فما هى وفى أية نواح ؟

ويجب ألا يفهم من هذه التساؤلات أننا نجيب بالإيجاب عليها جميعًا ؛ ذلك أن الإجابة عن كل منها وعن غيرها من أسئلة يتوقف من حيث النوعية على حالة المراهق والمراهقة نفسيهما وعلى مدى ثقة الوالدين فى قدرتهما على استغلال الحرية التى تكفل لهما . ولكن بوجه عام يجب أن يكون المبدأ الذى ترتكز عليه العلاقة بين الوالدين وبين المراهق والمراهقة هى علاقة الحرية المضمونة بضمانات معينة ، والتى يقام فيها الاعتبار لما يمكن أن يحدث فى كل حالة من مخاطر سلوكية.

فليس معنى الحرية أن يغض النظر عن سلطة الوالدين بإزاء أبنائهما فى كل سن . فيجب أن نضع نصب أعيننا دائمًا أن الديموقراطية وإن كانت تتضمن حرية التعبير عن الذات وحرية التصرف ، فإنها تتضمن فى الوقت نفسه معنى التقييد ـ تقييد الكلام وتقييد التصرف ـ إذا كان فى ذلك التقييد ما يرجع بالفائدة على المراهق والمراهقة . ونستطيع أن نقول : إن موقف الوالدين فى كل حالة يجب أن ينبنى على الحالة المعينة وعلى الظروف الواقعية ، وعلى ما دلت عليه الشواهد السابقة فى التعامل ، وعلى ما يستطيع الوالدان استشفافه من خبرات الآخرين .

ولعلنا نذكر بهذه المناسبة موقفًا يتعرض له الآباء والأمهات فى تربية المراهقين والمراهقات يتعلق بسهر المراهق والمراهقة خارج المنزل . فهل يسمح لهما بالسهر خارج المنزل بحيث يرجعان فى منتصف الليل مثلا ؟ لقد تجد لدى المراهق والمراهقة الرغبة الملحة فى الاستمتاع بالحرية فى هذا الشأن ، ولقد تسمع منهما احتجاجًا بأنهما لم يعودا طفلين ، ويجب على الوالدين أن يثقا فيهما وألا يقيدا تحركاتهما . ولقد يقول لك المراهق والمراهقة إنهما يستطيعان معرفة ما يجب عليهما عمله بإزاء مستقبلهما وأنهما أحرص منك عليه ، وأن تدخلك فى شئونهما يضر من حيث تريد أنت إفادتهما . ولكنك طبعًا لا تصدق ما يقولانه لك ، بل تلح على عدم تأخرهما خارج المنزل بالليل حتى لا يلوك الجيران سمعتهما ، ولأن السهر معناه فى أذهان الكثيرين : الانحراف عن الطريق القويم . أليست محال الدعارة والفجور والخمور تنشط خلال الليل ؟! وأليس دعاة الرذيلة يجدون الزبائن من الشباب فيتصيدونهم ويوقعونهم فى الشراك بالليل ؟! فكيف إذن يسكت الأب على سهر ابنه ، ولماذا لا يقلق وابنه المراهق وابنته المراهقة خارج المنزل فى المساء ؟

إننا نشجع الروح الديموقراطية بالأسرة ، ونرغب فى أن تسود أرجاءها ، ولكننا لا نستطيع أن ندعو إلى التسيب ، ولا نستطيع أن ندعو الآباء والأمهات إلى السكوت على سهر الأبناء والبنات المراهقين خارج المنزل حتى ساعات متأخرة بالليل. ولا نستطيع أن نطالب الآباء والأمهات بالإغضاء عن ذلك باسم الحرية والديموقراطية .

وما يقال عن السهر ، ينسحب أيضًا إلى مسألة إطالة الشعر بالنسبة للذكور. فلا شك أن عالم الكبار ما يزال يحس بالامتعاض الشديد عندما يرى المراهق وقد أطلق شعره بصورة تجعل التمييز بين المراهقين والمراهقات أمرًا صعبًا . إن كاتب هذه السطور لا يعجبه هذا المظهر ، ولكنه يحتفظ بالحكم فى هذا الصدد فى نطاق حدوده الشخصية ولا يعممه . فلقد يأتى اليوم الذى يصبح فيه هذا المظهر عاديا ، ولا ينفر منه إلا الرجعيون .

اجتماعات الأسرة :

لكى تتحقق عضوية الأسرة وتماسك كيانها لابد أن يجتمع أفرادها بعضهم مع بعض فى أوقات منتظمة تقريبًا بحيث لا يتخلف منهم أحد بقدر الإمكان ، وذلك لأن التقارب فى المكان ، والانتظام فى الاجتماع فى أوقات معينة ، يعمل على انسجام وتقارب الأفكار والتناسق بين الاتجاهات . ناهيك عن خلق أهداف مشتركة وآمال عريضة غير متعارضة ، وإنك تستطيع أن ترى كيف أن تفرق أفراد الأسرة بعضهم عن بعض لفترات طويلة وعدم التئام شملهم فى مكان واحد من وقت لآخر يعمل على تمزيق وحدة تلك الأسرة ، وينتهى بأفرادها إلى التباين فيما يأخذون به من اتجاهات وفيما يعقدونه على المستقبل من آمال ، وفيما يدور بقلوبهم من عواطف ، وفيما يسود أمزجتهم من صبغة وجدانية معينة .

ومن أهم الأهداف التى ينبغى أن تستهدفها اجتماعات الأسرة ، تبادل الأفكار بين أفرادها . ولا شك أن من أهم عوامل نمو الصغار والمراهقين والمراهقات تبادل الأفكار فيما بينهم ، وأخذ الصغير عن الكبير ، وتبصر الكبير بما يحتاج إليه الصغير وما يهتم به ويتناسب مع عقليته ومع مستواه الخبرى . ويجب أن تكون الأسرة مصدرًا هاما من مصادر الأفكار التى ينالها المراهق والمراهقة . وهناك من الأفكار ما يحتل مكانة أساسية بين الفكرات الأخرى . ونستطيع أن نسمى هذا النوع الرئيسى من الأفكار : بالأفكار الملهمة . فلقد تأتيك فكرة من أحد الأشخاص فتحتل لديك مكانة رئيسية فى عقلك ووجدانك بحيث تصبح محورًا يدور حوله نشاطك . خذ مثالا لذلك : أحد الآباء المثقفين أقنع ابنه فى أحد اجتماعات الأسرة بأن يستذكر دروسه عن طريق الكتابة ، وألا يكتفى بمجرد القراءة . اقتنع الابن بهذه

الفكرة وتشبع بها ، وأخذ فى جعلها محورا أساسيا فى حياته الدراسية . ظل بالفصل يسجل ما يسمعه من المدرس ، وظل فى استذكاره يفكر بالقلم والورق ، يقرأ فى الكتاب ؛ لكى يعيد صياغة ما يقرأ بأسلوبه الخاص . هذا الابن المراهق نفسه كبر على هذه العادة الحسنة ، واستطاع عن طريقها أن يكون لنفسه أسلوبا يعبر به عن فكره وهو أسلوب يختلف كثيرًا أو قليلا عن الأسلوب الذى كان يطالعه بالكتب . والفضل يرجع فى النهاية إلى كلمة قيلت له من الأب فى أحد اجتماعات الأسرة ووجدت لديه صدى وتناغما ، واحتلت فى عقله مكانة أساسية لا يستهان بها .

وليس الأمر مقتصرًا على أخذ الصغير عن الكبير ، بل إن الأب والأم بإصغائهما إلى ما يقوله المراهق والمراهقة ، إنما يسمحان بذلك لهما بأن ينميا لديهما الثقة بالنفس بل ويجعلان موقفهما فى الاستماع إلى ما يدور بخلدهما فرصة ومجالا تدريبيا يمرنان نفسيهما خلالها على التحدث . والواقع أن كثيرًا من الآباء والأمهات لا يستغلون فرصة وجودهما مع المراهق والمراهقة ليدرباهما على التحدث، فهما يرغبان فى الاستئثار بالموقف والقيام بالتوجيه والإرشاد والنقد ، بغير أن يتيحا الفرصة الكافية والوقت الكافى للمراهق والمراهقة لكى يعبرا عن خلجاتهما ، وعما يساورهما من أفكار ومشاعر . ولقد ينجم عن قمعهما لهما فيما يتعلق بالرغبة فى التعبير ، أو عن الإلحاح عليهما بالاختصار فى الكلام ، أو بكثرة انتقادهما لطريقة النطق ، أو لما يأتيان به من إشارات وحركات أن يصابا باللجلجة أو بعدم الثقة فى أى حديث يرغبان فى الاشتراك فيه . وقد ينجم عن إحساسهما بتلك المشاعر غير المواتية أن يفضلا عدم الانخراط فى أى حديث يدور فى نطاق الأسرة ويخلدا إلى السكون والسلبية ، ويفضلا الاستماع إلى ما يقال بدلا من المساهمة فى الكلام الذى يدور بالجلسة . ولقد يعمد الوالدان وقد لاحظا ذلك الموقف السلبى من جانب المراهق والمراهقة إلى تشديد الانتقاد لهما لأنهما يلتزمان الصمت ، أو لأنهما يفتقدان الثقة بالنفس وبما يقولانه . ولكن هيهات أن يكون لكلامهما فائدة فى حملهما على المشاركة فيما يقال ؛ ذلك أن فقدان الثقة بالنفس يحول دون استردادها ، ودون اتخاذ موقف إيجابى من جديد بإزاء ما يقال أمامهما من كلام ، وبإزاء ما يطرح من موضوعات ، وإنك قد تجد المراهق والمراهقة يتخذان

فى حياتهما موقفين متباينين متعارضين : موقفًا باجتماعات الأسرة ، وموقفًا مع الأتراب من المراهقين والمراهقات . فهما فى الموقف الأول لا يكادان يتحدثان ، ولا يكادان يشاركان فيما يقال ، بينما هما فى الموقف الثانى يشاركان بإيجابية ويكون لهما فاعلية فيما يدور من أحاديث . وطبيعى أن يترجم هذا الموقف الأخير بأنه الحالة الطبيعية التى ينبغى أن تسود بالموقف الأول . ولكن المراهق والمراهقة يحتجان لاشعوريا على أسرتهما وذلك بالتزام الصمت وعدم الرغبة فى الكلام ، وذلك بسبب ما لقياه من خبرات غير سارة بالاجتماعات السابقة البعيدة أو القريبة التى حاولا أن يشاركا فيها ولكنهما وجدا فيها من يصدهما ويَفُت فى عضدهما .

ولا تقتصر وظيفة اجتماعات الأسرة على تبادل الأفكار والمفاهيم ، بل تشتمل أيضًا على تبادل العواطف ومشاعر الحب والتقارب النفسى . ومن المحتمل أن يحدث العكس فى اجتماعات الأسرة . فلقد تقضى الجلسة العائلية فى مناقشات حادة وفى شجار أو تنابز بالألفاظ أو فى مجادلات لا طائل تحتها . ولكن من أهم مسئوليات الوالدين فى هذه الاجتماعات تشجيع الروح الإيجابية والود بين الجميع ، وذلك بما يضربانه من مثل بنفسيهما . فإذا كانت علاقة الأب بالأم علاقة ود ومحبة، وإذا تبادل الأب والأم كل ما ينم عن الإخلاص والوئام ، فإن هذا الجو المشفوع بالود سرعان ما ينتقل من الوالدين إلى أبنائهما ، وسرعان ما تصبح المحبة هى الصبغة السائدة بالأسرة ، وتكون اجتماعاتها مليئة بالوجدان السليم وبالمحبة والوئام .

وتساعد اجتماعات الأسرة أيضًا على تقريب الاتجاهات بين أفرادها . والاتجاه : هو عادة فكرية تنحو بالشخص إلى التلبس بنمط فكرى معين بإزاء بعض المسائل . فهناك مثلا اتجاه نحو المرأة وقضاياها ، واتجاه نحو الحرية والمساواة وغير ذلك . فإذا كانت الأسرة من تلك الأسر التى يشيع فيها الاتجاه نحو احترام المرأة ومراعاة حقوقها ، وإذا كانت تشجع الحرية والمساواة وغير ذلك من قيم ، فإنها تكون بذلك أدعى إلى اتخاذ اتجاه واحد يشيع بين أفرادها مما يجعل أفرادها متناسقين فيما يتحيزون وينحون إليه . نعم قد يكون هناك بعض الاختلافات وبعض وجهات النظر المتباينة فيما بين أفراد تلك الأسرة ، ولكنك تستطيع أن تلحظ مع ذلك انسجاما عاما فى الخطوط العريضة التى تنم عن فكر مشترك فى المسائل الأساسية أو فى الاتجاهات الفكرية العامة .

وما يقال عن الاتجاهات الفكرية ينسحب أيضًا إلى الأهداف المشتركة بين أفراد الأسرة . ولاشك أن تلك الاجتماعات الأسرية التى تنتظم الأسرة على عقدها تساعد على خلق أهداف مشتركة يصبو أفرادها جميعًا إلى تحقيقها . ولقد تكون الأهداف المشتركة بعيدة المدى وضخمة كتحقيق مستقبل باهر لكل فرد من الأبناء والبنات ، كما قد تكون أهدافًا قريبة وبسيطة كالقيام برحلة أو إقامة حفل والإعداد لهما . وبالنسبة للأهداف البعيدة الضخمة ، فإنها تشكل آمالا تداعب فكر كل فرد من أفراد الأسرة . وبالنسبة للأهداف القريبة البسيطة ، فإنها تشكل عمليات متفرعة تتوزع على أفراد الأسرة بحيث يتحمل كل عضو القدر المناسب له من المسئوليات أو العمليات المطلوبة .

ولقد تعقد اجتماعات الأسرة بالبيت ، كما قد تعقد خارجه . ولعل الرحلة والمصيف يمثلان أهم مجالين تجد فيهما الأسرة جوا صالحًا لاجتماعاتها . ولا شك أن تغيير مكان اجتماعات الأسرة يعمل على إقامة علاقات وثيقة بين أفرادها كما يعمل على إتاحة الفرصة لأفرادها لاكتشاف مواهب وقدرات لدى بعض أفرادها لم يتح لها المكوث بالبيت الظهور والاعتمال . أضف إلى هذا أن الأسرة بانتقالها من البيت إلى مجالات أخرى خارجه تستطيع أن تقيم بينها - كمجموعة عضوية - علاقات جديدة مع أسر أخرى . ولا شك أن تخصيب علاقات الأسرة بأسر جديدة تنسجم معها وتتآلف اتجاهاتها بعضها مع بعض ، إنما يساعد على إدخال السرور على الأسرة ، وذلك بما يكتشف من خبرات جديدة ، ولأن عنصر الجدة الذى يضاف إلى الموقف ، وما يقال من أحاديث جديدة ومن طرائف ، وما ينشأ من علاقات جديدة بين أفراد الأسرة وبين أفراد الأسرة الأخرى ، يعمل بالتأكيد على دعم العلاقات بين أفرادها جميعًا . ولاشك أن علاقات المراهقين والمراهقات بالمراهقين والمراهقات بالأسر الأخرى يمكن أن يتم فى جو نقى بعيد عن الإسفاف ، إذا ظلت العلاقة القائمة فى الرحلة علاقة أسرة بأسرة أخرى ، ولم تنقلب إلى علاقة بين أفراد مبعثرين يشكل كل فرد منهم وحدة مستقلة قائمة بذاتها .

والشىء نفسه يقال عن المصيف . فالرعاية الأسرية يجب أن تصحو بالمصيف، ولا تترك الأمور تجرى كما يحلو لرغبات المراهق والمراهقة . فلقد سبق

أن ميزنا فيما بين الرغبات والحاجات ، وأكدنا ضرورة إعطاء الأولوية للحاجات على الرغبات . والرعاية فى المصيف تتضمن معنى الرقابة غير المباشرة والمتعقلة بحيث يسمو المراهق بمعنى الجنس ، وبحيث لا يتحول المصيف إلى فرصة لإشباع النزوات غير الملجمة والرغبات الجامحة غير المنضبطة . ولا شك أن الأسرة إذا ما سادها الترابط ، وإذا ما انتظمت اجتماعاتها وساد الوفاق فيها ، إذن لاستطاعت أن تحمى المراهق والمراهقة من كثير من المزالق التى يمكن أن يتعرضا لها .

وحتى فى المصيف يجب أن تحافظ الأسرة على استقلالها ككائن عضوى له وحدته وله استقلاله . يجب ألا يتحول المصيف إلى مجال يرتفع فيه كل سلطان للأب والأم عن الأبناء والبنات ، ويتحول الحال فيه إلى الفوضى التى لا تعرف الحدود أو القيود ، بل على العكس من ذلك يجب أن يستغل المصيف كأحسن ما يكون الاستغلال لدعم أواصر الأسرة وتأكيد الروابط فيما بين أفرادها . وهذا بلا شك يقع فى نطاق مسئولية الأب بالدرجة الأولى . فلقد يعمد الوالدان العاقلان إلى وضع برنامج تسير الأسرة بمقتضاه بحيث تتاح الفرصة للمراهق والمراهقة للخروج مع أصدقائهما أو الاجتماع بهم فى استقلال وحرية فى بعض الأحيان ، وبحيث تتاح لهما الفرصة للاجتماع مع الأسرة فى أحيان أخرى . ولا ننسى أن اعتياد أفراد الأسرة منذ البداية على التماسك و الاتحاد ، يساعد على نجاح مثل هذا البرنامج والغيرة على تنفيذه والتمسك به .

وفى المصيف قد تتاح الفرصة للتعرف بأسر مجاورة فى محل الإقامة أو على الشاطئ فتنشأ علاقات جديدة بين الأسرة وغيرها من أسر . ولقد تتاح الفرصة لتبادل الزيارات الجماعية فيما بينها ، وتكون هناك فرصة طيبة لتوثيق الصلات الأسرية من جهة ، ولتوثيق الصلات بين تلك الأسرة وبين الأسر الجديدة من جهة أخرى .

ومن الآباء والأمهات من لديهم قدرة عظيمة على إدارة دفة الحديث ، بحيث يسمح بمشاركة أكبر عدد من المجتمعين فيه ، وبحيث يجذب انتباه الجميع بما يتضمنه من مفاجآت ومن مداعبات وأحداث . ويجب أن يكون الحديث المدار خاليًا من اغتياب الآخرين حتى تكون تلك الاجتماعات مفيدة ونقية وبعيدة عن اللغو الفارغ.

والمسئولية تقع فى هذا على الكبار فى تحويل دفة الحديث إذا مالت إلى لوك سمعة أحد الغائبين ، وذلك باستحداث مجالات جديدة للحديث غير التعرض لما صدر عن فلان أو علان من تصرفات أو أقوال . وكلما كان الوالدان واسعى الأفق وخصيبى الثقافة ، وكلما كانا مطلعين على الأحداث الجارية ، فإنهما يكونان أقدر على إدارة دفة الحديث بنجاح وتوفيق ، وكانت زيارتهما بأسرتهما للأسر الأخرى ، أو زيارة تلك الأسر لأسرتهما على جانب أكبر من المتعة والارتياح .

والواجب على الآباء والأمهات بالأسرة المضيفة والأسرة الضيفة أن يتيحوا الفرصة للمراهقين والمراهقات للمشاركة فى الأحاديث التى تدور بتلقائية وحرية . وتكون هذه الفرصة بمثابة تدريب موجه على اختلاط الجنسين فى جو نقى وحول أهداف اجتماعية تبعد قليلا أو كثيرًا عن الجنس . والواقع أن أكثر ما يصبو إليه كثير من المراهقين والمراهقات هو أن تتاح لهم فرص مرسومة ومحسوبة للقاء بأفراد من الجنس الآخر بغير أن يكون فى تلك اللقاءات ما يخدش الحياء أو ما يسىء إلى العفة ، أو ما يستغل للدنايا ، أو يكون عرضة للنقد أو التجريح .

والواجب على الآباء والأمهات أن يكفلوا جو المرح فى اجتماعات الأسرة . فيتاح للمراهقين والمراهقات والأطفال فرصة كافية للتعبير عما يطمحون إليه من مرح مع تشجيع كل من يرغب منهم فى استخدام الدعابات والنكت وألوان التهريج المقبولة بغير أن يحاول أحد من الكبار التعرض لما يقوله أحد المراهقين أو إحدى المراهقات بالتسفيه أو التقبيح أو التوبيخ . وليس من تعارض بين أن يشجع الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم المراهقين على المرح باجتماعات الأسرة ، وبين احتفاظ الآباء والأمهات بكرامتهم وسلطتهم على باقى أفرادها .

وفى بعض المواقف الصعبة كحالات المرض أو الوقت الذى تتعرض فيه الأسرة لإحدى الأزمات ؛ فإن اجتماعات الأسرة تكون ذات أهمية خاصة ، وتكون بمثابة وسيلة للتكتل والتشاور والتناغم الوجدانى . فعند مرض أحد أفراد الأسرة ، فإن اجتماع جميع أفرادها حوله يعمل بلا شك على إحساسه بأنه عضو فى جسم نابض بالحياة هو الأسرة ، كما أنه يحقق تماسك أفرادها وارتباطهم بعضهم ببعض ، بل وملاشاة ما يمكن أن يكون موجودًا بينهم من خلافات .

ولقد تكون هناك وظيفة لاجتماعات الأسرة لا يمكن الإغضاء عنها هى تناول المشكلات التى قد تنشأ بين بعض الإخوة والأخوات ، أو بينهم وبين الأب أو الأم ، أو حتى بين أحد الإخوة والأخوات وبين أحد الجيران أو إحدى الجارات ، وتصفية الخلافات أولا بأول عن طريق اجتماعات الأسرة خير كفيل لها لاستمرار قوتها ولاستمرار حسن علاقاتها فى الداخل والخارج .

ويجب أن ننبه إلى خطورة السلبية التى تستحوذ حاليًا على أفراد الأسرة وذلك لدى تجمعهم حول التلفزيون أو حول الراديو أو لدى توجههم إلى السينما . إننا لا نستطيع أن نعتبر مجرد الاجتماع الجسمى لجميع أفراد الأسرة حول موضوع خارجى يتلقونه اجتماعا يشد أزرها ويوحد صفوفها ، وإنما نشترط لكى يكون الاجتماع صحيحًا ومجديا أن يلعب كل فرد من أفرادها دورًا إيجابيًا بالاجتماع ، ولا يكون مجرد مشاهد أو سامع لما يشاهد أو يقلد كما هو الحال بالنسبة لمشاهد التليفزيون أو المستمع إلى الراديو . ذلك أن الإيجابية تجعل أفراد الأسرة هم مؤلفو الموقف ومخرجوه ، بينما لا يكون لهم فضل فيما يقال أو يشاهد فى المواقف السلبية أمام شاشة التليفزيون أو سماعة الراديو .

ثقافة الأسرة :

من أكثر الكلمات التباسا فى أذهان الناس كلمة ثقافة . فمعظم الناس يعتقدون أن الثقافة هى العلم ، وقد ينصرف البعض إلى اعتبار الثقافة هى المعلومات العامة التى يحصلها الشخص من هنا وهناك . وقد يفهم البعض الثالث الثقافة بأنها الجانب من العلم الذى يستخدم فى الحياة اليومية وبخاصة ما يتصل بالأحاديث اليومية فى الزيارات والمجالس فيقال : إن فلانا مثقف وفلانا قليل الثقافة فى ضوء ما يقوله من كلام ممتع ومفيد أو غير ممتع وغير مفيد . والواقع أن الثقافة بالمعنى العلمى تعنى : كل ما يصل إلى عقل الإنسان من معرفة وكل ما يصل إلى يديه من مهارات ، وكل ما يصل إلى وجدانه من تذوقات وكل ما يصل إلى شخصيته من أخلاق ، وكل ما يصل إلى شخصه وأفراد الناس الذين يتصل بهم من علاقات ، بل وما يشيع بأحد المجتمعات من عقائد واتجاهات ومعايير وقيم وفن وعرف وتقاليد . ويدخل أيضًا فى نطاق الثقافة ما يقوم بين الإنسان والبيئة من علاقات سواء كانت بيئة

الجوامد أو بيئة النباتات أو بيئة الحيوانات . ويدخل أيضًا ضمن الثقافة كل ما يستجد فى حياة الإنسان من أدوات ومخترعات وطرائق استخدامها أو طرائق تجنبها إذا كانت مما يضر بحياته أو مما يهدد كيانه أو صحته أو سعادته .

وفى ضوء ما سبق من مجالات تضم الثقافة نستطيع أن نميز الأسرة المثقفة من الأسرة غير المثقفة . فنقول : إن الأسرة المثقفة هى تلك الأسرة التى تحظى بأكبر قدر من موارد الثقافة ، وهى أيضًا الأسرة التى تستطيع أن تقدم أكبر قدر من الخبرات المفيدة إلى أبنائها وبناتها ، وتبعد عنهم الخبرات الضارة . ولا شك أن الوالدين هما المسئولان بالدرجة الأولى عن تثقيف أبنائهما وبناتهما .

ولنعرض فيما يلى للوظائف الثقافية المنوطة بالوالدين تجاه أبنائهما وبناتهما فى المراهقة :

أولا - توفير الجرائد والمجلات بين أيدى المراهقين والمراهقات حتى يعتادوا الاطلاع على الأحداث الجارية وعلى المقالات والآراء التى يسجلها الكتاب والصحفيون بها . ولا شك أن المجلات تعد من مصادر المعرفة السريعة وبخاصة تلك المجلات العلمية التى تقدم مادة صحيحة ومطلوبة وأساسية بإيجاز وعمومية .

ثانيا - توفير وسائل الإعلام بالمنزل وأهمها - إلى جانب الصحافة - الراديو والتليفزيون . ولا شك أن الإذاعة والتليفزيون يعتبران اليوم من أهم وسائل التوجيه والتنوير بالنسبة للمراهقين والمراهقات .

ثالثا - تشجيع المراهقين والمراهقات على حضور الأفلام السينمائية المفيدة . ومن المعروف أن السينما تعد اليوم من أهم وسائل الترفيه . والواجب أن تشجع الأفلام التعليمية وأن تلزم دور العرض السينمائى بعرض فيلم تعليمى كل ليلة إلى جانب الأفلام الترفيهية الأخرى . وأكثر من هذا يجب الاتفاق على المبادئ التى يخرج فى ضوئها الفيلم الترفيهى ، وألا يكون الأساس فى إخراج الفيلم إثارة الغريزة الجنسية أو الغريزة العدوانية . وأكثر من هذا يجب أن يتحرى المخرجون اللائق فى تسمية الفيلم وفى تعريبه إذا كان أجنبيا ، بحيث لا يتضمن عنوانه إيعازًا بالخروج علي الخط الاجتماعى أو القيم الأخلاقية التى تعد جزءًا قيما فى تراثنا نعتز به ونداقع عنه ونحميه من الانهيار . أضف إلى هذا ضرورة أن يكون عنوان الفيلم صحيحًا من الناحية اللغوية .

رابعا - اصطحاب المراهقين والمراهقات إلى معارض الكتب وتخير الكتب التي تروقهم منها ، وتشجيع المراهق والمراهقة على اقتناء مكتبة خاصة بكل منهما، وأن يعد الوالدان مكانًا لها ودولابًا خاصا بها بالبيت ، وأن يعتنى بمظهره ونظافته ونظامه ، لأن ذلك يقرب الكتاب من قلبيهما .

خامسا - تشجيع المراهقين والمراهقات على حضور المحاضرات الثقافية والعلمية والدينية . ومن المستحسن أن يناقش الأب ابنه وابنته فيما استمعا إليه بالمحاضرة وإبداء الرأى فيها .

سادسا - تشجيع المراهقين والمراهقات على الانتظام على الصلاة بالجامع (أو الكنيسة) . حسب دين الأسرة .

سابعا - تشجيع المراهقين والمراهقات على الانتظام على الصلاة بالبيت ، وعلى الاطلاع والتأمل بالكتب المقدسة .

ثامنا - تشجيع المراهقين والمراهقات على قراءة سير العظماء وما قرروه من مبادئ نهجوا وفقها .

تاسعا - جعل الحديث على المائدة وباجتماعات الأسرة أحاديث ثقافية بعيدة عن اللغو .

عاشرا - تشجيع المراهقين والمراهقات على ارتياد المعارض والمتاحف والوقوف على تاريخ بلدهم وعلى ما تضمه المعارض والمتاحف من علوم وفنون .

ومما لا شك فيه أن الوالدين مسئولان بالدرجة الأولى عن نجاح ابنهما المراهق وابنتهما المراهقة فى حياتهما الدراسية . ولعلنا نستطيع فيما يلى أن نحدد جوانب تلك المسئولية :

أولا - توفير المكان المناسب للاستذكار ؛ ذلك أن هناك بعض الآباء والأمهات لا يلقون بالا إلى هذه النقطة فيفترضون أن أبناءهم وبناتهم المراهقين يستطيعون الاستذكار فى أى مكان بالبيت . والحقيقة غير هذا تمامًا فالمراهق والمراهقة بحاجة إلى التلبس بعادة تتعلق بمكان مناسب للاستذكار يدأبان وينتظمان على الاستذكار فيه ، ومادام التلبس بعادة مكانية فى الاستذكار مسألة هامة ، لذا ينبغى حسن اختيار المكان الذى يصلح أكثر من غيره لاستذكار المراهق والمراهقة ، وأن يؤخذ رأيهما فى ذلك ؛ لأن فرض مكان عليهما لا يجعله أفضل مكان .

ثانيا - مد المراهق والمراهقة بالأدوات والكراسات والكتب المناسبة . وهنا نؤكد أن افتقاد المراهق والمراهقة لبعض الأدوات أو لبعض الكراسات أو الكتب قد يعنى فشلهما فى الاستذكار . ولكن مع هذا ينبغى أن يتأكد الوالدان بالفعل من الحاجة الفعلية لدى المراهق والمراهقة إلى ما يطلبانه لأن بعض المراهقين والمراهقات يطلبون أشياء لا حاجة لهم إليها ، وإنما يطلبونها حبا فى الاقتناء لا حبا فى الاستذكار .

ثالثا - الامتناع عن اقتحام جو المراهق فى الاستذكار من وقت لآخر وقطع تيار تفكيره ومطالبته بقضاء بعض الحاجيات للأسرة . فهناك بعض الأسر لا تحترم استذكار المراهق ، وتطالبه بفتح الباب إذا دق جرس الشقة ، والجلوس مع الضيوف لحين حضور الأب من زيارة لأحد أصدقائه ، أو شراء بعض الحاجيات ، أو القيام ببعض المطالب كغسل الأطباق أو كى الملابس أو مسح الأرض أو غير ذلك من مهام، بيد أن هذا لا يعنى أن يظل المراهق والمراهقة فى حالة من السلبية تجاه مطالب الأسرة بل معناه : احترام وقت الاستذكار وعدم إحداث تشتيت الذهن والانصراف إلى أشياء يمكن أن يقوم بها آخرون أو يمكن تأجيلها لحين انتهاء الابن أو البنت من الاستذكار .

رابعا - الامتناع عن التشويش على الابن المراهق أو البنت المراهقة فى أثناء استذكارهما . فهناك بعض الأسر لا تراعى حرمة الاستذكار ، فلا يحلو للأب والأم أن يتحدثا إلا بجانب المكتب الذى يستذكر إليه الابن أو البنت . وطبيعى أن يجد الابن أو البنت متعة فيما يذكر أمامهما من أحاديث ، فيتركا مكتبيهما وواجباتهما المنزلية لينخرطا فى الحديث يشاركان فيه بالكلام أو بالإنصات ، وبعض الأسر تشغل الراديو والتليفزيون إلى جانب حجرات أبنائهم فى أثناء استذكارهم مما يجعلهم من الناحية الشكلية جالسين إلى مكاتبهم يستذكرون، وفى حقيقة الأمر يتابعون ما يذاع بالراديو أو التليفزيون .

خامسا - يجب على الوالدين الامتناع عن الخروج إلى زيارات أو فى رحلات وترك المراهق والمراهقة بالبيت للاستذكار ؛ ذلك أن كثيرًا من المراهقين

والمراهقات لا يكونون قادرين على الإحساس بالمسئولية بتجاه دراستهم . فنجدهم وقد خلا لهم الجو بالبيت يبدأون فى اللهو والتشتت ، والتطلع من النوافذ والشُرَف ، تاركين الاستذكار لحين عودة الوالدين إلى المنزل .

سادسًا - يجب مراقبة المراهق والمراهقة عن بعد فى أثناء استذكارهما ومتابعتهما للتأكد من أنهما منكبان على دروسهما ، وأنهما لا ينصرفان بذهنهما إلى ما يشغلهما.

فعلى الرغم من أننا نحض الآباء والأمهات على عدم التدخل مباشرة فى شئون المراهق والمراهقة ، فإننا مع هذا نحضهما على التأكد من عدم انصرافهما تحت ستار الاستذكار إلى أمور أخرى تلهيهم عن القيام بواجبهم. فلقد يتخذ المراهق موقعًا لمكتبه بالحجرة يمكنه من متابعة حركات ابنة الجيران بالعمارة المواجهة ، ثم هو يجلس إلى مكتبه لساعات طوال والكتاب مفتوح أمامه وكأنه يستذكر ، بينما هو فى الحقيقة منصرف عن ذلك كل الانصراف ، وقد وجد متعته فى تلك المراقبة المتطفلة . ولقد تنشغل المراهقة فى قراءة بعض القصص الغرامية بينما يظن أهلها أنها غارقة إلى أذنيها فى دروسها فإذا ما اكتشف الأهل أن الابن أو البنت لاهيان عن عملهما إلى سواه ، فعليهم باستخدام الطريق المباشر بالنصيحة والتوجيه أو باستخدام التوجيه غير المباشر حسبما يرون أنه أكثر تأثيرًا فى تعديل سلوك الابن أو البنت .

سابعا - منع استذكار المراهق مع آخرين من زملاء له بالبيت أو ببيت أسرة أخرى ؛ ذلك أن الاستذكار بحاجة إلى تركيز للذهن . وهذا لا يتأتى للمراهق أو المراهقة إلا إذا خلا الواحد منهما لنفسه ، وجلس مستقلا بعيدًا عما يشتت انتباهه . وهل هناك عامل للتشتيت أقوى من وجود الشخص مع سواه وبخاصة فى طور المراهقة ؟

ثامنا - قيام الأب أو الأم معًا بزيارة المدرسة من وقت لآخر ، والاتصال بالناظر أو الناظرة والمدرسين والمدرسات للوقوف على أحوال الابن أو البنت ، ومدى مواظبتهما على الدراسة ، وسلوكهما بالمدرسة وخارجها ، ورأى المدرسة فيهما.

تاسعًا - المبادرة إلى اكتشاف ما يتعثر فيه المراهق أو المراهقة من مواد دراسية ، والبدء فى توجيه الرعاية الفردية إليه . وهنا نشير إلى أهمية الدروس الخصوصية بالرغم من كثرة ما يوجه إليها من نقد . فالواقع أن الدرس الخصوصى يكون فى بعض الحالات ضرورة ملحة لا غنى عنها للطالب أو الطالبة . ومعنى الدروس الخصوصية أنها نوع من الرعاية الفردية ، والأخذ بيد المتخلف ببذل جهد فردى إضافى معه . نعم إنها فى بعض الأحيان تكون ضارة إذا كانت فى غير محلها ، أو إذا كان المدرس أو ولى الأمر لا يعرفان مغزاها وفائدتها أو طريقة إعطائها ، أو إذا اعتاد عليها الطالب بحيث يصير غير قادر على الاستغناء عنها أو غير قادر على متابعة المدرسة بدونها .

عاشرًا - تشجيع الابن المراهق أو البنت المراهقة بالجوائز وبكلمات التشجيع عندما يثبت تفوقهما بالدراسة ، أو عندما تقدم المدرسة إلى الأب تقريرًا حسنا عنهما .

وطبيعى أن من المستحيل أن يصير الأبناء والبنات المراهقون مثقفين لمجرد انتظامهم على المدرسة ومتابعة دروسهم والنجاح فيها . فالواقع أن النجاح فى الدراسة هو أضعف الإيمان كما يقال . أما التثقيف فإنه أبعد شأوا من ذلك بكثير . نعم إن النجاح فى سلك الدراسة شىء ضرورى مما يحتم علينا ألا نلغو أمام أبنائنا وبناتنا المراهقين بأن المدرسة لا تكفل الثقافة للشخص ، وبأن العقاد وتيمور لم يدخلا الجامعة ، ومع هذا فإنهما صارا مثقفين ، إلى غير ذلك من أحاديث تترك المراهق والمراهقة وهما يحسان بالاحتقار الشديد للمدرسة والدراسة مما قد يعمل على انطفاء جذوة حماسهما للدراسة المنظمة ، ويظنان أن الانطلاق بغير هدى فيما يستهويهما من قراءة هو الطريق الصحيح للثقافة . والواجب علينا كآباء وأمهات أن نبصر أولادنا وبناتنا المراهقين بأن الدراسة المنظمة هى السبيل الآمن للوصول إلى الثقافة ، وأن المقررات تعتبر ألف باء الثقافة ، ولكن يجب أن يضاف إليها أشياء أخرى حتى تكتمل شخصية الشخص المثقف .

ولعلنا فيما يلى نقدم الشروط الواجب توافرها فى الثقافة لكى تكون نقية من الشوائب ، ولكى تكون ذات فاعلية فى شخصية الإنسان ، وذلك حتى يراعيها الأب والأم ، بل وأولادهما وبناتهما المراهقون . والشروط هى :

أولا - يجب أن تكون الخبرات التى تتضمنها الثقافة مرتبطة بالحياة ، وأن تكون مطلبا اجتماعيا أصيلا . فكلما كانت الخبرة أكثر ارتباطًا بالمجتمع الراهن ، كانت أكثر حيوية وأبقى أثرًا لدى الشخص ، ولدى المجتمع المحيط بذلك الشخص .

ثانيا - اشتمال تلك الخبرات على مهارات يدوية مفيدة ؛ ذلك أن المجتمع الحديث برغم اعتماده أساسا على الآلة ، فإنه بحاجة إلى مجموعة كبيرة من المهارات اليدوية التى يجب أن يتقنها بعض الأفراد . من ذلك مثلا الآلة الكاتبة والكومبيوتر والآلة الحاسبة وقيادة السيارة وإصلاح الساعة والتليفزيون إلى غير ذلك من مهارات يدوية متعددة .

ثالثا - الفهم الفلسفى للحياة . والواقع أن الإنسان بحاجة إلى فلسفة يستهديها فى حياته ، ولا يستطيع أن يعيش بغير مبادئ عقلية معينة تعتبر بمثابة ركائز أساسية تسيِّر حياته ، وترشده فى علاقاته بالآخرين وبنفسه وبالله .

رابعا - القيم السلوكية الأخلاقية من حيث هى مفاهيم ، ومن حيث هى عادات سلوكية يحياها الشخص ويطبقها بقلبه ووجدانه وجسمه وفكره .

خامسا - المعلومات العامة . فكما سبق أن قلنا ، فإن الشخصية بحاجة إلى معلومات عامة تكسبها قدرة على ربط الحياة والأحداث بعضها ببعض وتجعل من الشخص إنسانا واعيا بواقعه ، وقادرًا على توقع مستقبله .

سادسا - المعرفة الحسابية والرياضية . وهذه المعرفة تمثل ركنًا أساسيا بالثقافة ، إن لم تكن مفيدة أيضًا للتكوين العقلى البحت للإنسان .

سابعا - التمتع بالروح الدينية وبالمعلومات الدينية والتمسك بالقيم الروحية والإحساس بها وبفاعليتها فى حياته وفى علاقاته بالمجتمع ككل بل وبالكون بأسره.

ثامنا - التذوق الجمالى . فإذا لم يكن الشخص قادرًا على التذوق الجمالى بالنسبة لكل ما يصل إلى حواسه الخمس ، فإنه لا يكون شخصية مثقفة . وليتنا نستطيع تدريب أبنائنا وبناتنا على تخير الألوان الجميلة والاستماع إلى الموسيقى العذبة غاضين عن كل ما ليس بجميل فى الأشياء وفى الأنغام .

تاسعًا - العناية بالصحة الشخصية وبصحة الآخرين ومعرفة الإسعافات الأولية والتدرب عليها .

عاشرًا - العمل على تحقيق السعادة وحب الخير للآخرين ومساعدتهم بكل ما لدينا من طاقة .

الروح الدينية :

كان الدين - ولا يزال - من عوامل تحريك السلوك الإنسانى ووضعه فى صيغة معينة . ويجمع دارسو السلوك الإنسانى على أن الدين يعد أقوى ركيزة يمكن أن تقوم عليها أخلاق الشخص وسلوكه . ولقد أخطأ الذين زعموا أن من الممكن أن تقوم أخلاق بغير دين . وحتى إذا قامت فإنها إذن تكون أخلاقا سطحية وجوفاء ، فلا تمت للأخلاق المنبعثة عن جوهرية الشخصية إلا بالمظهر الخارجى فحسب . فالواقع أن الدين يتصل أكثر ما يتصل بصلب شخصية الإنسان . ولذا فإن الأخلاق التي تقوم على الدين هى أخلاق متأصلة بالشخصية وترتبط بمحور كيانها ولبها .

لذا فإنك تجد أن الأسرة التى تهتم بالدين والتى تتأصل لديها الروح الدينية الحقيقية أكثر الأسر قدرة على تنشئة أبنائها تنشئة صالحة قويمة . نعم إن هناك كثيرًا من حالات التدين المرضية التى لا تتصل بالدين بصلة صحيحة . ولكن الأسرة التى تتذرع بالتربية الحقيقية غير المرضية جديرة بلا شك بأن تربى أبناءها وبناتها على أخلاق سليمة ، وعلى أسلوب سلوكى متين .

ولعلنا فيما يلى نستطيع أن نعرض للجوانب الأساسية بالتربية الدينية التى ينبغى على الأسرة أن توفرها للمراهق والمراهقة والتى على أساسها تنشأ الأخلاق الحقيقية المرتبطة بوشائج متينة مع الدين وتعاليمه :

أولا - يجب توفير حد أدنى من المعلومات الدينية لكل من المراهق والمراهقة . ويجب على الأسرة ألا تعتقد أن المدرسة وحدها مسئولة عن هذا ، أو أن ما يدرس من مناهج دينية بها كاف وحده لتوفير هذا الحد الأدنى من المعرفة الدينية . فالواقع أن المدرسة تقدم إطارًا عاما لا يتصل بالحاجات الفردية لهذا المراهق أو ذاك ، أو لهذه المراهقة أو تلك . أما الأسرة فإن من مسئوليتها أن توفر الحاجات العقلية الخاصة بكل مراهق ومراهقة فيما يتعلق بالمسائل الدينية التى تلح على ذهنهما .

ثانيا ـ ممارسة الشعائر الدينية؛ ذلك أن ممارسة الدين من جانب الوالدين وصدور ذلك عن الأب والأم لأنهما يؤمنان بحق به ، إنما ينتقل لا شعوريا إلى الأبناء والبنات. ولا نستطيع القول بأن الممارسة الدينية تأتى بأمر الأبناء والبنات بأدائها بغير أن نكون نحن قدوة لهم فى ذلك . فحتى إذا هم أطاعوا ، فإنهم سيقدمون الشكل الخارجى للممارسة الدينية الخالية من المضمون والجوهر . ومعروف أن مضمون الدين وجوهره هو الإيمان القلبى والصدور فى السلوك الدينى عن حماس حقيقى.

ثالثا ـ اقتناء الكتب الدينية الرئيسية وإتاحة استخدامها للمراهق والمراهقة . فهناك إلى جانب الكتب الدينية الرئيسية كتب دينية أو فلسفية لها أهميتها الدينية يجب أن تعمل الأسرة على اقتنائها وتشجيع أبنائها المراهقين والمراهقات على قراءتها وتفهم ما جاء فيها ومناقشته .

رابعا ـ توجه الأسرة ككل إلى الجامع أو إلى الكنيسة . (حسب دين الأسرة) ذلك أن هذه المصاحبة تعد من أكبر العوامل على اعتياد المراهقين والمراهقات على التردد على دور العبادة والمواظبة على الصلاة بها .

خامسا ـ مناقشة المشكلات الدينية المتعلقة بالمعتقدات الدينية ، وما قد يلم بعقلية المراهق من شكوك فى معتقداته .

سادسا ـ تفهم الأخلاق الدينية بنظرة تطورية ؛ ذلك أنه فى حدود الدين الواحد تكون هناك مستويات متعددة من الفهم الدينى تتوقف على السن والثقافة والجنس بل وعلى المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة .

سابعا ـ محاولة تقديم نظرة مقارنة إلى الأديان للمراهق والمراهقة . ولا يكون الهدف من ذلك البحث عن الصحيح والخاطئ ، بل يكون الهدف منه القضاء على ما يمكن أن ينشأ من تعصب نتيجة عدم معرفة ما تقول به الأديان الأخرى من تعاليم سامية.

ثامنا ـ التأكيد على الجانب الإنسانى والجانب الوجودى بالدين . والجانب الإنسانى يقول بأخوة بنى الإنسان جميعًا ، أما الجانب الوجودى فإن يقول بأن الإنسان جزء من هذا الوجود يؤثر فيه ويتأثر به ، وينبغى ألا يتجبر ويحس بسيادته أكثر من اللازم على الكون .

تاسعا - ممارسة الأسرة عمليا لتعاليم الدين كالإحساس بالشفقة والعفة والتواضع والمحبة والأمانة وغير ذلك من فضائل مستمدة بصفة جذرية من تعاليم الدين ولا تكون ذات فاعلية إلا إذا تأصلت التعاليم الدينية فى القلوب .

عاشرا - القضاء على الخرافات التى يمكن أن تكون قد علقت خطأ بالدين كالشعوذة، والقضاء أيضًا على فنون السحر التى ترتبط من قريب أو من بعيد بالمعتقدات الدينية، وتدريب المراهق والمراهقة على التشبث بالتفكير العلمى وإزالة كل تعارض بين الإحساس الدينى وبين النهج العلمى فى التفكير بمواقف الحياة المتباينة .

والواقع أن التربية الدينية على جانب كبير من الأهمية خلال فترة المراهقة بالذات للأسباب التالية :

أولا - إن فترة المراهقة هى فترة التلبس بالمثل العليا . فهى فى الواقع فترة التدين الحقيقية . فإذا لم تستغل الأسرة هذه الفترة لبث الروح الدينية ودعمها فى نفسية المراهق ؛ فإن من العبث شحذ الروح الدينية لديه بعد ذلك من مراحل العمر التالية.

ثانيا - إن فترة المراهقة هى أيضًا فترة التشكك الدينى . فالمراهق والمراهقة يودان لو يخضعان كل شىء لعقلهما ، وأن يرفضا كل شىء لا يقبله العقل . من هنا فإن بث الروح الإيمانية فى قلبى المراهق والمراهقة يكفل لهما الحماية ضد زوابع الشك التى يمكن أن تجتاحهما .

ثالثا - فى هذه افترة يرتبط الجنس بالدين ؛ ذلك أن المراهق والمراهقة يربطان كل إحساس جنسى يعتمل لديهما بالمعايير الدينية للفضيلة والرذيلة ، وللخطيئة . ولقد يعمد المراهق أو المراهقة لا شعوريا إلى التخلص من الشعور بالإثم نتيجة خطيئة جنسية يكونان قد اقترفاها ، وذلك بالقضاء على مصدر التحريم ذاته أعنى الدين ، وذلك بالتطرق إلى الإلحاد أو التعريض بالقيم الدينية والمعتقدات الدينية ذاتها تحت ستار من المنطقية التى تعد فى واقعها مبررًا لما انتحيا إليه من إلحاد أو خروج على الخط الدينى القويم .

رابعا - تعد فترة المراهقة هى فترة التفكير العلمى واكتشاف ما قد يظنه المراهق أو المراهقة معارضًا للدين . فمن القضايا الملحة على ذهن المراهق والمراهقة قضية اتفاق الدين مع العلم فيما يكشف العلم عنه من حقائق علمية .

خامسا - تعد فترة المراهقة فترة بلورة الشخصية اجتماعيا وفق السلوك الاجتماعى السليم . ومن المعروف أن الأسس الدينية من أهم الأسس التي يقوم عليها السلوك الاجتماعى السليم . فإذا ما فقد المراهق والمراهقة القدرة على التشبع بتلك الأسس فإنهما لا يستطيعان بالتالى بلورة شخصيتيهما وفق السلوك الاجتماعى السليم .

سادسا - من المعروف أن فترة المراهقة من أكثر فترات العمر تعرضًا للانحرافات الجنسية والأخلاقية ، وذلك لأنها فترة الانفعالات بالدرجة الأولى . من هنا فإن عدم تحصن المراهق والمراهقة بالدين خلال هذه الفترة يجعلهما عرضة للغوايات الجنسية وغيرها ويكونان أبعد ما يكون عن التسامى بما لديهما من غرائز وميول وانفعالات .

سابعا - إن فترة المراهقة هى فترة الاحتجاج على عالم الكبار . ويخشى أن يعمم المراهق والمراهقة احتجاجهما على الألوهية ذاتها ، ويظنان أن القوة الباسقة لديهما تسمح لهما بالسيطرة على الكون بأسره ، وليس هذا من قبيل المجاز . ذلك أن المراهق والمراهقة قد يتعرضان للإصابة بجنون العظمة .

ثامنا - تعتبر هذه المرحلة مرحلة التفتح الفلسفى . فالمراهق والمراهقة خلال هذه الفترة يحسان بضرورة التفتح على تفسيرات شاملة وناجعة للكون من حولهما ولمعنى الحياة . والواقع أن الفلسفة تشترك مع الدين فى الموضوعات التى تتعرض لها ، بينما تختلف عن الدين فى المنهج الذى تتناول به الموضوعات وتقوم بدراستها بواسطته ؛ ذلك أن الفلسفة تعتمد على التأمل العقلى والحدس ، وليس على الوقائع الجزئية والتجريب والاستنتاج المباشر من المعطيات الجزئية . ونستطيع القول بأن الفلسفة سابقة على العلم وتالية له فى الوقت

نفسه . فهى بدأت بتناول موضوعات العلم والدين بمنهج تأملى . خذ مثالا لذلك أنكساغوراس (٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق.م) الفيلسوف اليونانى . إنه قرر أن القمر مثل الأرض وأنه مكون من تربة ورمال ، وأن عليه سكان كسكان الأرض، وأن النور الذى نراه عليه إن هو إلا انعكاس أشعة الشمس عليه . ولما كان اليونان القدماء لعهده يقدسون القمر ويحسبونه ضمن الآلهة ، فإنهم تآمروا على أنكساغوراس لقتله ، فهرب سرا بالليل من أثينا . وعلى الرغم من اتفاق معظم ما قرره أنكساغوراس مع ما يقرره علماء الفلك والفضاء اليوم ، فإن كلامه يدخل فى نطاق الفلسفة لا فى نطاق العلم ؛ لأنه لم يعتمد فى تقريره على الوقائع المحسوسة ، بل على تأملاته الشخصية واستنتاجاته العقلية .

ومن جهة أخرى فإن فلاسفة العلوم اليوم يتناولون النظريات العلمية المتعددة ويستخرجون منها نظرة عامة إلى الوجود لا تعتمد بطريق مباشر على المحسوسات بل على النظريات ، وينتهون إلى فلسفة للعلم . وبهذا نقول : إن الفلسفة سابقة على العلم وتالية له فى الوقت نفسه .

وحيث إن المراهق والمراهقة يتفتحان على الفكر الفلسفى ويبحثان عن تفسير عقلى فلسفى لكل ما يقع تحت حسهما ، ولكل ما يصل إلى عقلهما ، لذا فإن واجب الأسرة أن تهيئ لهما فرصة البحث العقلى والمجادلة والمناقشة، ولا تعمد إلى إسكاتهما ومنع فكرهما الفلسفى ، بل تشجعه وتعتبر هذه ظاهرة صحية لا غبار عليها ، وأنها مع التوجيه تكون مدعاة إلى تثبيت الإيمان بالله وإلى التمسك والتلبس بالروح الدينية .

تاسعا ـ إن فترة المراهقة فترة مشفوعة بكثير من التقلبات المزاجية . وهذا يؤثر فى مدى تمسك المراهق والمراهقة بالقيم الدينية والعقائد الدينية . فإنك تجدهما يوما وقد أخذا فى التحمس الشديد للدين ، وفى يوم آخر تجدهما فاترى الهمة وقد ذبل حماسهما الدينى . ولقد يحدث أن يقع المراهق أو المراهقة فى وقت فتورهما فى أيدى بعض الملحدين ، فينحرفون بهما انحرافًا كبيرًا أو صغيرًا عن العقيدة الدينية ، ويفتون فى عضدهما ويضربونهما بالشك حتى فى وجود الله . فإذا كانت الأسرة واعية لمثل هذه المواقف ، فإنها

بتدينها تستطيع حماية أبنائها وبناتها من مثل تلك الاحتمالات . وحتى إذا اكتشفت بوادر ميول إلحادية قد بدأت فى البزوغ فى عقل الابن أو البنت المراهقة ، فإنها تستطيع بتغليفه بالجو الدينى وبتقديم البراهين المضادة التي تعمل على تثبيت الإيمان إزالة الإلحاد من ذهنهما .

عاشرا ـ قد يرتبط الدين فى ذهن المراهق والمراهقة بالمخلفات القديمة البالية التى انتقلت إلى جيله الجديد النابض بالحيوية والحياة عن الأجيال القديمة ، ومن ثم فأجدر به أن يتلاشى ويمزق ويضرب به عرض الحائط . وهذا الشعور قد يصل إلى ذهن المراهق والمراهقة ووجدانهما نتيجة الثورة الدائبة المعتملة فى ذهنهما ضد كل قديم وتمسكهما بكل جديد . ولذا فإن على الأسرة بمساعدة رجال الدين أن تقدم الدين إلى المراهق والمراهقة فى ثوب عصرى جديد يناسب فكرهما ووجدانهما ، وأن تجعل الفكر الدينى فكرًا وظيفيا نافعًا لحل مشكلاتهما الراهنة .

وهناك فى الواقع بعض المحاذير التى ننبه إليها حتى تأتى التربية الدينية بالأسرة تربية سليمة مؤدية إلى تحقيق وظائفها الحقيقية :

أولا ـ يجب ألا يستغل الدين لضرب التفكير العلمى لدى المراهق والمراهقة لقوقعة فكرهما فى قوالب جامدة .

ثانيا ـ يجب ألا يعمل الدين على عزل المراهق والمراهقة عن الروح العصرية وعن التطور، بل يجب على الأسرة أن تواكب روح العصر وتطوراته بنظرة فاحصة تميز بين النافع والضار ، وبين الجميل والقبيح ، وبين اللائق وغير اللائق ، وبين الخير والشر ، والخروج بمحصلة تفاعلية بين الروح الدينية والروح العصرية .

ثالثا ـ يجب ألا يصير الدين أداة للروح الرجعية ، وذلك بنقل صور سلوكية كانت صالحة لعصر قديم إلى العصر الحديث . فالتربية الدينية يجب ألا تعمل على تطبيق ما كان سائدًا بأحد المجتمعات القديمة فى صورة طبق الأصل بغير مراعاة لروح العصر أو متطلباته ، أو حتى مزاجه .

رابعا ـ يجب ألا تستغل بعض النصوص الدينية أو الأحداث أو المواقف المتعلقة ببعض الشخصيات الدينية للحط من قيمة الفتاة المراهقة لحساب الفتى المراهق ، أو لإذلالها أو إشعارها بأنها أقل قيمة من أخيها أو من أفراد فئة الذكور .

خامسا - يجب ألا تؤدى التربية الدينية إلى تربية جيل من المراهقين والمراهقات الخاضعين عقليًا والمنقادين لما يقال وقد فقدوا القدرة على النقد أو القبول والرفض. ذلك أن النقد والقبول والرفض خصائص عقلية هامة يجب الحفاظ عليها وتشجيع اعتمالها فى ذهن المراهق والمراهقة وفى حياتهما اليومية .

سادسا - يجب ألا تعمل التربية الدينية على طمس ما بين المراهق والمراهقة من فروق جنسية . فالحذر من تخنث المراهق وفقدانه خصائص الذكورة ، ومن تذكير المراهقة أو فقدانها لأنوثتها وجمالها ورقتها وعذوبتها ، أو حتى كلفها برشاقتها وجاذبيتها .

سابعا - يجب ألا تعمل التربية الدينية على الاعتداء على ما بين أفراد المراهقين والمراهقات من فوارق فردية . وذلك بالعمل على صب الأفراد جميعًا فى قالب واحد لا يتغير . بل الواجب تشجيع كل فرد لأن يصبح كما خلق بغير طمس أو تزييف لحقيقة شخصيته .

ثامنا - يجب ألا تضعف التربية الدينية بالأسرة القدرة علي التصور الفلسفى ، وذلك بتلقى حلول جاهزة مسبقة ولدنية للمشكلات الفلسفية والعقلية والحياتية التى تجابه المراهق والمراهقة . ذلك أن عملية المعاناة الفكرية والنفسية فى طور المراهقة هامة فى تكوين الشخصية . أما هدوء الفكر واطمئنانه وسكون القلب وعدم جيشان الوجدان ، فإن معناه خمول العقل وذبول الفكر وتقلص الثقافة .

تاسعا - يجب ألايلجأ الوالدان إلى الرياء والنفاق فيحاولان الظهور أمام أبنائهما المراهقين كقديسين . فالأب والأم المنافقان ينكشفان بسهولة أمام النظرة النقدية لدى أبنائهما فى هذه السن .

عاشرا - يجب ألا تستخدم التربية الدينية كأداة لتربية روح التعصب لدى المراهقين والمراهقات ، بل يجب استخدامها لتشجيع التسامح والمحبة والمساواة بين الجميع والتسابق على الخير .

* * * *

الفصل الخامس

المشكلات الجسمية والنفسية والاجتماعية

للمراهق والمراهقة

تدفق النمو :

تعتبر فترة المراهقة بحق فترة الانفجار النمائى ؛ ذلك أن جسم المراهق والمراهقة يشهد خلال هذه الفترة ثورة نمو فى جميع أنحائه . فالهيكل العظمى تستطيل عظامه وتأخذ سمكا جديدًا سريعًا ، وأيضًا العضلات تأخذ فى التبلور والاشتداد ، كما أن الأجهزة التناسلية التى كانت مستكينة فى الطفولة تبدأ هى الأخرى فى النمو غير العادى ، وتأخذ الغدد التناسلية فى إفراز هرمونات بالدم مما ينتج عنه بمصاحبة الهرمونات الأخرى المفرزة من الغدد الصماء الأخرى ؛ ظهور الشعر فى بعض أجزاء الجسم وتضخم الصوت بالنسبة للذكور وبزوغ الثديين للإناث إلى غير ذلك من مظاهر جسمية معروفة لدى الذكور والإناث .

والواقع أن هذا التدفق النمائى خلال المراهقة له عدة مزايا نستطيع أن نوجزها فيما يلى :

أولا - يخرج المراهق بفضل هذا التدفق النمائى من حيز الطفولة إلى حيز الشباب.

ومعنى هذا : أن الشخص لا يظل فى زمرة الواهنين الضعفاء ، بل يصير ضمن فئة المغامرين الأقوياء ، ولا غرو فإن هذه المرحلة تكون مشمولة بالإحساس بالقوة . ولقد يحس المراهق فى هذه الفترة بأنه أقوى من جميع الناس ، وأنه يستطيع أن يقلب الدنيا ظهرًا لبطن ، وأنه يستطيع أن يقوم بأعمال البطولة التى لم يستطع أحد القيام بها من قبل وطبيعى أن إحساس المراهق بالقوة يدفعه إلى الإقدام والمغامرة والتشبه بالفرسان والقادة . إذن هى مرحلة الشجاعة بالنسبة للمراهقين . أما بالنسبة للمراهقات فإنها مرحلة الإحساس بالأنوثة والجمال والرقة والعذوبة . فالمراهِقة تحس وقد

خرجت من فئة الأطفال إلى فئة الشابات أنها تمتلك ناصية الجمال كله والعذوبة كلها والجاذبية فى تمها ، بحيث لا تستطيع أية امرأة مغالبتها فى جذب قلوب الرجال إليها . وأكثر من هذا فإنها قد تقارن نفسها بأمها وتستشعر أنها ستكون أكثر جاذبية منها . ولكأنها تريد أن تستأثر بالأنوثة كلها التى خلقت لكى تتوزع على بنات حواء جميعًا .

ثانيا - يرتبط هذا النمو المتدفق خلال المراهقة بتحمل المسئولية بكثير من الأقطار وبكثير من المجتمعات وبخاصة المجتمعات البدائية . ففى تلك المجتمعات تقام حفلات التدشين للمراهقين والمراهقات الذين وصلوا إلى مرحلة البلوغ ؛ حيث يسلم لكل واحد منهم السلاح الذى يساهم به فى الدفاع عن القبيلة ، كما يسلم أدوات الإنتاج التى سوف يستخدمها لزيادة ما تنتجه القبيلة من زرع أو مصنوعات حرفية حسبما تمتهن به القبيلة . وحتى المجتمعات المتحضرة التى لا تسلم مسئولية إنتاجية أو دفاعية للمراهق ، تعمد بلا شك إلى بث روح المسئولية فى نفوس المراهقين والمراهقات كما تعمد إلى تدريبهم على تحمل الأعباء فى شكل تدريبات يمكن الاستفادة منها فى النهوض بالمسئولية فى المستقبل .

ثالثا - لا شك أن النمو المتدفق خلال المراهقة يساعد على توفير الصحة الجيدة للمراهق والمراهقة . ولكأن الطبيعة قد وفرت تهيئة جسمية خاصة خلال هذه الفترة لمجابهة المسئوليات التناسلية والاجتماعية التى سيتحملها كل من المراهق والمراهقة فى المستقبل . وطبيعى أن العناية الصحية إذا ما وجهت إليهما خلال هذه الفترة ، فإنهما يستطيعان عندئذ الحصول على جسم قوى وعلى شخصية متدفقة النشاط والحيوية وعلى تآزر حركى وانسجام جسمى جميل .

رابعا - الواقع أن ظاهرة النمو المتدفق خلال المراهقة لهى دليل على سلامة تكوين المراهق والمراهقة ، وعلى أن النمو يسير لديهما وفق الخط الطبيعى المرسوم له. فتخلف هذا التدفق عن الحدوث أو حدوثه بكمية أقل من المعدل المناسب، يعد دليلا قاطعًا على حدوث خلل فى النمو ، مما يدعو إلى قلق أسرة المراهق أو المراهقة على سلامة الطفل ، ويدعوها إلى ضرورة عرضهما على الطبيب .

خامسا - من الحقائق المعروفة أن تدفق النمو الجسمى لدى كل من المراهق والمراهقة لا يقتصر على الجانب الجسمى ؛ بل ينسحب أيضًا إلى الجوانب العقلية والوجدانية والاجتماعية بل واللغوية - إن صح أن نفرد للجانب اللغوى كيانا قائما بذاته - ففى هذه المرحلة ينضج عقل المراهق والمراهقة ويكونان مستعدين لتعلم نوعيات جديدة من المعرفة لم يكن لهما أن يتعلما ما قبل ذلك أيام الطفولة. وبالنسبة للناحية الوجدانية فإنهما يكونان قد بدآ فى التلبس بوجدانات وعواطف مغايرة من حيث النوعية عن عواطف ووجدانات الأطفال؛ ذلك أن وجدانات وعواطف الطفولة ترتبط أكثر ما ترتبط بالحاضر واللحظة الراهنة، أما وجدانات وعواطف المراهقين فإنها تتجه نحو المستقبل بصفة خاصة . فهم يعقدون عواطفهم على آمال المستقبل وعلى ما سيحصلون عليه أو سيتمتعون به أو سيحققونه من إنجازات .

سادسا - ترتبط هذه الدفعة النمائية لدى المراهق والمراهقة بالقدرة على مواصلة بذل الجهد لمدة طويلة . وهذا يرتبط بلا شك بما يمكن تحميله لكل من المراهق والمراهقة من دراسة ومن أعمال . ولذا فإنك تجد أن المناهج الدراسية بالمرحلة الإعدادية والثانوية وقد أخذت فى التزايد والاتساع الكمى والكيفى بشكل مباين تماما لما عليه الحال بالمرحلة الابتدائية حيث كان النمو ضعيفا نسبيا ، وحيث لم تكن نوعيات النمو قد أخذت فى الانبثاق بشدة .

سابعا - يرتبط هذا التدفق فى النمو بتقدير خاص للجنس الآخر . فليس التدفق فى نمو الأعضاء التناسلية مرتبطا بالميل إلى الجنس الآخر وحسب ، بل يرتبط أيضا بتقديره والرفع من قيمته . ولقد يتصور المراهق أفراد الجنس المقابل فى صورة رومانسية كما تتصور المراهقات أفراد المراهقين فى صور بطولية مغوارة ولا شك ان هذا يدفع بالمراهق إلى قرض الشعر وإلى اللجوء إلى الرسم والتصوير والنحت وكتابة القصص ليعبر بها عما يختلج فى عواطفه من تقدير لفئة الإناث ، كما أن كلا من المراهقين والمراهقات يتسابقون إلى تقديم الخدمات إلى أفراد الجنس المقابل والتضحية من أجل كفالة راحتهم وتمنى كسب عطفهم وتقديرهم .

ثامنا - لا شك أن تدفق النمو خلال هذه المرحلة يعد فرصة تربوية فى أيدى المربين من آباء وأمهات ومدرسين ومدرسات لتوجيه الطاقات الجديدة المصاحبة لهذا التدفق النمائى الوجهة الصحيحة . وإذا كانت الطفولة بمرونتها وخضوعها تعد فرصة سانحة للتربية ، فإن المراهقة بتدفق النمو خلالها تعد أيضا فرصة لا تعوض لرعاية المراهقين والمراهقات .

تاسعا - يرتبط هذا التدفق النمائى بوقوف المراهق والمراهقة على ما لدى كل منهما من استعدادات خاصة ومن مواهب ينفرد بها . ولا شك أن هذه الفترة تعد فترة اكتشاف الذات والوقوف على مكونات الشخصية بالدرجة الأولى .

عاشرا - يرتبط هذا التدفق النمائى لدى المراهق والمراهقة بالرغبة فى الاستقلال والاعتماد على النفس . ولا شك أن الخروج من مرحلة الاعتماد على الآخرين إلى مرحلة الاعتماد على الجهد الشخصى لهو ميزة عظيمة تتمتع بها الشخصية وتبشر بكيانها المستقل وقيامها بغير مساندة من أحد .

بيد أنه إلى جانب هذه الميزات المتعددة التى تواكب هذه التدفق النمائى خلال فترة المراهقة ، فإن لهذا التدفق عيوبًا أو مخاطر نستطيع أن نوجزها فيما يلى :

أولا - إن التدفق النمائى خلال فترة المراهقة بحاجة ماسة إلى رعاية صحية وفيرة فلا يمكن حصول المراهق والمراهقة على صحة جيدة إذا لم يقدم إليهما الغذاء المناسب كما ونوعًا ، وإذا لم يكفل لهما الكساء الواقى من الحر والبرد، وإذا لم يسارع المسئولون عن تربيتهما بعلاج بوادر الأمراض التي قد يصابان بها وبخاصة الأمراض الصدرية . فتدفق النمو خلال المراهقة لا يكفى وحده لكفالة الصحة الجيدة ، بل يجب أيضًا دعم هذا التدفق بما يسانده ويدعمه ويحميه من الانحراف . ويجب العمل على تحقيق التآزر والانسجام بين شتى جوانب النمو ، بحيث لا يسمح مثلا للهيكل العظمى بالنمو إلى درجة لا يتآزر معها نمو الجهاز العضلى ، فيصير المراهق عملاقًا نحيفًا نحيلا فى الوقت نفسه .

ثانيا - كثيرًا ما يتسبب النمو المفاجئ والسريع لأطراف المراهق فى فقدانه لتآزره الحركى ، فتصدر عنه حركات عشوائية غير متسقة ينتج عنها كثير من التخبط وعدم إصابة الأهداف التى يستهدفها . فهو يأتى بحركات غير التى

يريد إتيانها . وكأن ذراعيه ليستا ذراعيه وذلك بسبب الطول الذى وقع فيهما بغير اعتياد من جانبه عليه . وكذا يقال الشىء نفسه بالنسبة لرجليه . وكثيرًا ما يتعرض المراهق والمراهقة للوم الكبار ؛ لأنه يحطم الأوانى والأكواب وذلك بسبب النمو المتدفق فى ذراعيه ورجليه بدرجة لم يعتد عليها ، ومن ثم فإنه لا يستطيع تقدير المسافات التقدير الصحيح .

ثالثا - وحتى بالنسبة للكلام ، فإن المراهق لا يستطيع ضبط أصواته ، فهو يكون فى خجل من نفسه ؛ لأن صوته يجمع بين نبرات وأصوات الأطفال من جهة وبين نبرات وأصوات الرجال من جهة أخرى . فصوته ليس بالرفيع كما كان وليس بالممتلئ كما يريد . ولقد يضحك منه الكبار ، فيزيدون إحساسه بالارتباك ، ويَضْحى فى حيرة من أمره ، فهو لا يستطيع التحكم فى حبال صوته ، والنطق بمخارج الكلمات كما يشاء . ناهيك عن أن المعانى الجديدة التى تتزاحم على عقله لا يكاد يجد لها ألفاظًا تلائمها ، فتعوزه المفردات التى يستطيع بواسطتها التعبير عن حاجات نفسه وما يساوره من أفكار ومفاهيم .

رابعا - يرتبط هذا التدفق النمائى أيضًا بكثير من المشكلات الانفعالية . فليست المسألة مقتصرة على تغيرات جسمية تقع فى أنحائه ، وإنما تتعدى ذلك إلى فقدان لذلك الانسجام الوجدانى الذى كان يسود حياته . وإنك لتجد المراهق فى لحظة ما وقد عَمَّته السعادة وهو يحس بأنه يضع الدنيا بأسرها فى قبضته ، وأنه مالك لناصية السعادة بحيث يستطيع توزيع بعض ما يمتلك منها على الآخرين . ولكنه لا يفتأ بعد لحظات يحس بأن الشقاء هو المخيم على أفق حياته ، وبأنه بحاجة ماسة إلى مُعين يأخذ بيده أو إلى ملاك يرفرف بجناحيه على سمائه المظلمة وعلى ما يلم بجوه النفسى من انقباض وبؤس وشقاء . ولقد يتمنى المراهق والمراهقة خلال تلك اللحظات الحالكة أن يتجده الموت فيريحه من هذا الكابوس الذى لا يعرف له سببًا حقيقيا . والسبب الحقيقى مخبوء فى جنباته ، وهو ذلك النمو المتدفق غير المتجانس ، وذلك التدفق الهورمونى الذى تدفع به الغدد الصماء فى الدم بغير اتساق مما ينتج عنه نشوء أحاسيس متضاربة غير منسجمة فى وجدانه .

خامسا - قد ينجم عن إحساس المراهق بالحيوية والقوة شعوره أيضًا بالغرور وبأنه أقوى من الآخرين حتى من الأب والأم والمدرسين والمدرسات . إنه إذن جدير

بالاحترام وبأن يخضع له الآخرون ، وألا يواجهوه ويخطئوه . فاللائق إذن أن يقوم هو بالتوجيه والتخطئ ، ويجب أن يدين له كل من حوله بالولاء . أليست القوة فى يديه ؟ وأليست الحيوية متدفقة فى أنحائه ؟ ولقد يدفع به الغرور إلى إحساس بالقوة لا يمتلك ناصيتها بالفعل ، بل إنه يتوهم ذلك كذبا وبهتانا . فنجده ينخرط فى شجارات يحس قبل اقتحامه لها بأنه الفارس المغوار والبطل الهمام الذى لا يستطيع أحد الوقوف ضده ، وبأنه يستطيع البطش بالأسود والنمور الكواسر إذا ما وقفت فى طريقه ، وأنه يستطيع اقتحام القلاع المنيعة ويأتى بعاليها إلى سافلها . ولكنه ما يفتأ يتحسر على نفسه عندما يوقع به خصومه ، ويأتون بهامته إلى الحضيض الأسفل ، وقد أخذ يتمرغ فى التراب فيبكى كطفل صغير .

سادسا - هذا التدفق فى النمو الجسمى يكون مصحوبًا فى بعض الحالات التى يحرم فيها المراهق والمراهقة من التوجيه الجنسى بانحرافات جنسية ؛ ذلك أن المراهقة تكون مصحوبة بنمو كبير فى الأعضاء التناسلية ، وتدفع الهورمونات الجنسية إلى الرغبة فى الممارسات الجنسية . ناهيك عن أن كثيرًا من الآباء والأمهات لا يقدمون أى توجيه إلى المراهق والمراهقة بإزاء المسائل الجنسية ، فيجدون من زملائهم وزميلاتهم التوجيه الذى يماشى هواهم ، فينحرفون فى ممارسات جنسية غير سوية . من ذلك مثلا إدمان العادة السرية واقتراف الجنسية المثلية ، وما يصاحب ذلك من مفاهيم جنسية خاطئة أو منحرفة . ولقد تستمر تلك الانحرافات الجنسية معتملة فى أوصال الشخصية بعد الانخراط فى مراحل نمو تالية لمرحلة المراهقة بل وحتى بعد الزواج .

سابعا - يتواكب أيضًا مع هذا التدفق فى النمو بعض الانحرافات الأخلاقية المرتبطة ببعض الانحرافات المزاجية . من ذلك مثلا انتحاء المراهق والمراهقة إلى الغضب والحماقة والعناد . ولا شك أن كثيرًا مما يبديه المراهق والمراهقة من عدم انسجام مع أفراد الأسرة وبخاصة الوالدن إنما ينجم عن هذا التدفق فى النمو، وما ينشأ عن ذلك من سوء تكيف اجتماعى وانحراف مزاجى وسوء طبع ورداءة فى المعاملة .

ثامنا - يرتبط أيضًا تدفق النمو بالرغبة فى التجول . فالمراهق والمراهقة يحبان الخروج والسير لمدة طويلة بغير هدف ، ولكن هذا التجول لا يكون بريئًا فى كثير من الأحيان ، بل يكون مشفوعًا بالرغبة فى المغامرات المنحرفة عن الطريق القويم ، فتنشأ حالات التسكع والمعاكسات وأحيانا السرقة والنشل وغير ذلك من انحرافات سلوكية .

تاسعا - على الرغم من أن فترة المراهقة هى فترة الفوران الجنسى ، فإن الحضارة تحرم ممارسة أى نشاط تناسلى بالنسبة للمراهق والمراهقة . ذلك أنها تعتبر فترة المراهقة فترة عجز اجتماعى على الرغم من أنها تزخر بالنشاط الجنسى . فالمراهق والمراهقة بحاجة إلى مزيد من الرعاية ، ولا يمكن الاعتماد على الواحد منهما كزوج أو كزوجة تتحمل أعباء أسرة جديدة .

من هنا فإن المراهق والمراهقة يحسان بالتناقض بين ما يعتمل لديهما من فوران جنسى وبين ما ينعكس عليهما من إحساس المجتمع بعجزهما الاجتماعى وعدم قدرتهما على النهوض بالمسئوليات الاجتماعية .

عاشرا - فى بعض الحالات يتسبب عن الأزمات النفسية المحيقة بالمراهق والمراهقة تعرضهما لكثير من الحالات النفسية الحادة ، ولبعض أنواع الجنون ، ويقول لنا علماء النفس : إن كثيرًا من حالات الجنون التى تصيب الشخصية إنما تصيبها فى فترة المراهقة . ولعل هناك ارتباطا ما فيما بين تلك الأمراض وبين ذلك الفوران الجنسى والتدفق النمائى وعدم اعتياد الجسم على تقبل ذلك النشاط المفاجئ الذى يعتمل فى أوصاله بغير مقدمات أو تمهيد كافيين.

الحاجات الجسمية والنفسية :

لا تستطيع الكائنات الحية جميعًا على اختلاف مستوياتها ومراتبها أن تعيش بغير أن تتلقى أى شىء من حولها . إنها ليست كهذا الورق الذى أكتب عليه . فهذا الورق ليس بحاجة إلى شىء مما يحيط به لكى يستمر موجودًا . ولكن النبتة تحتاج إلى التربة والماء والشمس والهواء . والفراشة بحاجة إلى الزهرة تمتص رحيقها ، والأسماك والضفادع والقطط والكلاب والقرود وبنو الإنسان بحاجة إلى أشياء خارج نطاقهم يحصلون عليها حتى يتسنى استمرارهم على قيد الحياة .

والكائنات الحية متدرجة من البسيط إلى المركب . فالأميبا ذات خلية واحدة ، وبالتالى فإن وظائفها فى غاية البساطة . إنها لا تفكر ؛ لأنها خالية من الجهاز العصبى ، فليس لديها مخ تفكر به . وليس فى تكوينها أجهزة متخصصة . فليس لها عين ترى بها أو أذن تسمع بها .

ولكنها برغم بساطة تكوينها تسعى لنيل غذائها ، وحاجتها محصورة فى هذا النطاق الضيق البسيط ، ولكن الكائنات الحية الأكثر تعقيدًا تنشأ لديها حاجات على جانب أكبر من الخصوبة والتعقد . ويعتبر الإنسان أكثر الكائنات الحية تعقيدًا. ومن ثم فإنه يسعى لسد كثير من الحاجات . وتختلف حاجات الإنسان من حيث أنواعها الأساسية. وهناك بصفة عامة بالنسبة للإنسان حاجات جسمية وحاجات وجدانية وحاجات عقلية وحاجات اجتماعية .

والواقع أن الحاجات بالنسبة للإنسان تختلف باختلاف البيئات وباختلاف الأعمار. فالحاجات عند إنسان القبائل البدائية أبسط من حاجات الإنسان المتحضر، وحاجات الطفل أبسط من حاجات المراهق . وتختلف أيضًا الحاجات بالنسبة لكلا الجنسين . فحاجات المراهق تختلف عن حاجات المراهقة .

ويجب ألا يظن أحد أن تقسيمنا للحاجات الإنسانية إلى أربعة أنواع يعنى أنها منفصلة بعضها عن بعض ، أو أنها لا تؤثر ولا تتأثر بعضها ببعض . الواقع أن الحاجات الجسمية ، والحاجات الوجدانية ، والحاجات العقلية ، والحاجات الاجتماعية متداخلة ومتكاملة ، وتتأثر بعضها ببعض ويؤثر بعضها فى بعض .

فالحاجة إلى الطعام فى حالة الجوع ، لا تكون مجرد رغبة المعدة فى تناول الطعام ، بل إن الشخص الجائع يكون أيضًا ـ بجانب حاجته إلى الطعام ـ مستشعرًا رغبة ملحة لتناوله ، كما أن فكره كله يكون مركزًا فيه ، بل إن علاقاته الاجتماعية بالناس تكون على غير ما يرام .

وما يقال عن الحاجة إلى تناول الطعام يقال أيضًا عن الحاجة إلى النوم . فأنت إذا اضطررت ذات يوم إلى الاستمرار فى حال اليقظة طوال الليل ، فإنك فى صباح اليوم التالى ستكون ميالا إلى النعاس ، وتجد أن جسمك فى حالة متسمة بالحركة البطيئة ، وأن بصرك فيه شىء من عدم التركيز ، وقد تحس بصداع فى رأسك ، ولا تجد عندك شهية لتناول الطعام .

ولكن المسألة لا تتوقف عند هذه الحدود الجسمية ، بل إن مزاجك العام يكون على غير ما يرام ، وقد تكون فى ذلك الصباح عصبيا لا تتحمل مداعبة أصدقائك ، كما يكون فكرك غير متسق ، وقد لا تستطيع متابعة ما يقوله لك صديقك ، أو فهم ما تقرؤه بكتاب أو صحيفة . ولقد تجد نفسك راغبًا فى الانزواء عن الناس ، وأنك لا تصلح لإقامة علاقات سوية معهم .

ونستطيع تقسيم الحاجات الإنسانية من جهة أخرى إلى نوعين فقط وليس إلى أربعة أنواع : أولا : الحاجات الجسمية . ثانيًا : الحاجات النفسية . وهذا النوع الأخير من الحاجات يجمع فى نطاقه الحاجات الوجدانية ، والحاجات العقلية ، والحاجات الاجتماعية .

وليس هناك فى الواقع تناقض بين هذا التقسيم الثنائى وبين التقسيم الأول الرباعى . فنحن عندما نذكر علم النفس ، فإننا نجمع تحت نطاقه الأنشطة الوجدانية ، والأنشطة العقلية والأنشطة الاجتماعية التى تصدر عن الشخص أو عن إحدى الجماعات ، وجميعها أنشطة نفسية .

ويتفق هذا التقسيم الثنائى مع النظرة التقليدية إلى الإنسان من حيث إنه جسم وروح أو نفس . ولكن علم النفس لا يتناول النفس بالمفهوم الدينى ، بل يقتصر على تناول الظواهر النفسية يدرسها دون أن يتناول بالدراسة جوهرالنفس ، وهو يؤكد بصفة مستمرة التأثير المتبادل بين الجسم وبين الوظائف النفسية . فالخوف مثلا يسبب الأرق وقد يؤثر فى قدرة المعدة على هضم الطعام ، ومن جهة أخرى فإن سوء الهضم تظهر له نتائج رديئة فى حياة الشخص النفسية .

ويمكن أن يتضح هذا فيما يلى :

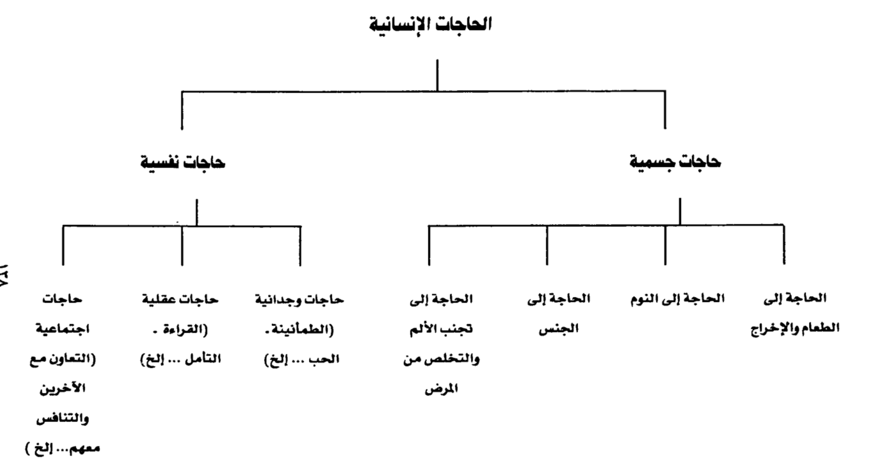
المثال الأول : سوء الهضم يؤدى إلى التوتر النفسى .

التوتر النفسى يؤدى إلى سوء الهضم .

المثال الثانى : حدوث اضطراب فى الغدد الصماء يؤدى إلى اضطرابات نفسية .

حدوث اضطرابات نفسية يؤدى إلى اضطرابات فى الغدد الصماء .

ولعلك تستطيع أن ترى بوضوح كيف يتفق التقسيم الرباعى للحاجات مع التقسيم الثنائى لها بتأمل التصنيف فى الجدول التالى .


الحاجات الإنسانية
حاجات جسمية
حاجات نفسية
الحاجة إلى الطعام والإخراج
الحاجة إلى النوم
الحاجة إلى الجنس
الحاجة إلى تجنب الألم والتخلص من المرض
حاجات وجدانية (الطمأنينة. الحب ... إلخ)
حاجات عقلية (القراءة . التأمل ... إلخ)
حاجات اجتماعية (التعاون مع الآخرين والتنافس معهم... إلخ)

ومادمنا نستطيع التأثير فى الحاجات والرغبات ، فإن جانبًا منهما على الأقل يخضع للاكتساب . والواقع أن الفصل بين الوراثة والبيئة هو فصل مفتعل ؛ ذلك أن كل ما يرثه الإنسان عن أسلافه لا يظل كما هو بل يصطبغ بالصبغة البيئية ، ويخضع إلى حد بعيد للعوامل التربوية المؤثرة فى الكائن الحى وفى سلوكه .

ولكننا مع هذا نستطيع أن نقول : إن بعض الحاجات تغلب عليها صبغة الوراثة ، وأن بعضها الآخر تغلب عليه صبغة الاكتساب . فالحاجات الجسمية بوجه عام تنحو إلى أن تكون وراثية ، بينما تنحو الحاجات النفسية فى الغالب إلى الاكتساب . وكلما تقدم العلم أمكن قهر العوامل الوراثية ، وإخضاعها للتأثير البيئى المتمثل فى قطاعين أساسيين : الطب والتربية . فكلما كان الطفل صغيرًا اقترب الطب والتربية وتعاونا فى توجيه سلوكه . وطبيعى أن الطب وحده هو الذى يتولى المسئولية بإزاء الجنين فى مراحل نموه قبل الميلاد . وبعد ذلك يأخذ فى التعاون مع التربية ، ويسير تعاونهما جنبًا لجنب فى الطفولة والمراهقة وما بعدهما.

أهمية الحاجات النفسية فى التوافق النفسى للمراهق والمراهقة :

نستطيع القول بأن الحاجات الجسمية والحاجات النفسية وما بينها جميعًا من تفاعلات تشكل بواعث السلوك . ويتوقف على الطريقة التى تجابه بها حاجات المراهق مدى استقراره النفسى ومدى توافقه مع ذاته وتلاؤمه مع المجتمع الذى يعيش فيه . وأكثر من هذا فإن الموقف الخاطئ تجاه حاجات المراهق والمراهقة يجد له صدى رديئًا فى حياتهما فى المستقبل .

ولكن التربية الصحيحة تعمد إلى معرفة حاجات المراهقين فى كل مستوى عمرى يمرون به ، بل إنها تحاول الوقوف على ما بين المراهقين من فروق فردية فيما يتعلق بحاجاتهم النفسية ، ثم تسعى للتكيف مع تلك الحاجات .

ومعنى هذا ـ إذن ـ أن التربية لا تحاول أن تخضع المراهق والمراهقة لما رسمته من أهداف وطرق ، بل إنها تعمد أيضًا إلى تكييف أهدافها وطرقها فى ضوء حاجاتهما. ذلك لأنها تعرف أن سعادة المراهق والمراهقة وشعورهما بالانسجام الداخلى والوئام مع مجتمعهما تشكل عوامل أساسية فى سلامة تربيتهما وتوجيه سلوكهما.

ولا شك أن الأم بالأسرة مسئولة أكثر من غيرها عن إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية حتى المراهقة . ولكن كثيرًا من الأمهات لا يستطعن التمييز بوضوح بين الحاجات والرغبات . فيعمدن إلى المسارعة بتلبية كل رغبة يبديها الطفل والمراهق . وهناك من جهة أخرى فئة قليلة من الأمهات يذهبن إلى عكس هذا تمامًا ، فيعمدن إلى أخذ المراهق بالحزم الزائد عن الحد ، فيحرمنه بالتالى من الحاجة إلى العطف ومن الحنان .

والواجب على المدرسة أن تبصر الأمهات بالطريق السليم فى تربية المراهقين . ولكن ليس معنى هذا أن تأثير الأم يتوقف بعد أن يتوجه المراهق إلى المدرسة الثانوية وما بعدها . فالواقع أن المراهق بحاجة إلى رعاية الأم لحاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية بصفة مستمرة ، بغير تدليل وبغير قسوة .

ولكن الأم ليست وحدها المسئولة عن رعاية الحاجات النفسية للمراهق . فالأب والإخوة والأخوات لهم أيضًا دور هام فى هذه المسئولية : وبوجه عام يجب أن يتسم الجو الأسرى بالطمأنينة ، والألفة وإبعاد الآلام والمخاوف عن المراهق .

وليس من السهل أن يراعى المدرس الحاجات النفسية للطلبة المراهقين بطريقة تلقائية وبغير توجيه له فى مرحلة إعداده . فالواقع أن البدء بالوقوف على نفسية المراهقين قبل تقديم المعلومات والخبرات إليهم ، لا يتسنى للمدرس إلا إذا وجه إلى ذلك ودُرِّب عليه .

وبغير التوجيه السليم للمدرس الجديد فى أثناء إعداده ، فإنه قد يصب همه بكليته إلى المناهج الدراسية يريد حمل تلاميذه على تحصيلها بغير مراعاة لحالتهم النفسية . ولكنه إذا ما وجه التوجيه السليم منذ بداية تمرينه على التدريس بالتربية العملية ، فإنه يوجه إذن اهتمامه الأول إلى الناحية النفسية للتلاميذ ويعمد إلى إشباع حاجاتهم ، ويعطى المواد الدراسية فى نفس الوقت ما تستحقه من اهتمام . ولا شك أن مراعاة الحاجات النفسية للمراهقين تجعلهم أكثر قابلية للتعلم المفيد والناجح ، مما لو أهملت تلك الحاجات ولم تؤخذ فى اعتبار المدرس .

كيف يؤدى إشباع حاجات التلاميذ إلى تحقيق توافقهم النفسى ؟

المثال الأول - خاص بإشباع إحدى الحاجات الجسمية :

لاحظ المدرس أن أحد الطلبة بالصف الأول الإعدادى قد بدأ فى التأخر دراسيا. لم يؤنبه . صمم على دراسة الحالة دراسة علمية . أخذ فى ملاحظة الطالب . وانتهى من ملاحظته إلى اكتشاف خطير . كان الطالب قد بدأ بصره فى الإصابة بالضعف . استدعى والده بطريق إدارة المدرسة ، وبعد أن عملت له نظارة ، أخذ مستواه التحصيلى فى التحسن حتى استرد مكانته التى كان قد فقدها .

المثال الثانى - خاص بإشباع إحدى الحاجات العقلية :

طالب بالصف الأول الإعدادى . كان مشاغبًا ويشاكس أترابه بحيث كان يضايق ويعطل سير الحصة . لاحظ مدرس الرياضيات ذلك . قرر أن يتناول هذه المشكلة بطريقة علمية . لم يضرب الطالب ، وإنما أخذ يفحص كراساته وسرعته فى حل المسائل . اكتشف الحقيقة . كان ذلك الطالب على جانب كبير من الذكاء ، كما كان سريعًا فى حل التمرينات الرياضية . كانت معاكساته لزملائه تبدأ بعد أن ينتهى من عمله . قرر المدرس أن يقدم إلى جميع طلبة الفصل تمرينات متعددة بحيث لا تظهر بطالة تعليمية بينهم . يقول المدرس بعد تجربته الجديدة ، إن ذلك المراهق المشاكس قد توقف عن مشاكسته وأنه حقق تكيفًا نفسيا واجتماعيا ممتازًا مع أقرانه الطلبة.

خطورة عدم إشباع الحاجات النفسية فى فقدان التوافق النفسى :

لا شك أن عدم مراعاة إشباع الحاجات النفسية لدى المراهقين سواء بالبيت أم بالمدرسة ، ينتهى إلى نتائج نفسية واجتماعية خطيرة فى حياة كل من المراهق والمراهقة . من أهم تلك النتائج السيئة ما يأتى :

اولا - فقدان التكامل النفسى والاجتماعى :

والتكامل النفسى هو تعاون الأجهزة النفسية بعضها مع بعض وانسجامها فى أنشطتها المتباينة . وأهم تلك الأجهزة النفسية الذكاء والخيال والذاكرة والوجدان...إلخ. أما التكامل الاجتماعى فهو انسجام الفرد ولعبه لدوره المناسب له بالجماعة التى ينتسب إليها ويقع فى نطاقها . والشخص الذى يفقد تكامله الاجتماعى لا يجيد الدور الذى تسنده إليه الجماعة ، ولا يخلص لها ولا يسعى لتحقيق أهدافها .

ثانيا - ظهور مشكلات السلوك الاخلاقى :

كالكذب والسرقة والعدوانية والنفاق .

ثالثا - ظهور بوادر الامراض النفسية :

مثل الانطواء المرضى أو الانبساط المفتعل والبعد عن الواقع ، والإصابة بالوسواس والهلوسات ... إلخ .

رابعا - التخلف الدراسى وكراهية المدرسة وما يتصل بها .

خامسا - الفشل فى التكيف مع الجو الاسرى والجو المدرسى والتبرم بالحياة .

امثلة توضح النتائج المترتبة على عدم مراعاة الحاجات النفسية للمراهقين :

اولا - مثال يتعلق بالناحية الجسمية :

طالب فى الصف الثالث الإعدادى : كان أبوه مهتما بأن يتفوق فى الشهادة الإعدادية حتى يضمن التحاقه بالمرحلة الثانوية . كان ذلك الطالب يذهب إلى السرير لينام فى وقت مبكر . كان الأب يعتقد أن السهر هو السبيل إلى النجاح بتفوق . أخذ يقدم المنبهات (الشاى والقهوة) إلى ابنه ، وكان الأب يسهر إلى ما بعد منتصف الليل كل ليلة إلى جانب ابنه . انهار الطالب ولم تسعفه صحته على مواصلة السهر . جاء الامتحان بينما كان المسكين طريحًا بإحدى المستشفيات يعالج من حالة انهيار وأنيميا نتيجة السهر والضعف .

ثانيا - مثال يتعلق بالناحية الوجدانية :

كان المدرس لا يجد سبيلا أمامه سوى العصا لسوق الطلبة بالصف الأول الإعدادى إلى الاستذكار وحل الواجبات المدرسية . طلب من تلاميذه القيام بحل عشر مسائل جبر بدفتر المجهود الشخصى بالبيت . كانت أم أحد الطلبة مريضة جدا ، ولم يكن جو الأسرة يسمح له بالاستذكار ، والأم طريحة الفراش بين أحضان الموت . ذهب الطالب فى اليوم التالى إلى المدرسة بغير أن يكون قد حل الواجب ، تذكر الواجب فى طابور الصباح . ماذا يعمل ؟ العصا فى انتظاره ، وجد الحل فى القفز من فوق سور المدرسة ، ظل جالسًا بالمنطقة المجاورة ، ولكنه منذ ذلك اليوم وهو يهرب من المدرسة وطبيعى أن الفشل كان فى انتظاره .

ثالثا ـ مثال يتعلق بالناحية العقلية :

كان أحد الطلبة متخلفًا بشكل ملحوظ فى جميع المواد وبخاصة اللغة العربية ، كان بالصف الثالث الإعدادى ، قرر ناظر المدرسة أن يبحث حالته فى ضوء حاجاته النفسية ، وبالتعاون مع المدرسين الذين يدخلون فصل ذلك الطالب وجد الآتى :

هذا الطالب كان والده موظفًا بإحدى المدن ، ثم نقل إلى المدينة الحالية ، ونقل ابنه من مدرسته بالمدينة الأولى إلى المدرسة الحالية بالمدينة الثانية ، كانت المدرسة القديمة متخلفة فى قطع مواد المنهج عن المدرسة الجديدة ، نتج عن هذا حدوث فجوات خبرية فى تحصيل الطالب ، إذن فليس من سبيل أمام هذا الطالب إلا سد تلك الفجوات الخبرية حتى يتسنى له تحقيق التوافق مع زملائه بالفصل .

رابعا ـ مثال يتعلق بالناحية الاجتماعية :

ضبط أحد الشبان متلبسًا بنشل أحد المواطنين فى الأتوبيس ، حول إلى قسم الشرطة ، دخل إصلاحية الأحداث وهناك قابلته الأخصائية الاجتماعية لدراسة حالته وتصحيح سلوكه . قرر بأن المجتمع بدءا بالمراهقة بالمدرسة الإعدادية قد فشل فى استيعاب نشاطه وتوجيهه الوجهة الاجتماعية السليمة . كان ينبغى أن تعمد المدرسة فى رأيه إلى إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية لديه حتى لا يحدث الانحراف فى السلوك . ويؤكد هذا الحدث بأن الأساس فى مشكلته نفسى اجتماعى ، وأن سوء سلوكه ناجم عن حرمانه من عطف الكبار وعدم رعايتهم له وبخاصة المدرسون أيام كان طالبًا بالمدرسة الإعدادية .

طرق إشباع الحاجات النفسية لدى المراهقين :

أولا ـ يجب تشجيع المراهق على أن يعبر عن حاجاته وألا يعمد إلى تخبئتها عنا، ولقد يكون هذا التعبير وحده كافيًا فى حد ذاته لإشباع بعض الحاجات . من ذلك مثلا التعبير عن أفكاره وآرائه حول بعض الموضوعات .

ثانيا ـ صرف الطاقات النفسية لدى المراهق والمراهقة فى وجهات اجتماعية مرغوبة .

ثالثا ـ تدريب المراهق والمراهقة على قمع بعض الرغبات ؛ لأن قمع تلك الرغبات قد يكون فى حد ذاته حاجة نفسية .

رابعا ـ عدم الاستعانة فى تربية المراهق بالتخويف بغير تبصر ، بل توظيف الخوف بحكمة لصالحه .

خامسا ـ العطف على المراهق والمراهقة بغير أن يستحيل العطف عليهما تدليلا لهما.

سادسا ـ استغلال الخامات فى الأشغال اليدوية والرسم لإشباع بعض الحاجات النفسية لدى كل من المراهق والمراهقة .

سابعا ـ يعتبر اللعب الفردى والجماعى فرصة عظيمة يفيد منها المراهق والمراهقة فى إشباع حاجاتهما النفسية والاجتماعية .

التفاعل الاجتماعى للمراهق والمراهقة :

مادام أن الشخص مندرجا فى وسط اجتماعى ما ، فلابد له أنه يتخذ منه موقفًا ما، وقد يكون الموقف المتخذ متسمًا بالانسجام مع ما ينحو إليه ذلك الوسط الاجتماعى ، كما قد يكون متسما بالنفور والانشقاق والعصيان . وسواء اتخذ الفرد الموقف الأول ـ وهو ما نسميه : بالموقف الإيجابى ـ أم اتخذ الموقف الثانى ـ وهو ما نسميه : بالموقف السلبى ـ فمما لا شك فيه ، أنه نوع من التفاعل بين الفرد وبين المجتمع الذى يوجد الشخص به .

فالمراهق الذى يراعى القواعد الأخلاقية التى يعلمها له الكبار ، يكون قد مارس تفاعلا اجتماعيا إيجابيا ، بينما يكون المراهق الذى يخرج على تلك القواعد ـ فيسرق مثلا ـ قد مارس تفاعلا اجتماعيا سلبيا .

وإذا نحن تناولنا موقف المراهق الذى يوائم بين سلوكه وبين المطالب الأخلاقية للمجتمع ، وتناولنا أيضًا موقف المراهق الآخر الذى يشق عصا الطاعة خلسة على تلك المطالب الأخلاقية ، فإننا سنجد أن كلا المراهقين يرغبان فى تحقيق التكيف والانسجام مع الوسط الاجتماعى . ولكننا نقول : إن المراهق الأول قد استطاع أن ينجح فى تحقيق التكيف بينما يكون المراهق الثانى قد فشل فى تحقيق ذلك .

فالمراهق الثانى يعتقد أنه استطاع بالطريقة التى يسلك وفقها ، أن يقف موقفًا من المجتمع يجعله فى موقع مرموق . إنه يظن أن الناس سوف يلاحظون تصرفه الخاطئ ، وأنهم سوف لا يسخطون عليه ، بل سينسجمون معه ؛ لأنه لم يعلن عصيانه للقواعد الأخلاقية ، وحتى عندما يضبط متلبسًا بالسرقة ، فإنه سيحاول درء التهمة عن نفسه ، ويؤكد براءته ونزاهته .

وعندما يكون الوسط المحيط بالمراهق غير مناسب لإشباع حاجاته الجسمية أو النفسية ، فإنه يأخذ فى الإحساس بالحرمان أو بالخطر أو بعدم الانتماء أو بالنبذ ، أو بأى إحساس من تلك الأحاسيس التى تبدأ فى التضخم والاستفحال ، والتى تنعكس بالتالى على سلوك المراهق وتصرفاته ومواقفه من الآخرين . والواقع أن المراهق لا يستطيع أن يقف مكتوف اليدين بإزاء ما يجده من تقصير الوسط الاجتماعى فى حقه . لابد له من اتخاذ موقف . والموقف الذى يتخذه ـ أو الدور الذى يلعبه ـ هو موقف أو دور تعويضى : لابد أن يعوض الحرمان الذى فقده أو يؤكد انتصاره على الخطر الذى شعر بأنه محدق به ، أو لابد له من البحث عن جماعة أخرى جديدة ينتمى إليها تكون مستعدة لتقبله .

فالمراهق الذى ينشأ فى أسرة تفضل أخاه عليه ، قد يبحث عن العطف والرعاية لدى أسرة الجيران . وقد يبدى لأسرته الكراهية وتفضيل أسرة الجيران عليها . وطبيعى أن يترتب على هذا موقف جديد من جانب أسرته ، وهو تحديها له ، والزيادة فى الإهمال وعدم الاكتراث . ولكنه لا يطمئن إلى الحل الذى لجأ إليه ، فيعمد إلى السرقة من جيب أبيه ، لا لأنه بحاجة إلى النقود التى يسرقها ، بل لكى يجذب انتباه الأب إليه وحتى يبدى الاهتمام له . ولكن بدلا من أن يفعل الأب ذلك ويبدى اهتمامه لابنه المراهق ، فإنه يأخذ فى ضربه أو حتى قد يطرده من البيت . وهكذا نجد أن سلسلة من التكيفات الخاطئة والشاذة تتوالى فى حياة ذلك المراهق ، وأول حلقة فيها الحرمان من العطف وتفضيل الأخ الآخر أو الأخت الأخرى عليه.

ومن جهة أخرى نجد أن المراهق الذى ينشأ فى وسط اجتماعى يرعى حاجاته الجسمية والنفسية ، يتفاعل معه تفاعلا إيجابيا ، ويتكيف لمطالبه التكيف السليم . خذ مثالا لذلك : المراهق الذى يترعرع فى رعاية والديه ولا يجد فى معاملتهما له أية غضاضة أو قسوة . إنه سينمو بفضل الحب الذى يتلقاه منهما ، وسينشأ على حبهما والاستجابة لتوجيهاتهما .

ولكن المراهق أيضًا بحاجة إلى من يساعده على إلجام رغباته الجامحة ، وهو ينتظر من والديه أن يكونا حازمين معه ، ولا يتركانه على هواه . و هذا قد يبدو مناقضًا للواقع ، ولكنه الحقيقة . فالمراهق يحس إلى جانب رغباته ، بالرضا والاتزان عندما يجد الوالدين والكبار يعمدون إلى إلجام نزواته ، وتقديم القدر المناسب من العطف الذى إذا زاد عن حده المعقول صار تدليلا ، وإذا نقص عن ذلك الحد صار حرمانًا من العطف .

ولا شك أن أول وأهم وسط اجتماعى يتفاعل المراهق معه هو أفراد أسرته . والواقع أن كل أسرة تشكل وحدة بيولوچية واجتماعية لها طابع معين تتسم به وتتباين فيه عن غيرها من الأسر . ولكننا نستطيع أن نميز بوجه عام بين أسرة ترعى مطالب وحاجات المراهق وأسرة أخرى لا ترعى ذلك ، كما نستطيع أن نميز بين أسرة يشيع الوئام بين أفرادها ، وأسرة ينشب الخلاف المستمر بين أفرادها . ثم نستطيع أن نميز بين أسرة يشيع فيها التكافل والتضحية ، وأسرة تستبد الأنانية بأفرادها ويتسابق كل واحد منهم للاستئثار بكل شىء دون الآخرين .

وطبيعى أن المراهق الذى يعيش فى نطاق أسرة ترعى مطالبه وحاجاته ، وقد ساد الوئام والمحبة بين أفرادها ، ويضحى كل فرد من أفرادها لأجل الآخرين ، إنما يختلف فى موقفه عن المراهق الذى يجد نفسه فى أسرة لا ترعى حاجاته ، ويشيع الكره بين أفرادها ، وتسيطر الأنانية على قلوبهم . إن المراهق الأول يتفاعل مع الجو النقى الذى يسود أسرته ، بينما يستنشق المراهق الثانى الجو الفاسد الذى يضرب بأطنابه في ربوع أسرته .

ماذا تنتظر من سلوك المراهق الأول ؟ وماذا تتوقع فى سلوك المراهق الثانى ؟ لاشك أن كلا المراهقين (أو المراهقتين) يتفاعلان مع الجو الأسرى الذى يترعرعان فى نطاقه . ولكن تفاعل المراهق الأول سوف ينتهى إلى بلورة شخصية مطمئنة غير جائعة وجدانيا . ولا شك أنه سينشأ على حب الآخرين وعلى رعاية حقوقهم وعلى التضحية من أجلهم : أما المراهق الثانى فالمتوقع أن شخصيته ستتبلور على عكس هذا ، فيحس بالحرمان يعتمل فى نفسيته ، كما يستشعر الكراهية والبغض تجاه الآخرين ، بل سيكون متحفزًا للشجار معهم والتربص بهم ، كما سيعمد إلى اقتناص كل فرصة للاستئثار بالمصالح والملذات لنفسه .

أهمية الأسرة فى التفاعل الاجتماعى للمراهق والمراهقة :

لا شك أن الأمم فى جميع الحالات - باستثناء حالات نادرة - تعتبر الأم هى المصدر الأساسى لإشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية فى السنوات الأولى من عمره . وعلى الرغم من وسائل الإرضاع الصناعية المنتشرة ، فان الأطباء وعلماء الصحة النفسية ، يحذرون الأمهات من حرمان الطفل من ثدى الأم ، ومن إبعاده عن حضنها ، ومن الاعتماد على الآخرين فى تغذيته وتغيير ملابسه . إنهم يؤكدون أن عمليتى الرضاعة وتغيير الملابس ليستا مجرد عمليتين لتقديم الطعام وتوفير النظافة للطفل . إنهما فوق ذلك عمليتان تتضمنان مغزى وجـدانيًا هامًا . فالطفل فى أثناء تناوله لثدى أمه ، وفى أثناء تغييرها لملابسه يتلقى منها جرعة من الحنان لا يستطيع الاستغناء عنها . إن ذلك الحنان يعمل على استمرار نموه النفسى ، وعلى تسليحه بالثقة والانتماء إلى الأسرة استعدادًا لمجابهة العالم الخارجى ، والانتقال من دائرة ضيقة - هى دائرة الأسرة - إلى دوائر أوسع .

وواضح أن الطفل الذى ينشأ محرومًا من عطف وحنان الأم لا يستطيع أن ينمو وجدانيا فى المراهقة . إنه يظل يحس الحرمان والحاجة إلى العطف ؛ ولقد نجد رجالا ونساء وقد ظلوا برغم تقدم السن بهم يحسون بالعطش الوجدانى ، وذلك لأنهم لم يجدوا الصدر العطوف فى طفولتهم . إن حرمانهم الوجدانى فى الطفولة ما يزال يلاحقهم حتى بعد أن صاروا هم أنفسهم آباء وأمهات مسئولين عن رعاية غيرهم من أطفال . وليس يخاف أن الأب أو الأم من هذا النوع المحروم لا يستطيع أن يفى بمطالب الأبوة أو مطالب الأمومة على خير وجه .

وعلى الرغم من أن الأم تفوق الأب فى تأثيرها فى الطفل وفى تحمل مسئولية أكبر فى سد حاجاته الجسمية والنفسية وبخاصة فى المراحل الأولى من حياته ، فإن الأب صار فى الوقت الحديث على جانب أكبر من المسئولية عن رعاية حاجات أطفاله الصغار مما كان عليه الوضع قبل اشتغال المرأة فى الحياة العامة على هذا النطاق الواسع . فاشتغال الأم خارج المنزل لمدة طويلة ، وتحملها أعباء أخرى لم تكن تتحملها قبلا ، جعلها تطالب الرجل بمشاركتها فى بعض المهام المتعلقة برعاية الطفل . لقد صار الأب الحديث يهتم بتغذية الطفل وبملابسه ورعايته فى النوم وفى اللعب .

وطبيعى أن هذه المشاركة المتزايدة من جانب الأب صار لها صدى فى تعزيز موقف الأب تجاه الطفل الصغير ثم تجاهه فى المراهقة . وفى الوقت نفسه فإن تعلق الطفل الشديد بالأم قد خفت شدته ، وصار وجدانه غير مركز عليها وحدها كما كان يحدث فى كثير من الأحيان بالنسبة لأطفال الأجيال الماضية .

ومعنى هذا فى الواقع أن الأب صار عاملا مؤثرًا بدرجة كبيرة فى الطفل وفى المراهق أكثر مما كان يحدث قبلا . لقد صار التفاعل الاجتماعى للمراهق والمراهقة متجهًا أيضًا إلى الأب ، وصار الدور الذى يلعبه الأب فى رعاية أبنائه ليس منصبًا على الإنفاق وحده ، بل انتشر إلى نواح أخرى وجدانية واجتماعية . وهذا معناه أيضًا : اتساع رقعة التفاعل الاجتماعى للمراهق الحديث . ناهيك عن تأثير المدرسة الذى سنعرض له فيما بعد .

ويقرر لنا علماء النفس أن تأثير الإخوة والأخوات فى الطفل والمراهق ليس تأثيرا بسيطا يمكن إغفاله ، بل إنه تأثير بعيد المدى ، وله صدى فى حالتهما النفسية وفى تعاملهما مع الآخرين . والواقع أن الإخوة والأخوات يمثلون أفراد المجتمع الذى ينشأ المراهق بين ربوعه . ذلك المجتمع هو مجتمع الأقران .

والمعتاد أن يكون الإخوة والأخوات فى سن متقاربة مع سن الطفل . وهذا يجعل الحاجات متشابهة والاهتمامات متقاربة نسبيًا . ومعني هذا بتعبير آخر أن العلاقة بالإخوة والأخوات يسودها بالتأكيد الاتجاه إلى التعاون والاتجاه أيضًا إلى التنافس . والتعاون والتنافس يمثلان قطبى الاهتمام فى حياة المراهق . فهو إذا تعلم كيف يتعاون التعاون الصحيح ، وكيف يتنافس التنافس الصحيح فى مجتمع الإخوة والأخوات ، فإنه سيكون كفؤا للتعاون والتنافس الصحيح فى مجتمع الأقران بالمدرسة ، بل وبالمجتمع طوال حياته .

والواقع أن الطفل الوحيد كثيرًا ما يحس بأن أسرته ناقصة وبحاجة إلى ركن هام يجب أن يتوافر لها حتى تصلح لأن تكون مكانا مناسبًا له للنمو الوجدانى والاجتماعى . ومن ثم فإن والدى الطفل الوحيد يعمدان إلى توفير ذلك الركن الناقص باللجوء إلى المدرسة أو النادى أو الأسر التي يقومون بزيارتها من حين لآخر.

أثر وسائل الإعلام والثقافة بالأسرة الحديثة
فى التفاعل الاجتماعى للطفل :

على الرغم من قلة عدد أفراد الأسرة الحديثة وضيق المساحة التى تحتلها ، فمما لا شك فيه أن آفاقها أرحب بكثير من الآفاق التى كانت الأسرة القديمة تتفتح عليها . فاليوم نجد أن الراديو والتلفزيون قد زحفا إلى غالبية الأسر بحيث صارت الأسرة بجميع أفرادها متفتحة على العالم بأسره .

وفى الوقت نفسه ، فإن وسائل نشر الكتاب والجريدة والمجلة على نطاق واسع قد صارت متوافرة بثمن معقول . ومن ثم فإن الكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة والصورة المتحركة صارت تغزو الأسرة . وصار الراديو والتليفزيون والجريدة والمجلة والكتاب من الأدوات الثقافية والإعلامية التى لا غنى لأية أسرة عنها فى الوقت الحاضر .

والواقع أن تلك الوسائل الإعلامية والثقافية تزيد من حجم التفاعل الاجتماعى الذى يضطلع به الطفل فى نطاق الأسرة ومن شدته . وبعد أن كان تأثير الأسرة مقتصرًا على المؤثرات التى تصدر عنها ، فإنه صار مجتلبا من خارج نطاقها ، وصار الطفل والمراهق يتلقيان فى نطاق أسرتهما مثيرات وخبرات كثيرة وغزيرة ومتنوعة ، ولم تعد أسرتهما مغلقة على ما تجهزه لهما من مؤثرات . ولذا فإنك تجد المراهق الحديث أغزر معلومات وعلى جانب أكبر من حيث اتساع الأفق ، بل إنك تجده أكثر من المراهق القديم استقلالا فى التفكير ، واستقلالا فى الوجدان ، وأكثر ارتباطًا بالمجتمع الخارجى الأكبر من مجتمع أسرته الضيق ، وذلك بفضل الانفتاح الفكرى والإعلامى والثقافى الذى توفره الوسائل الإعلامية والثقافية الحديثة للأسرة .

الجو الروحى بالأسرة والقيم الدينية
وأثرها فى التفاعل الاجتماعى للطفل :

لا شك أن تمسك الأسرة بالدين ومراعاتها لشرائعه وأخلاقياته وقيمه لمما ينعكس أثره على سلوك المراهقين ووجدانهم . فالمراهق الذى ينشأ فى أسرة متدينة يتفاعل مع الجو الروحى الذى يشيع بين أرجائها ، ولا يكون سلوكه مجرد تقليد لما يراه ويصل إلى سمعه ، وإنما يكون متفاعلا بصميم نفسه مع التعاليم الدينية والسلوك الدينى والقيم الدينية التى تحيط به وتغلف كيانه .

أما المراهق الذى ينشأ فى أسرة غير عابئة بالمسائل الدينية ، ولا تأخذ القيم الدينية فى اعتبارها ، فإنه يتفاعل أيضًا مع ذلك الجو ومع اللامبالاة الدينية . ولا شك أيضًا أن هذا التفاعل ينعكس بدوره على سلوك المراهق وعلى آرائه وعواطفه ، فيأتى سلوكه وتصرفاته وأقواله بعيدة عن الاتجاه الروحى وتكون مصطبغة بعدم الاكتراث بالمسائل الدينية .

التعاون بين الأسرة والمدرسة وأثره فى التفاعل الاجتماعى للمراهق :

إن التعاون بين الأسرة والمدرسة مسألة ضرورية ؛ ذلك أن الواجب أن يتحقق الاتساق والانسجام بين ما تقوم به الأسرة وتسلك وفقه ، وبين ما تقوم به المدرسة وتسلك وفقه . ولا يتأتى الاتساق والانسجام بين الأسرة والمدرسة إلا إذا تم التعاون فيما بينهما على سياسة واحدة يمارسانها بإزاء المراهق . فالواقع أن الأسرة إذا كانت من النوع الذى يدلل المراهق ، بينما كانت المدرسة من النوع الذى يعمد إلى مراعاة الحزم مع الطلبة ، فإن المراهق سيجد نفسه بإزاء نوعين متناقضين من المعاملة ، فيأخذ فى الإحساس بخطإ الأسرة أو المدرسة ، أو بخطئهما معا ، كما أنه قد يحس بالتنافس الوجدانى يعتمل فى نفسه بسبب ما يلقاه من معاملة متناقضة .

ويتمثل التعاون بين الأسرة والمدرسة فى مجلس الآباء والمعلمين (مجلس إدارة المدرسة حاليا) . والواجب الأساسى المنوط بذلك المجلس هو أن يضع سياسة متسقة فى معاملة المراهقين ، وأن يقوم بتبصير كل من المدرسين والآباء والأمهات بالخط الذى اتفق عليه فى معاملة الأبناء . أضف إلى هذا ما يضطلع به هذا المجلس من طرح للمشكلات السلوكية والاجتماعية التى تجابه الطلبة بالمدرسة والأسرة ، ومناقشتها ثم التوصل بإزائها إلى الحلول الناجعة الحاسمة .

أثر المدرسين فى التفاعل الاجتماعى للمراهق :

المفروض فى المدرس أن يكون الموجه الحقيقى للتفاعل الاجتماعى للمراهقين ؛ ذلك أن وظيفة المدرس لم تعد مجرد حشد المعلومات فى عقل المراهق ، بل إن مهمته الأساسية هى درج المراهق بالمجتمع ، والعمل على تحقيق تكيفه به .

ولكى يحقق للمدرسين حمل المراهق على التفاعل الاجتماعى السليم ، فيجب عليهم اتخاذ الخطوات الآتية :

١ - خلق مواقف اجتماعية متجددة وتدريب المراهقين عليها . فكلما كان المراهق متخذًا موقفًا اجتماعيا إيجابيا ، فإنه يكون أكثر قدرة على التكيف له وصبغ سلوكه بمقتضاه . خذ مثالا لذلك : مدرس انتهز فرصة قيام المدرسة بإحدى الحفلات فشكل جماعة من الطلبة مسئولة عن استقبال وحفظ النظام . إن إحساس المراهق بهذه المسئولية وهو يضطلع بها ، يجعله أكثر إحساسًا بقيمة النظام ، فيراعيه فى مواقف حياته الاجتماعية باستمرار ، وذلك لأنه كان مسئولا عنه فى ذلك الموقف ، وكان يلعب بإزائه دورًا إيجابيًا .

٢ - تشجيع العلاقات الاجتماعية بين المراهقين وتدريبهم على الأخذ والعطاء . فالواقع أن المدرس الذى يدأب على جعل الطلبة فى موقف المستمعين والخاضعين أو المتلقين للأوامر بغير أن يكونوا هم أنفسهم صانعى الموقف ، إنما يكون بموقفه هذا عائقًا أمام تفاعلهم الاجتماعى . أما المدرس الذى يتيح الفرصة أمام طلبته لتبادل الأفكار والخبرات ، والذى يخلق مواقف يسودها التعاون أحيانا والتنافس أحيانا أخرى ، فإنه يستطيع تحقيق تفاعلهم الاجتماعى على نحو سليم .

٣ - المحاولة المستمرة من جانب المعلم لحفز طلبته على تحويل العلم إلى عمل ، والنظرية إلى تطبيق وممارسة ؛ ذلك أن المدرس الذى يقصر جل همه على الأفكار والألفاظ يحفظها لطلبته أو يدربهم على العمليات العقلية فقط ، إنما يحرمهم بذلك من جانب هام هو الجانب العملى . والتدريب الحقيقى للطلبة ينبغي أن يتركز حول تحويل الأفكار إلى ممارسة وتطبيقات حتى يأخذ العلم الصيغة الاجتماعية العملية .

أثر زملاء المدرسة فى التفاعل الاجتماعى للمراهق والمراهقة :

يعتبر مجتمع الأتراب مجالا مناسبًا لحدوث التفاعل الاجتماعى . ولكن الواجب أن يهتم المدرسون وغيرهم من المسئولين عن تربية الناشئة بتوجيه التفاعل الاجتماعي للمراهق الوجهة السليمة . ولكن فى الوقت نفسه ينبغى ألا يزيد التدخل من جانب الكبار بحيث يفقد التفاعل الاجتماعى حيويته وتلقائيته .

وفيما يلى عرض لبعض المجالات التى يتم فى نطاقها التفاعل الاجتماعى بين الأقران :

١ ـ **حفلات السمر** : ـ وفى هذا النوع من الحفلات تنضم مجموعة فى حدود ثلاثين أو خمسين شخصًا ، ويجتمعون فى شكل دائرى ، ويكون برنامج الحفل بحيث يسمح بالتلقائية والتعبير الحر ، ويعد كل فرد شيئًا يدخل به السرور على رفاقه ، وقد يشترك شخصان أو أكثر فى برنامج واحد . ويكون موقف المدرس هو موقف المراقب عن بعد ، والموجه لتصرفات المراهقين ، والمصحح برفق لأخطائهم أو مزالقهم .

٢ ـ **المسرحيات** : ـ وفى هذا المضمار ، يقوم المراهقون بحفظ أدوارهم وتعلم وسائل الإلقاء والتعبير السليمة ، وفى المسرحية يستطيع المراهق اكتشاف مواهبه والوقوف على تأثير ما يصدر عنه من كلام وحركات فى نفوس زملائه ومدرسيه.

٣ ـ **الرقص التوقيعى** : ـ يجمع الإيقاع الأفراد وبخاصة الأطفال والمراهقين حول محاور حركية رتيبة تشيع الاتساق والانسجام فى نفوسهم . والواقع أن القبائل البدائية قد اكتشفت ما للرقص التوقيعى البسيط من أثر فعال فى جمع الصفوف وفى التفاعل الاجتماعى بين أفراد الجوقة الراقصة ، فأخذت تفتنُّ فى تلك الرقصات وتنوعها وتتطور بها . والمراهقون يجب أيضًا أن يعتنى برقصهم الإيقاعى ؛ لأنه فرصة مواتية لحدوث التفاعل الاجتماعى بينهم .

٤ ـ **الأناشيد** : ـ ولا تقل الأناشيد الجماعية أهمية فى إحداث التفاعل الاجتماعى ؛ ذلك أن الطفل وهو مشترك مع رفاقه فى النشيد ، إنما يحس بروح الجماعة ، فيفنى بالنغم فيها ويستشعر القوة تملأ جنباته نتيجة اتحاد صوته ونغمه مع أصوات ونغمات رفاقه .

٥ ـ **الرحلات والجولات** : ـ وفى الرحلات التى يتجه فيها الطلبة تحت إشراف مدرسيهم إلى مناطق بعيدة . وفى الجولات التى يتجهون فيها إلى معالم البيئة المحيطة بالمدرسة تقوم علاقات اجتماعية بين الطلبة ، كما أنهم يتفهمون بعضهم بعضًا ، ويتم التفاعل الاجتماعى خلالها فيما بينهم ، ويكون لها الأثر الكبير فى سلوكهم ، وفى تكوين شخصياتهم الاجتماعية .

مشكلات التكيف النفسى والاجتماعى :

اولاً ـ مشكلة ضعف الثقة بالنفس :

من الطبيعى أن يحس المراهق والمراهقة فى بعض المواقف بضعف الثقة بالنفس . ولكن يزداد لدى بعض المراهقين هذا الإحساس الممض بحيث يفقدهم القدرة على التكيف النفسى والاجتماعى .

ـ وتتخذ هذه المشكلة أعراضًا متباينة نعرض لها فيما يلى : -

١ ـ **التــردد** : ـ فبعض المراهقين ـ وقد فقدوا ثقتهم بالنفس ـ لا يبدأون أى عمل حتى يسارعوا إلى تركه للبدء فى عمل جديد . ولكن العمل الجديد الذى يبدأون فيه لا يكون أحسن حظا من العمل السابق . فهم ما يكادون يبدأون فيه حتى يتركوه هو أيضًا . ويظهر التردد جليا فى الكلام والكتابة ؛ فالمراهق المتردد يصاب غالبًا باللجلجة كما أن كتابته تكون متسمة بالتذبذب . فهو ما يكاد يكتب كلمة حتى يقوم بكشطها ، وفيما يلى مثالان حول هاتين الظاهرتين: -

مثال عن اللجلجة : سعاد طالبة بالصف الأول الإعدادى . لاحظت أمها أنها بدأت تتلجلج ، وأن هذه الظاهرة الكلامية قد أخذت تستفحل . توجهت الأم إلى ناظرة المدرسة ، وقابلت مدرسيها . وبعد تتبع حالة تلك المراهقة قررت رائدة الفصل أنها بحاجة إلى مزيد من الثقة بالنفس ، ووضعت خطة للحل . اتفقت المدرسة مع الأم على بث الثقة بالنفس فى قلب الابنة والإغضاء عن بعض أخطائها . حذرت المدرسة الأم أيضًا من توجيه الملاحظات لسعاد بإزاء ما يبدو فى كلامها من لجلجة، قالت إن حل المشكلة لا يأتى بالطريق المباشر ، أو بمعالجة الأعراض ، بل بمعالجة صلب المشكلة وصلب المشكلة هو فقدان الثقة بالنفس وليس اللجلجة . فاللجلجة هى عَرَض المشكلة ونتيجتها . لم يمر سوى شهر واحد ، حتى كانت تلك المراهقة قد استرجعت ثقتها بالنفس وصارت تتسابق فى التعبير عن نفسها بالفصل أمام زملائها ومدرستها .

٢ - **مثال عن الكشط** : - سامى تلميذ بالصف الثانى الإعدادى . اعتبر ضمن التلاميذ المتخلفين دراسيا بسبب رسوبه فى اللغة العربية . عرض ناظر المدرسة مشكلته على مجلس الآباء والمعلمين وكان أبوه ضمن أعضاء ذلك المجلس، قرر رائد الفصل أن سامى ليس غبيا ، وأن مشكلته تتركز فى نقص ثقته بالنفس ، اتفق الجميع على تناول جوهر المشكلة وليس نتيجتها . وجوهر المشكلة هو ضعف الثقة بالنفس ، ونتيجتها : هو الكشط والتردد فى الكتابة وفى التعبير عن الأفكار. بدأ العلاج وذلك بعدم تأنيب سامى على خطه الردىء ، بل ببث الثقة فى نفسه وتعزيز مكانته بالأسرة وبين زملائه بالفصل ، بدأت ثمار هذه الخطة فى الظهور بعد أسبوع واحد . وما أن مر شهر واحد ، حتى كان مدرسوه مزهوين بخطه وبقدرته على التعبير عن أفكاره بكلام متسق وبخط واضح لا يشوبه أى تردد .

٣ - **الغش فى الامتحان** : - بعض المراهقين يلجأون إلى الغش فى الامتحانات، ويكون سلوكهم هذا تعبيرًا عن نقص الثقة فى النفس . إنهم فى استذكارهم لدروسهم يؤمنون إيمانا قاطعًا ومطلقًا بالكلمة الواردة بالكتاب المقرر . وليس فى هذا غضاضة فى حد ذاته . ولكن الغضاضة فى إحساسهم بالعجز عن الاستقلال وعن التعبير بأسلوبهم وعما اكتسبوه بالاستذكار سواء بالكتاب المقرر أم بغيره من كتب خارجية ومجلات . إن إحساسهم بالعجز عن التعبير الذاتى ، يحملهم على اللجوء إلى نقل ما ورد بالكتاب المقرر فى الامتحان/ ويتضح هذا التفسير النفسى للغش فى المثال التالى :

عزيز يغش فى الامتحان : قرر ناظر إحدى المدارس الإعدادية دراسة ظاهرة الغش بمدرسته . لقد وجد أن هذه الظاهرة متفشية بها . كان أمامه طريقان : الطريق الأول : أن يضرب بعصا من حديد على كل حالة غش تضبط ، والطريق الثانى : أن يدرس الحالات المضبوطة بطريقة علمية . طلب من مدرس أحد فصول الصف الأول التعاون معه فى دراسة حالة أحد التلاميذ الدائبين على الغش فى الامتحان . ووقع الاختيار علي الطالب عزيز الذى ضبط وهو ينقل من كتاب اللغة العربية المقرر إجابة سؤال ورد بالاختبار الذى كانت المدرسة تجريه فى نهاية شهر

ديسمبر من ذلك العام الدراسى ، وكان عزيز يرتجف لدى دخوله حجرة الناظر . ولكن خوفه بدأ يتزايل عنه عندما أخذ الناظر يسأله عن أحواله . وبدراسة حالته ، اكتشف الناظر أن والده كان يضربه ضربا مبرحا إذا هو حاول تقديم إجابة عن أى سؤال فى اللغة العربية أو فى غيرها من المواد المقررة ، لم يرد نصه بالكتاب المقرر . استدعى الناظر والد التلميذ ، وبدأ بالتعاون مع المدرسين فى وضع خطة جديدة ، تتلخص فى تشجيع الأب لابنه على التعبير عن نفسه بأسلوبه وبطريقته الخاصة ، بغير أن يوبخ أو يضرب إذا خانه الحظ فى التعبير الصحيح ، أو فى إصابة الإجابة المطلوبة . ولم يمر سوى شهر ، حتى قدم المدرسون تقريرهم إلى الناظر بأن عزيز لم يعد يلجأ للغش فى الاختبارات ، بل صار معتمدًا على نفسه ، ويميل إلى التعبير عن فكره بطريقته الخاصة .

ثانيا - *النزعة العدوانية* :

من المشكلات الشائعة بين المراهقين : النزعة إلى العدوان على الآخرين من زملائهم وعلى الرغم من أن نزعة العدوان تشكل مشكلة واحدة ، فإن أعراضها تختلف من مراهق لآخر من المراهقين العدوانيين ، وفيما يلى بعض الأمثلة للأعراض العدوانية المتباينة :

ثُريا تعتدى على زميلاتها بالضرب والشتم :

أخذ آباء وأمهات الطالبات بأحد فصول الصف الأول الإعدادى فى الإلحاح بالشكوى من أن طالبة من طالبات الفصل الذى توجد به بناتهم تعتدى عليهن بشراسة بالضرب والعض ، وأنها لا تخشى من العقوبات التى يمكن أن تترتب على سلوكها من جانب المدرسات أو من جانب ناظرة المدرسة . عرضت المشكلة على مجلس الآباء والمعلمين ، فتقرر دراسة المشكلة دراسة نفسية علمية ، وعدم اللجوء إلى العقوبات مادامت الطالبة العدوانية قد أبدت عدم اكتراث بإزاء التهديد بتوقيعها . وفعلا قامت رائدة الفصل بتقصى حالة الطالبة المعتدية ، وبدأت بأسرتها وانتهت من دراستها إلى أن والدى المراهقة أخذا يبديان التفضيل والحنان لأختها

الأصغر منها . لقد كان ميلاد تلك الأخت الأصغر بمثابة صدمة هزت مكانة الابنة الكبرى ثُريا ، إذ بدأ الاهتمام يوجه إلى المولودة الجديدة ، ولم يعد من نصيبها سوى الإهمال والتوبيخ على كل تصرف يصدر عنها لا يعجب والديها . اكتشفت المدرسة سر عدوانية ثُريا . لقد اتخذت من الضرب والعض ذريعة تنتقم بهما من كل البنات ، وقد أخذت تتمثل فيهن شخصية أختها الصغرى . وبعد الدراسة وضعت الخطة لحل المشكلة . لابد من الاهتمام بثريا والعطف عليها بطرق مختلفة . وفعلا تعاونت أسرة ثريا مع المدرسة وأخذت الأسرة والمدرسة جميعًا فى إبداء العطف للمراهقة العدوانية . لم يمر سوى أسبوعين حتى صارت ثريا بنتًا عادية ، ولم تعد تعتدى على زميلاتها ، بل إنها أخذت تبدى أيضًا العطف لأختها الأصغر منها ، بعد أن تأكدت من حب وعطف والديها ومدرستها عليها .

نادية متلبسة بالسرقة :

ضبطت طالبة بالصف الثالث الإعدادى وهى تخبئ كراس زميلتها عواطف فى حقيبتها . لم تثر المدرسة اللبقة ضجة حول الحادث ، ورأت أن تعرض المسألة فى سرية على ناظرة المدرسة . خشيت الناظرة أن تخبر أسرة الطالبة بالموضوع ، فلا تحسن معالجة الموقف بلباقة . فماذا تعمل ؟ يجب إذن بحث الحالة بغير تدخل من جانب الأسرة ، وضعت خطة لذلك . كانت أول مرحلة فى الخطة الموضوعة هى دراسة الجو الأسرى الذى تعيش فيه البنت ، ثم تفسير ظاهرة السرقة فى ضوء ما تسفر عنه دراسة الحالة . ولقد حذرت الناظرة من التعجل فى التفسير ، كما حذرت المدرسات والمدرسين من أن يغيروا نظرتهم إلى الطالبة ، اعتقادًا بأنها مصابة بداء السرقة المرضية ، أو أن سلوكها هذا يدل على انحراف خلقى . لابد أولا من دراسة الحالة ، وبعد هذا يأتى التفسير ، وحذار من التفسير قبل الوقوف على تفاصيل الجو الاجتماعى الذى تعيش فيه المراهقة . ولقد تكشفت الدراسة عن الآتى : الأم مطلقة ، والبنت تعيش مع زوج أمها بعد أن رفض الأب ضمها إليه . أنجبت الأم طفلة جديدة من زوجها الجديد . طبيعى أن يكون عطف زوج الأم على ابنته أقوى من عطفه على ابنة زوجته . أحست نادية بالفارق فى المعاملة . كانت ترغب فى

جذب الأنظار إليها ؛ لأنها تشعر بأنها كم مهمل فى البيت وفى المدرسة . كانت الوسيلة الوحيدة لجذب الانتباه هى أن تأخذ كراس زميلتها وتخبئه . إذن لم يكن قصدها هو الانتفاع بالكراس المغتصب ، بل كان القصد هو العدوان على ممتلكات الآخرين لجذب أنظار الكبار ، وإبداء الاهتمام - أى اهتمام - بها . طبيعى أن الحل كان واضحًا . أخذت المدرسة فى إبداء العطف والاهتمام بالطالبة . ولم يظهر فى سلوكها بعد ذلك مثل هذا الانحراف ، وصارت تحافظ على ممتلكات زميلاتها .

سعد يلفق التهم لزملائه :

أما سعد وهو طالب بالصف الثانى الإعدادى فإنه كثيرًا ما يلفق التهم لزملائه وهم أبرياء منها . وكان يرتكب المخالفات فى بعض الأحيان وينسبها إلى أحد زملائه بسرقة مبلغ خمسة وعشرين قرشًا منه . وبالاستقصاء والاتصال بالأب تأكد الناظر أن سعد لم يكن معه هذا المبلغ ، وأن التهمة محض افتراء . اشتط الأب غضبًا وأراد أن يضرب الإبن فى حضرة الناظر . أخرج الناظر الطفل من الحجرة وطالب بأن يترك الموضوع فى أيدى المسئولين عن توجيهه بالمدرسة . وافق الأب ووعد بالرفق بابنه بالمنزل . وبدراسة الحالة دراسة نفسية علمية ، اتضح أن الولد لم يكن يلقى رعاية من والديه على الإطلاق ، وكان همهما الأكبر منصرفًا إلى الزيارات . وكان التلفيق للزملاء بمثابة انتقام منهم ؛ لأنه كان يحس بأنهم يتميزون عليه بالجو الأسرى الهادئ وأنهم يحظون بحب ورعاية آبائهم . وجه انتباه الأب والأم إلى ذلك. ومن حسن الحظ أنهما اهتما بالنصائح التى وجهتها المدرسة إليهما ، ولم يمض أكثر من أسبوعين حتى كان سعد قد غير مسلكه ، ولم يعد يلفق التهم لزملائه .

العناد

العناد هو الإصرار على موقف أو الاستمساك بفكرة أو باتجاه بغير مسوغ أو مبرر وجيه . والعناد حالة مصحوبة بشحنة انفعالية مضادة للآخرين الذين يرغبون فى ثنى الشخص العنيد عن موقفه المتشبث .

ويتخذ العناد صورًا سلوكية متباينة . وقد تظهر أكثر من صورة منه لدى الشخص العنيد . فقد يظهر العناد فى شكل إصرار على تكرار تصرف بالذات ،

وقد يكون ذلك التصرف المتكرر ضارا أو حتى مؤلمًا للشخص العنيد . وقد يتبدى العناد فى شكل امتناع وإحجام تام عن مجرد الإنصات إلى حجج الآخرين أو وجهات نظرهم . وقد يبدو العناد فى شكل فكرة مسيطرة يتركز حولها كل النشاط الذهني للشخص . وأخيرًا قد يبدو العناد فى هيئة إغاظة الآخرين وإثارة غضبهم وسخطهم.

سامى يلعب بالنار :

سامي طالب بالصف الأول الإعدادى . جاءت أمه إلى المدرسة تشكو من إصراره على معاكستها بالنار ، وهي تخشى مغبة ذلك . قرر ناظر المدرسة أنه سيعالج الحالة ولكن بالطريق غير المباشر . زار الناظر فصل الطالب ، وأخذ يتساءل عن أحوال الطلبة بروح حانية . وأخذ يعرض لماما وبطريق غير مباشر للعلاقة بالأسرة . وعندما جاء دور سامى للكلام ، قال : « إن ماما عصبية ، وأنا أضايقها وأخوفها بالنار » . لم يعلق الناظر على كلام سامى بشىء ، ولكنه كان قد فهم الباعث لإصرار سامى على اللعب بالنار . إنه يرغب فى تأكيد قوته وغلبته على الأم . اتصل الناظر بأم التلميذ ، واتفق معها على إهمال الموضوع وعدم إعارته أدنى اهتمام . وبعد أن فهمت الأم الموقف ، ونفذت نصيحة الناظر ، لم يعد سامى يعاكسها بالنار ؛ لأن الأم لم تعطه الفرصة لتحقيق هدفها من معاكسته .

بثينة لا تريد الإنصات إلى وجهات نظر الكبار :

بثينة طالبة بالصف الثالث الإعدادى . تشكو أمها من عدم رغبتها فى الاستماع إلى وجهات نظر الأب أو أى من الكبار . إنها لا تقتنع إلا بما ترى أنه صحيح من وجهة نظرها هى . وتصر الأم على أن هذا الموقف سيفوت على ابنتها فرصة الإفادة من خبرة الكبار ، وأنها ستظل قاصرة عن الاستمرار فى النمو العقلى والوجدانى والاجتماعى . أم بثينة جامعية وتعمل موظفة بإحدى الشركات . وهى تعترف بأن ابنتها بثينة قوية الشخصية ولكنها تتمنى لها أن تفهم وجهات نظر الآخرين وبخاصة الكبار حتى تستفيد من خبراتهم . اتفقت الناظرة والأم ورائدة فصل بثينة على اختيار عشر طالبات تكون بثينة واحدة منهن ، ويتفق مع أمهاتهن على الحضور بعد

ظهر أحد الأيام إلى المدرسة وتعقد ندوة تجتمع فيها الأمهات العشر مع الطالبات العشر وبحضور الناظرة والمدرسات ثم تجرى ندوة ومناقشة حرة بغير تحديد لموضوعات معينة ، بحيث تعطى الفرصة لبثينة للتعبير عن رأيها بأكبر نصيب ممكن، وأن تحاول أم بثينة فى هذه المناسبة عدم مقاطعة بثينة واحترام آرائها وعدم الاصطدام معها فى المناقشة أمام زميلاتها وأمهاتهن وأمام الناظرة والمدرسات .

وفعلا أقيمت الندوة ، وبعد أن ظلت بثينة تتكلم والفرصة متاحة أمامها للتعبير عن أفكارها ، التفتت فجأة إلى الناظرة وقالت : « ولكن يا أبلة الناظرة أنا تكلمت كثيرًا . أريد أيضًا أن أستمع إلى وجهات نظركن » . أدركت أبلة الناظرة فى تلك اللحظة أن خطتها بدأت تؤتى ثمارها ، وبدأت الناظرة والأمهات فى التعبير عن آرائهن وبينهن أم بثينة . كانت بثينة تنظر إلى أمها بإعجاب وهى تتحدث . وبعد أن انصرفتا ، قالت لأمها : « يا ماما أنت تتحدثين بلباقة ، أحب أن أسمع رأيك أيضًا فى المسائل التى تحير فكرى » . ومنذ ذلك اليوم صارت بثينة تنصت إلى آراء أمها وقد تزايل العناد الفكرى عنها . وسر ذلك هو اعتراف الكبار بها وتقديرهم لآرائها ، وحسن إنصاتهم لها .

ماجد لايستطيع التخلص من فكرة مسيطرة :

أما ماجد فإنه نهب لفكرة مسيطرة على ذهنه ، مؤداها أنه سيئ الحظ ، وأن الفشل حليفه فى كل موقف . ماجد طالب بالصف الثانى الإعدادى ، ودائم الرسوب فى الاختبارات التى يجريها مدرسوه بالفصل . كان يشكو لوالديه من هذا الشبح المسيطر على فكره . حاول والده ثنيه عن هذا الاعتقاد الفاسد ولكن دون جدوى . عرض المشكلة على رائد الفصل ، وهذا بدوره عرض الموضوع على الناظر واتفقا على خطة لحلها . اجتمع تلاميذ الفصل ، وحضر المدرس الرائد والناظر وأوضحا للطلبة ما يعتزمان عمله . ستقدم خمس جوائز إلى من يصادفه الحظ السعيد من التلاميذ ، وستجرى قرعة يقوم الناظر بسحبها من أرقام تلاميذ الفصل . كان رقم ماجد هو ٣٥ ، سحب الناظر القرعة على الجائزة الأولى فكان الرقم الفائز هو ٣٥ . كان ماجد متجهمًا قبل سحب القرعة ومتشائمًا ، وكان متأكدًا من أن حظه العاثر يلاحقه ، ولكنه هلل بالفرح عندما كسب الجائزة الأولى . وتلا ذلك زملاء آخرون له

فازوا بالجوائز الأربع الأخرى ، واضح أن الخطة كانت تقضى بأن يربح ماجد الجائزة الأولى كطريقة لتخليصه من تشاؤمه . ماذا حدث بعد ذلك ؟ كان لهذا الموقف أثره الناجح فى حياة ماجد . لقد انهزمت الفكرة المسيطرة على ذهنه وصار يتوقع الحظ الباسم فى كل حياته ، ولم يعد شبح الفشل يهدده فى أثناء الاستذكار ، أو فى أثناء الاختبارات . صارت درجاته بعد هذا مفخرة له ولأسرته .

سعدية تغيظ أخاها أشرف حتى يبكى :

عندما اجتمع آباء وأمهات تلاميذ أحد فصول الصف الثالث بإحدى المدارس الإعدادية ، عرض والدا الطالبة سعدية مشكلة تسبب لهما ضيقًا شديدًا بالمنزل . إن سعدية تصر دائمًا بعناد على إغاظة أخيها الصغير أشرف وهو تلميذ بالصف الأول الابتدائى . إنه لا يكاد يسكت عن البكاء حتى تبدأ سعدية فى اكتشاف موضوع جديد تغيظه به . ولا يجد والداها سبيلا أمامهما إلا ضربها ضربا مبرحا . ولكن الضرب أيضًا لم يفد فى الوصول إلى الحل . وأخيرًا اضطرا إلى اللجوء إلى المدرسة . اقترحت رائدة الفصل حلا . ورحب الحاضرون جميعًا به . لماذا لا تكل الأم بعض مسئوليات المنزل إلى سعدية ؟ ولماذا لا تكون ضمن تلك المسئوليات بعض الأمور التى تخص أشرف ؟ وبتعبير آخر : يكون الحل هو الاعتراف بسعدية وبأنها جديرة بتحمل المسئولية . وفى الاجتماع التالى وكان بعد شهر من الاجتماع الأول ، قرر والدا سعدية بأن تطبيق اقتراح رائدة الفصل كان هو الحل الحاسم للمشكلة ، وصارت سعدية تعطف على أخيها أشرف وتهتم به ، بعد أن شاركت الوالدين عمليا فى رعايته .

٤-الخجل والانطواء :

الخجل والانطواء تعبيران عن نقص فى التكيف للموقف وإحساس من جانب الشخص بأنه غير جدير بمجابهة الواقع . ولكن الخجل والانطواء قد يحدثان بسبب عدم الألفة بموقف جديد ، أو بسبب مجابهة أشخاص غرباء ، أو بسبب خبرات مؤلمة سابقة بمواقف مشابهة للموقف الحالى الذى يحدث للشخص خجلا وانطواء/.

كمال لا يستطيع الإجابة شفويا أمام زملائه بالفصل :

كمال طالب بالصف الثالث الإعدادى : إنه طالب مجتهد ، ودرجاته ممتازة فى الأعمال التحريرية ، ولكنه يخشى مجابهة المواقف العامة . وأخشى ما يخشاه أن يسأله المدرس فى مواجهة جميع زملائه بالفصل . إنه يعرق ولا يكاد يرى ما حوله إذ تزوغ عيناه ، ويحس بدوار . لاحظ مدرسوه ذلك ، فكانوا يتحاشون سؤاله أمام زملائه . ولكن والده عرض المشكلة ، وقرر أن نفس الظاهرة تحدث لابنه إذا مازار الأسرة ضيوف حتى ولو كانوا من الأقرباء . بزغ الحل فى عقل الناظر . جمع طلبة أحد فصول الصف الأول ، ثم نادى الطالب كمال من فصله ، وأمره بلهجة جادة بأن يقف أمام طلبة ذلك الفصل بعض الوقت لحين حضور مدرسهم . تردد كمال لحظة ولكنه لاحظ الجدية فى كلام الناظر فاتجه إلى الفصل الذى حدده له الناظر ودخل. وما أن مرت برهة قصيرة ، حتى أحس كمال بأنه فى مواجهة طلبة أصغر وأضعف منه . جمع شتات نفسه ، وفرض سيطرته عليهم . وما أن أدرك حسن استجابتهم له وخوفهم منه ، حتى انبرى بصوت مرتفع يتوعد من يخرج منهم على النظام . كرر الناظر الموقف ولكن مع طلبة الصف الثانى ، ثم الصف الثالث . وفى كل مرة كان كمال يثبت فيها شجاعته وجرأته فى مجابهة الموقف . ولم يكن يعلم أنه يعالج مما كان يعانى منه من خجل وانطواء . ولم يمر على بدء العلاج سوى شهر واحد ، حتى كان كمال قد تخلص من إحساسه بالخجل ومن ميله إلى الانطواء على نفسه .

الكذب :

هو عدم ذكر الوقائع كما هى ، أو ذكر أشياء لم تحدث أو إنكار أشياء حدثت ، أو المبالغة فى تصوير موقف ، أو التأكيد على بعض جوانب الواقع الحادث ، وتسليط الأضواء عليه ، والتهوين من جوانب أخرى وإبعاد الأضواء عنها . وهناك فى كلام الصغار والكبار كذب قليل أو كثير ، ولكن بالنسبة للمراهقين يركز المربون الاهتمام على دراسة الكذب لأن الأمل فى تعديل السلوك فى المراهقة أقوى منه بالنسبة لمراحل العمر التالية .

والواقع أن المراهقين يكذبون لأكثر من سبب . وهناك ستة أسباب رئيسية لكذب المراهقين هى :

(١) الكذب نتيجة الخوف من ذكر الحقيقة وما قد يترتب على ذلك من عقوبات.

(٢) الكذب نتيجة اعتمال الخيال الخصب فى ذهن المراهق .

(٣) الكذب نتيجة الرغبة فى إرضاء الكبار ، أو عدم ذكر الحقيقة المؤلمة لهم.

(٤) الكذب نتيجة لرغبة المراهق فى اللعب بأعصاب الكبار وخداعهم . فالكذب فى هذه الحالة يكون نوعًا من اللعب .

(٥) الكذب نتيجة لعدم إتقان اللغة والعجز عن التعبير .

(٦) الكذب نتيجة تشجيع الكبار للمراهقين على أن يكذبوا وإعطائهم المثل العملى الردىء

مها طالبة كذابة :

جاءت والدة مها - الطالبة بالصف الأول الإعدادى - إلى مدرستها تشكو من أنها كثيرة الكذب بالمنزل . وأنها حاولت تعديل سلوكها وحملها على التزام الصدق ولكن بغير جدوى . قررت الأم أيضًا أنها كانت تضرب مها فى كل مرة تكتشف فيها أنها كذبت ولكن هذا العلاج لم يثمر أيضًا . ولذا فإنها تعرض المسألة على رائدة الفصل علها تستطيع الوصول إلى حل . لاحظت المدرسة أن مها شديدة الخوف ، وذلك عندما نادتها لتحية أمها التى كانت واقفة أمام باب الفصل .

وفى جلسة هادئة بحجرة الناظرة ، اتفقت المدرسة الواعية مع أم مها على عدم الاكتراث بكذبها أو صدقها ، وألا تتربص بها الدوائر وأن تكف عن تسميتها بمها الكذابة ، كما دأبت على تسميتها . نصحت المدرسة الأم أيضًا بأن مجرد إبعاد انتباه الأم وأفراد الأسرة عن قياس كلام مها فى ضوء الصدق والكذب كفيل بالعلاج. وفعلا بعد أن طبقت الأم هذه الطريقة ، جاءت إلى المدرسة شاكرة لها على نصيحتها القيمة وهى فخورة بابنتها التى لا تقول الآن إلا الصدق .

مشكلات الطلبة المدرسية :

بالإضافة إلى المشكلات المتعلقة بالتكيف النفسى والاجتماعى ، فإن هناك مشكلات يتعرض لها طلبة المدرسة الإعدادية لها صدى فى دراستهم وفى علاقتهم بالمدرسة وبنظمها ومناهجها . وبينما ينظر إلى مشكلات التكيف من زاوية المراهق كإنسان ، فإن الزاوية التى ينظر منها إلى المشكلات المدرسية هى زاوية الطالب كعضو فى مؤسسة معينة هى المدرسة الملتحق بها .

الأسباب العامة لمشكلات الطلبة المدرسية :

١ - **أسباب نفسية** : لا يمكن إغفال العامل النفسى لدى تناولنا للمشكلات التى يجابهها الطلبة بالمدرسة ؛ ذلك أن الحالة النفسية تعد خلفية يقيم عليها الطالب جميع أنشطته وفى ضوئها يتحدد موقفه الوجدانى والعملى بالمدرسة .

٢ - **أسباب أخلاقية** : وليس معنى البحث عن الدوافع النفسية وراء المشكلات المدرسية ، أننا نغفل الأسباب الأخلاقية ، والمسئولية الأخلاقية التى يجب تنبيه الطالب والمدرس إليها . فالبحث النفسى ينبغى ألا يقلل من أهمية البحث فى القيم الأخلاقية والمسئوليات الأخلاقية . وإذا كنا فى بعض الحالات نتجنب العقوبة حتى نعطى أنفسنا فرصة للبحث عن الدوافع النفسية للسلوك غير السوى ، فإننا فى مواقف أخرى نجد أن العقوبة ضرورية كوسيلة للتقويم والإصلاح والتهذيب .

٣ - **أسباب تتعلق بالإدارة والمناهج المدرسية** : ففى بعض الأحيان تصدر المشكلات المدرسية عن سوء الإدارة المدرسية ، أو عن سوء المناهج المقررة .

٤ - **أسباب تتعلق بأسرة الطالب** : فالمشكلات الاقتصادية التى قد تقابل بعض الأسر ، والشقاق الذى قد يدب بين الوالدين : أو بين الأسرة وجيرانها قد تؤثر بطريق مباشر فى المشكلات المدرسية التى يجابهها الطلبة .

٥ - **أسباب تتعلق بالبيئة المحلية** : فوجود سينما تشتغل فى وقت الدراسة قريبة من المدرسة ، أو وجود دور لهو تجذب الطالب إليها ، إنما تعمل على تعطيل الطلبة وعلى نشوء كثير من المشكلات المدرسية بينهم .

مخالفة النظم المدرسية :

من أهم مشكلات الطلبة المدرسية مشكلة مخالفة النظام فيما يلى : -

١ - تأخر الطالب عن موعد طابور الصباح ، وتكرار ذلك التأخر بغير أسباب مقبولة من المدرسة .

٢ - عدم المشاركة فى نشيد الصباح والتراخى فى تحية العلم .

٣ - التجول بالمدرسة ودخول الفصل بعد بداية الحصة .

٤ - التراخى فى تنفيذ تعليمات المدرسة .

٥ - الإهمال فى ارتداء الزى المدرسى ، وعدم الحرص على نظافته وأناقته .

٦ - عدم إحضار الكراسات والأدوات المطلوبة فى المواعيد المقررة وعدم أداء الواجبات المنزلية .

٧ - عدم تقديم الاحترام اللائق للناظر والمدرسين .

٨ - اتخاذ موقف سلبى بإزاء الأنشطة المدرسية .

٩ - الإهمال فى إبلاغ ولى الأمر بتعليمات المدرسة المبلغة بطريق الطالب .

١٠ - التخلف عن دروس التقوية التى تعقدها المدرسة لطلبتها فى غير أوقات الدراسة.

هشام طالب خارج على النظام :

هشام طالب بالصف الثالث الإعدادى ضج مدرسوه بالشكوى إلى الناظر ؛ لأنه يتعبهم . إنه لا يرتدع ولا تجدى معه المعاملة الحسنة أو محاولة جذبه وإقناعه بالنظام . إنه لا يرغب فى المكوث بمكانه المخصص له ، بل هو دائم التنقل من مكان لآخر مما يؤثر على نظام الفصل ، ويشيع الفوضى بين أرجائه .

حاول الناظر فهم مشكلة هشام على حقيقتها . ذكر هشام أن الدروس التى يلقيها المدرسون على الطلبة سهلة جدا ، وهو يعرفها جميعًا لأن والده سبق أن شرحها له . إنه يحس بالملل وهذا ما يحدو به إلى الاستهتار بالحصص . طالب الناظر المدرسين بتخصيب المناهج ، وبتقديم خبرات جديدة تستهوى الطلبة ، كما طالب بعدم التزام طريقة الشرح ، بل يجب أيضًا إعطاء فرصة للطلبة للقراءة الحرة .

ومعنى هذا : أن المشكلة التى تظهر فى سلوك هشام هى نتيجة طبيعية لعدم تحدى ذكائه ، وتقديم معلومات فجة إليه لا يستطيع أن يحترمها . وطبيعى أن المدرسين إذا ما جهزوا خبرات جديدة لتقديمها لطلبتهم ، فإنهم سيحسون بالاحترام لها وللحصة . ناهيك عن الموقف الإيجابى الذى يجب أن يشيع بالحصة ، فليست مهمة المدرسين مقتصرة على الشرح والإلقاء ، بل إن مهمتهم تنصب قبل أى شىء آخر على توجيه اهتمام الطلبة إلى مصادر الخبرة الحية . والمشكلة المدرسية التى تبدو فى سلوك هشام لا تفسر بأنها سوء سلوك خلقى بل تفسر بأنها نقص فى مجابهة ذكائه المرتفع .

الهروب من المدرسة :

بالإضافة إلى الأسباب الخمسة العامة التى ذكرناها لمشكلات الطلبة المدرسية ، فإن هناك أسبابًا خاصة لهذه المشكلة يمكن ضمها إلى الأسباب العامة والبحث فى ضوئها عن أسباب هروب الطلبة من المدرسة الإعدادية والثانوية :

١ ـ قسوة ناظر المدرسة أو المدرسين . وسوء معاملة الطلبة ومصادرة حرياتهم .

٢ ـ تراخى الإدارة المدرسية وعدم متابعتها لحالات الغياب الفردية .

٣ ـ كون المدرسة لا تشكل مكانًا جذابًا للطلبة .

٤ ـ إحساس الطالب بالفشل فى متابعة المناهج الدراسية ، وتخلفه دراسيا .

٥ ـ عدم ارتباط المناهج بوجدان الطالب وعدم احتلالها لبؤرة اهتمامه .

٦ ـ نقص رقابة الأسرة على الطالب .

٧ - قيام بعض العصابات بإغراء الطلبة بالهروب واحتراف النشل والرذيلة .

٨ - النقص فى طموح الطالب نحو الاستمرار فى التعليم .

٩ - غياب المدرسين وشيوع الفوضى فى المدرسة .

١٠ - إرهاق الطلبة بالواجبات المدرسية وتكليفهم بأعباء لا قبل لهم بها .

باسم يهرب من المدرسة :

أحصى الطلبة المتسربون من إحدى المدارس الإعدادية وكان باسم - وهو من طلبة الصف الثانى - واحدًا من أولئك المتسربين . استدعى ولى الأمر - وهو والد الطالب - إلى إدارة المدرسة لسؤاله عن سبب عدم انتظام ابنه بالمدرسة . دهش الوالد عندما علم أن ابنه غير مواظب على حضور المدرسة . وأنه يخرج كل يوم فى الصباح من البيت ومعه الكتب ولا يعود إلا بعد موعد خروج المدارس .

ولما ووجه المراهق بالأمر - وقد أحضره الوالد معه فى صباح اليوم التالى - أنكر فى بادئ الأمر ما نسب إليه من هروب من المدرسة ، ولكنه اعترف بكل الحقيقة بعد أن حوصر بالأسئلة والاستفسارات . لقد وقع فى يد إحدى العصابات التى أخضعته لها أولا بالإغراء وبالنقود ، ثم بعد ذلك بالتهديد بالقتل إن هو أفشى سرها، ودل على أفرادها .

لم يكن أمام ناظر المدرسة وولى الأمر إلا أن يبلغا الشرطة ويضعا المسألة بين يديها ، وكانت المفاجأة كبيرة عندما اتضح أن معظم المتسربين من طلبة المدارس الإعدادية بالحى الذى تقع فيه المدرسة كانوا ضحية تلك العصابة التى تزعمها أحد الأشقياء المحتالين ، الذين يقومون بإغراء المراهقين بالنقود والوعود ، ثم ما يفتأون يقهرونهم ويذلونهم ويخضعونهم لإمرتهم بالتهديد والضرب .

مشكلات التأخر الدراسى :

يجب أيضًا أن ندرس مشكلات التأخر الدراسى فى ضوء الأسباب العامة لمشكلات الطلبة المدرسية السابق ذكرها . ولكن هذا لا يحول دون التعرض للأسباب الخاصة بهذه المشكلة ، والتى يمكن إجمالها فيما يلى :

١ - انخفاض درجة الذكاء لدى الطالب ، ونعنى بالذكاء : القدرة العقلية العامة التى تدخل فى كل العمليات التعليمية ، وحاجة مثل هذا المراهق المنخفض الذكاء إلى الالتحاق بمدرسة خاصة بالمعوقين عقليا .

٢ - افتقاد المراهق لإحدى القدرات الخاصة ، كالقدرة على الحفظ عن ظهر قلب أو القدرة على الرسم مثلا .

٣ - انقطاع الطالب فترة من الزمن فى أثناء العام الدراسى ، بينما يكون المدرس قد قطع جزءًا من المقرر . فيترتب على ذلك حدوث فجوات خبرية فى تحصيل ذلك الطالب .

٤ - إصابة الطالب بمرض يؤثر على حيويته ، وبالتالى يحول بينه وبين بذله للجهد العقلى المطلوب لاستمرار تقدمه فى الدراسة .

٥ - انخفاض مستوى المنهج عن المستوى العقلى للطالب ، فهو لا يتحدى ذكاءه ولا يجذب انتباهه أو يثير قدراته العقلية .

٦ - وجود عيب أساسى فى طريقة التدريس التى يتبعها المدرس من حيث :

أ - عدم تمكن المدرس من فنيات التدريس من حيث الإلقاء والحركة والمناقشة...إلخ .

ب - افتقاد المدرس للجاذبية الشخصية .

ج - تدريسه لإحدى المواد بطريقة غير الطريقة الواجبة الاتباع ، كأن يدرس مادة بحاجة إلى تدريب كثير - كالحساب مثلا - بالإلقاء والشرح فقط ، أو أن يدرس مادة تعتمد أساسًا على التجريب - كمادة العلوم - بتحفيظها للطلبة .

٧ - عدم تدارك المدرس للمراحل الأولى من تأخر الطالب دراسيا ، وإهماله له حتى تكون مشكلته الدراسية قد استفحلت ، وصار من الصعب علاجها .

٨ - إهمال الأسرة لمتابعة الطالب ومعاونة المدرس فى تدريبه وحضه على أداء الواجبات المنزلية ، أو عدم تهيئة الجو المناسب للاستذكار بالمنزل .

٩ ـ سوء أسلوب الطالب وعدم قدرته على التعبير عن أفكاره . وحتى عندما تكون المعلومات واضحة فى ذهنه ، فإنها تكون مبهمة وملغزة على الورق لدى تعبيره عنها .

١٠ ـ سوء خط الطالب لدرجة عدم القدرة على استبانة ما يريد التعبير عنه بالكتابة .

مشكلات الاستذكار :

بالنسبة للاستذكار أيضًا يجب أن نرجع أولا إلى الأسباب العامة للمشكلات المدرسية السابقة ، ثم نعود إلى التفكير فى المشكلات الخاصة بالفشل فى الاستذكار . ونستطيع أن نوجز تلك الأسباب الخاصة فيما يلى :

١ ـ وجود مثيرات مشتتة لذهن المراهق وانتباهه فى المكان المخصص لاستذكاره (وجود راديو مفتوح عال مثلا ـ استذكار الطالب فى المكان الذى تدأب الأسرة على الجلوس فيه وإثارة المناقشات ... إلخ ...) .

٢ ـ استذكار الطالب بطريقة خاطئة مثل :

أ ـ الاعتماد على الحفظ عن ظهر قلب بغير استيعاب للمادة .

ب ـ نقص التدرب على التعبير عن أفكاره .

ج ـ إهمال الطالب لبعض أجزاء من المنهج .

د ـ تركيز الطالب على هوامش المنهج وإهمال أساسياته ، وعدم قدرته على التمييز بين المهم وغير المهم ، ولا بين الأهم والمهم .

هـ ـ عدم قدرة الطالب على تصور أهداف المادة والمطلوب من الطالب بإزائها .

٣ ـ الاستذكار مع طلبة آخرين ، مما يشتت ذهنهم جميعًا ، ويضيع وقتهم سدى لأن وجودهم معا يغريهم بالانصراف عن الاستذكار إلى الانخراط فى الأحاديث المسلية واللعب .

٤ ـ إرهاق الطالب لنفسه فى الاستذكار ، والمبالغة فى الاجتهاد .

٥ - عدم انتظام الطالب بصفة يومية على الاستذكار ، وقضاء بعض الأيام بغير استذكار .

٦ - وجود مشكلات نفسية ملحة كالقلق أو الخوف من العقوبات المدرسية أو عقوبات الوالدين .

٧ - نقص النوم أو التغذية أو الإصابة بمرض مزمن كالصداع أو ألم الأذنين أو ضعف السمع أو ضعف البصر أو إصابته بالزغللة .

٨ - تراكم الدروس بحيث يحس الطالب بأنه مثقل فينوء بالعبء الملقى على عاتقه.

٩ - الفشل فى توزيع الجهد والوقت فى ضوء متطلبات المواد ، وفى ضوء قوة الطالب فى كل مادة .

١٠ - النقص فى تمرن الطالب على الجلوس إلى المكتب لمدد معقولة للاستذكار . فالواجب لكى يكون الاستذكار مجديًا أن يكتسب الطالب عادة الجلوس إلى المكتب لفترات طويلة نسبيا ، والجلوس بطريقة صحية لا تؤدى به إلى التعب بسرعة.

١١ - النقص فى تمرن الطالب على كيفية تناول أسئلة الامتحان . فلا يكفى أن يستوعب الطالب المادة ، بل ينبغى أن يتمرن أيضًا على طريقة الإجابة عن أسئلة الامتحانات بالطريقة المطلوبة .

مشكلات النطق والكلام :

يجب أن نميز بين مشكلات النطق والكلام التى تنجم عن عوامل وراثية لا سبيل إلى التدخل فيها ، وإيقافها عند حد أو القضاء عليها ، وبين تلك المشكلات التى تنجم عن عوامل بيئية مكتسبة بوسع التربية أن تلعب بإزائها دورًا له قيمته . ونستطيع بوجه عام أن نرد أسباب العيوب التى تظهر فى نطق الطالب وفى كلامه إلى ما يأتى :

١ - **أسباب فسيولوجية :** فقد تكون هناك عيوب معينة فى أجهزة النطق أو فى المراكز المسئولة بالمخ عن الكلام . ولقد يستطيع الطب فى بعض الحالات أن

يمد يد المساعدة إلى المصابين بعيوب معينة فى النطق يكون مردها إلى أسباب فسيولوچية جسمية ، وقد يقف عاجزًا عن تقديم المساعدة فى بعض الحالات .

٢ - **أسباب نفسية** : فقد تحدث اللجلجة مثلا نتيجة الخوف والاضطراب فى الموقف ، أو نتيجة عدم الثقة فى النفس .

٣ - **أسباب بيئية** : فلقد تكون البيئة المحلية للطالب قد اعتاد أهلها على الكلام بطريقة معينة ، أو نطق بعض الكلمات بطريقة خاطئة .

٤ - **أسباب تتعلق بسوء تقليد المراهق منذ الطفولة للكلام الذى يسمعه** . فلقد يحدث أن يسمع الطفل كلاما ويرغب فى تكراره ، فيقع فى خطإ لدى إعادته لما سمعه بينما هو يعتقد أنه كرر الكلام كما سمعه بغير تحريف . وهكذا يتأصل الخطأ لديه حتى المراهقة .

٥ - **أسباب تربوية** : فكثير من الآباء والكبار بوجه عام يعتقدون أن المراهق ليس بحاجة إلى رعاية لغوية ، وأن اللغة يكفيها السليقة لكى تكتسب .

والواقع أن اللغة بحاجة إلى رعاية ، وإلى تدخل من جانب الكبار لتصحيح الأخطاء التى قد يقع فيها الطفل أو المراهق فى أثناء كلامه وتعبيره عن نفسه . ولكن يجب أن يكون تدخلهم بلباقة حتى لا يتشكك المراهق فى قدرته على الكلام .

٦ - **أسباب ثقافية** : فلا شك أن كثيرًا من أخطاء الكلام والنطق راجع إلى هبوط المستوى الثقافى للأسرة والمدرسة والبيئة المحلية .

٧ - **أسباب تتعلق بطريقة تدريس المدرس** : وذلك كعدم إعطاء المدرس للطالب الفرصة للكلام ، وجعله فى حالة استماع مستمرة .

٨ - **أسباب عقلية** : كانخفاض مستوى ذكاء المراهق .

٩ - **أسباب تتعلق بالضعف فى اللغة العربية الفصحى** : فمن الحقائق الثابتة أن لغة الكلام اليومية العامية ليست منفصلة عن اللغة الفصحى ، بل إنها تتخصب وتثرى بها . فالضعف الشديد فى اللغة الفصحى ينعكس أيضًا على لغة الكلام اليومية .

١٠ ـ **إهمال البوادر الأولى للأخطاء** : وتركها حتى تستفحل ويصعب معالجتها فى المراهقة . فكلما كان العلاج مبكرًا كانت النتيجة أفضل بالنسبة للحالات التى يمكن أن يجدى العلاج فيها . وشأن اللغة فى هذا شأن أى مرض أو أى اعوجاج سلوكى .

* * * *

الفصل السادس

توجيه المراهقين والمراهقات بالتعليم

معنى التوجيه :

المقصود بالتوجيه : وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب . فلقد لوحظ أن التحاق الشخص بنوع من التعليم لا يتناسب مع استعداداته ، أو بوظيفة لا تتناسب مع نوع التعليم الذى تلقاه أو مع ما وهبه من قدرات خاصة ، إنما يعمل على تعثره فى نوع التعليم الذى التحق به ولا يكون منتجًا فى الوظيفة غير المناسبة التى التحق بها .

ويقوم التوجيه أساسًا على مبدأ فلسفى هو الاعتراف بالحرية الفردية فى الاختيار وبأن التوجيه الذاتى هو الأساس المكين لكل توجيه . فلا يمكن تحريك الشخص من الخارج فحسب ، بل يجب أن يكون التوجيه الخارجى وسيلة للتوجيه الداخلى . فالموجه إذن لا يعدو أن يكون مبصرا للشخص الذى يراد توجيهه بما لديه من استعدادات وإمكانيات ، وبما يصادفه من صعوبات .

فالمقصود بالتوجيه إذن هو مساعدة الفرد على تبين طريقه فى خضم الحياة المتغيرة باستمرار . فالحياة الحديثة أكثر تدفقًا وتغيرًا من الحياة القديمة التى تتسم بالرتابة والاستقرار . خذ مثالا بالتعليم . إن المناهج التى يدرسها التلميذ اليوم فى أية مرحلة تعليمية لا يمكن أن تغنيه عن استمرار مده بالمعلومات الجديدة التى استجدت بالمجالات العلمية المختلفة . وخذ مثالا آخر بالحرف والمهن على اختلافها . إن الحياة الحديثة كثيرًا ما تستغنى عن بعض الحرف وعن بعض المهن وتستحدث حرفا ومهنا جديدة تتطلبها الحضارة . ومن ثم فلا بد من ترك بعض الأفراد لحرفهم ومهنهم التي دأبوا على ممارستها ، وتعلم حرف أو مهن جديدة يتطلبها المجتمع . ولابد من عملية إقناع أولئك الأفراد بترك الحرف والمهن التى استغنى المجتمع عن خدمتها ، والإقبال باقتناع وحماس على تعلم الحرف والمهن الجديدة المطلوبة .

والحضارة فى تطورها ، والعلوم المختلفة فى تدفقها وتقدمها ، والتكنولوچيا بتعقدها واستحداثها للجديد المعقد ، تتطلب توجيه المواطنين إلى كيفية الإفادة من الجديد فى الحضارة والعلوم والتكنولوچيا ، وإلى تحاشى المخاطر التى يمكن أن تنجم عن الاستخدامات الخاطئة أو الجهل بالطرائق السليمة التى يجب اتباعها بإزاء استخدامها .

الفرق بين التربية والتعليم والتوجيه :

يجب أن يتضح فى ذهن القارئ الفرق بين ما نعنيه من كلمة « تربية » وكلمة «تعليم» وكلمة « توجيه » . أما التربية فهى العمليات التى تمارس بإزاء الفرد أو مجموعة الأفراد للتطور باستعداداته وإمكانياته أو باستعداداتهم وإمكانياتهم وتحقيق أعلى مستوى من النمو للفرد والمجموعة . فنحن لدى استخدامنا لكلمة تربية ، إنما نشير إلى جانب أو أكثر من جوانب شخصية الفرد أو المجموعة . ومن هنا فإننا نقول : تربية جسمية ، وتربية وجدانية ، وتربية عقلية ، وتربية اجتماعية . فالتربية الجسمية تعنى الاهتمام بنمو جسم الفرد أو أجسام المجموعة أو الحفاظ عليها . والتربية الوجدانية تعنى : الاهتمام بنفسية الفرد ونفسية المجموعة والحفاظ عليها . والتربية العقلية تعنى : الاهتمام بعقل الفرد وعقل المجموعة ككل بما تتضمنه كلمة عقل من إدراك وذاكرة وخيال وتصور ... إلخ . والتربية الاجتماعية تعنى : الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الفرد وغيره ؛ وبين المجموعة وغيرها من مجموعات .

أما التعليم فهو العمليات : التى تستخدم لتقديم موضوع من الموضوعات الخارجية إلى شخص أو مجموعة أشخاص لاستيعابها أو فهمها أو استخدامها أو تشكيلها أو إقامة علاقات فيما بين أجزائها . فالمعلم لا ينظر إلى دخيلة الفرد أو دخيلة المجموعة فحسب ، بل إنه يأخذ أيضًا فى اعتباره الموضوع الذى يجعله موضوعا للتعلم . والواقع أن المعلم فى تعليمه والتلميذ فى تعلمه إنما ينظران إلى الموضوع المراد كسبه فى ضوء الاستعدادات والخبرات السابقة التى حصل عليها التلميذ من قبل .

أما التوجيه فإنه يعنى الاختيار بين مجالات كثيرة فى ضوء ما لدى الشخص المراد توجيهه من استعدادات ، وفى ضوء الظروف الخارجية القائمة فى المجتمع ، وفى ضوء التغيرات التى حدثت وتحدث فى المجالات العلمية والحرفية والمهنية والاجتماعية المتباينة .

ولعلنا نلخص معنى التوجيه بشكل عام فيما يلى :

١ - الوقوف على استعدادات الفرد وقدراته فى ضوء ما تسفر عنه الاختبارات العقلية واختبارات القدرات والاختبارات التحصيلية .

٢ - الوقوف على ظروف المجتمع الاقتصادية وعلى إمكانياته العلمية والسلم التعليمى القائم به .

٣ - الربط بين نظام التعليم وبين المستقبل الحرفى أو المهنى للأفراد وعدم الأخذ بالنظرة القديمة القائلة بأن العلم يطلب لذاته بغض النظر عن الفوائد التى تتأتى عنه .

٤ - توعية المواطن بالقيم الدينية والسياسية والاجتماعية ، وتوجيهه إلى الأدوار التي يجب أن يلعبها بإزاء كل نوع منها .

٥ - العمل على تذليل الصعوبات التى تعتور طريق الفرد سواء فى طريق تحصيله الدراسى أم فى طريق احترافه بحرفة أو امتهانه بمهنة .

نبذة تاريخية عن نشأة التوجيه التربوى والمهنى :

بدأت حركة التوجيه المهنى بالولايات المتحدة عام ١٩٠٨ عندما نشر فرانك بارسونس مؤسس حركة التوجيه المهنى تقريره عن التوجيه المهنى ، والواقع أن هناك بوادر سبقت الجهود التى قام بها بارسونس فى إرساء حجر الأساس للتوجيه ، وذلك فى هيئة مساعدات نفسية ونصائح لتبصير الشباب بالمهن المناسبة لهم . ولكن الفضل يرجع إلى بارسونس فى أنه أكسب التوجيه أهمية وصياغة اجتماعيتين ، كما أن له الفضل فى تحديد بعض الوسائل العلمية فى مجال التوجيه ، وفى إدخالها بالمدارس والمعاهد باعتبار أنها الطريق المؤدية إلى الحياة العملية .

بدأ بارسونس مهمته بأن أنشأ فى بوسطن دارًا للخدمات المدنية ، وقد حدد لها وظيفة اجتماعية جذبت انتباه الناس ؛ هى مساعدة الشباب على تخير الوظيفة المناسبة لاستعدادات كل منهم . ولكن بالأسف مات بارسونس فى نفس السنة التى أنشأ خلالها دار الخدمات ، وكان على تلاميذه الاستمرار بما بدأه أستاذهم فى ضوء المبادئ التى قررها بكتابه عن التوجيه الذى نشر بعد وفاته بوقت قصير .

ولقد كان اعتقاد بارسونس الراسخ هو أن التوجيه ينبغى أن يتم فرديا ، مع استبعاد التوجيه الجمعى إلا إذا قضت الضرورة بذلك . ولقد دعا إلى ضرورة اتباع الوسائل العلمية فى التوجيه ، وذلك عن طريق جمع المعلومات وتحليلها فى ضوء الوقوف على متطلبات المجتمع من الوظائف المختلفة ، وما يستجد من تطورات وتغيرات فى نطاقها .

وفى عام ١٩٠٩ دخل التوجيه فى مدارس بوسطن وفى غيرها كما استمرالمكتب الذى أنشأه بارسونس يعمل باعتباره المركز الرئيسى . وانتشرت أيضًا المجلات والكتب حول التوجيه ، وأخذت الدراسات حول معنى التوجيه وأنواعه وأهميته فى التدفق منذ ذلك الوقت وما تزال مستمرة وآخذة فى الانتشار إلى البلاد الأخرى .

وكانت إنجلترا هى الدولة الثانية التى تأخذ بالتوجيه بعد الولايات المتحدة الأمريكية . ففى عام ١٩٠٩ نفسه ظهر فى إنجلترا قانون التنظيم العملى ، وتكونت بمقتضاه مكاتب توجيه الشباب إلى المهن المناسبة لاستعداداتهم ، واستمر التقدم فى هذا المضمار متسعًا بمعنى التوجيه ومجالاته ، وبدأت دول أخرى فى الأخذ به ومن بينها مصر .

أما التوجيه التربوى فقد ظهرت أول محاولة جادة له فى سنة ١٩١٤ عندما تقدم كيلى برسالة عن التوجيه التربوى إلى جامعة كولومبيا للحصول على درجة الدكتوراة. وكان كيلى يهدف من رسالته إلى وضع خطة علمية لتصنيف طلبة المدرسة الثانوية ، وتحديد نجاح الطالب فى مادة ما من المواد الدراسية .

ولقد وجه الاهتمام بعد ذلك إلى التوجيه التربوى والتوسع بمفهومه ومجالات تطبيقه والإفادة بنتائج الدراسات التى أجريت فيه ، وذلك لما يمكن أن يترتب على تطبيقاته من فوائد عملية سواء للطالب أم للمدرسة والمجتمع .

أنواع التوجيه :

١ - **التوجيه التربوى :** ويشمل ما يأتى :

أ - توجيه التلاميذ والطلبة إلى أنواع التعليم التالية التى تناسبهم بعد الانتهاء من إحدى المراحل التعليمية .

ب - تذليل الصعوبات التى تعتور طريق التلميذ والطالب فى دراستهما ومحاولة تكييف المناهج لهما .

ج - وقف التلميذ على مستواه العقلى والتحصيلى ، ومحاولة إقناعه بذاته وتقبل نفسه . والبدء فى التقدم من حيث هو لا من حيث ما يرسمه لنفسه من أحلام.

٢ - **التوجيه المهنى :** ويشمل ما يأتى :

أ - توجيه خريجى المدارس الإعدادية الذين لا تقبلهم المدارس الثانوية إلى الحرف التى تناسب كلا منهم وتدريبهم عليها .

ب - توجيه العمال والمهنيين الذين تنقرض حرفهم ومهنهم إلى حرف ومهن جديدة يحتاج المجتمع إليها .

ج - تذليل الصعوبات التى تعتور طريق الشخص المشتغل بإحدى الحرف أو إحدى المهن ، وذلك بتعديل وسائل تنفيذها أو تدريبه على بعض المهارات التى تساعده على أدائها .

د - التأكد من أن الشخص المتقدم للالتحاق بأحد المعاهد المهنية حاصل على الاستعدادات والمهارات الخاصة المتعلقة بأداء الأعمال التى تتضمنها المهنة التى يعد المعهد طلبته لها ؛ ذلك أن عدم توافر تلك الاستعدادات والقدرات لدى الشخص يحكم عليه بالفشل فى تعلمها ، أو عدم التفوق فيها على الأقل.

٣ ـ **التوجيه الأسرى :** ويشمل ما يأتى :

أ ـ تبصير الشاب والشابة بالشروط الواجب توافرها لدى اختيار شريك الحياة .

ب ـ تقديم المعلومات الفسيولوچية والنفسية والاجتماعية المتعلقة بالعلاقات الزوجية والمسئوليات الأسرية .

ج ـ تقديم مفاهيم علمية سليمة للمقبلين على الزواج فيما يتعلق بالعلاقات الزوجية .

د ـ تبصير المتزوجين بأهمية تنظيم النسل والحد منه وتدريبهم على الوسائل الكفيلة بذلك .

هـ ـ مساعدة الأسر على حل مشكلاتها وفض المنازعات التى قد تنشأ فيها قبل استفحالها .

و ـ توفير مجالات عمل إضافية تزيد من دخل الأسر المعوزة وذلك بتقديم مهارات وفرص العمل أمام ربات البيوت .

٤ ـ **توجيه الأحداث والمسجونين :** ويشمل ما يأتى :

أ ـ بحث حالة كل حدث ومسجون والأسباب التى دفعت به إلى الجنوح والجريمة .

ب ـ قياس الاستعدادات العقلية والمزاجية لدى كل حدث ومسجون ، وكذا قدراته الخاصة بقصد توجيهه مهنيًا فى ضوء ما تسفر عنه تلك الأقيسة .

ج ـ توفير فرص التدريب الحرفى والمهنى أمام الأحداث والمسجونين داخل دار الأحداث أو السجن ، والإفادة من قدراتهم .

د ـ الإفادة من أصحاب القدرات أو المتعلمين من المسجونين فى توجيه زملائهم المساجين .

هـ - توفير الرعاية الاجتماعية والتتبعية للحدث والمسجون بعد خروجهما إلى الحياة الحرة ؛ حتى لا يعودا إلى طريق الإثم .

٥ - **التوجيه السياسى** (*) ويشمل ما يأتى :

أ - اكتشاف الاستعدادات والقدرات الخاصة للعمل السياسى وللقيادة فى شتى المجالات .

ب - توفير المعلومات السياسية والمهارات القيادية لأولئك الذين يثبت أن لديهم استعدادًا للعمل السياسى .

ج - توفير فرص التدريب السياسى لتنشئة كوادر (قيادات سياسية) جديدة .

د - إتاحة الفرصة أمام الكوادر السياسية الجديدة لممارسة العمل السياسى بالوسط الاجتماعى الذى يوجدون به والترقى بهم إلى مستويات أعلى .

هـ - تعديل المفاهيم السياسية وفق التغيرات التى تقع فى الخط السياسى المرسوم للدولة وتدريب القائمين بالعمل السياسى فى ضوء تلك المفاهيم الجديدة .

الإرشاد النفسى :

يعتبر الإرشاد النفسى الصنو الملازم للتوجيه المهنى والتربوى . فلقد وجد أن توافر الاستعدادات ، والقرارات الخاصة ، والمهارات ، ومجالات الدراسة ، أو العمل الخارجية لا تكفى لتحقيق تكيف الشخص نفسيا واجتماعيا . ووجد أن العوامل الوجدانية والانفعالية على جانب كبير جدا من الأهمية فى تحقيق ذلك التكيف .

وكان الفضل فى ظهور الإرشاد النفسى إلى مسرح الحياة راجعًا إلى توافر معلومات وفنون كافية حول التوجيه وحول العلاج النفسى والصحة النفسية والخدمة الاجتماعية ، وأوضح علماء الصحة النفسية أن كثيرًا من الفشل الذى قد يلاقيه التلميذ فى مدرسته أو العامل فى ورشته أو الموظف فى مقر عمله ، إنما يرجع إلى

(*) انظر : المدرسة والتوجيه السياسى ، للمؤلف ، الهيئة العامة للكتاب - ١٩٦٧

أسباب نفسية . ويؤكد علماء الصحة النفسية أيضًا أن المبادرة إلى علاج البواكير الأولى لتلك الانحرافات النفسية تضمن للشخص عدم الإصابة بالأمراض النفسية الخطيرة التى تقعده عن مواصلة دراسته أو عن مواصلة العمل فى وظيفته .

ومن هنا نشأت فكرة الإرشاد النفسى . ونستطيع تعريفه بأنه المبادرة إلى تبصير المرء بالصعوبات أو الانحرافات النفسية التى بدأت تلم به ، والتى إذا أهملها فإنها تستفحل ويصعب علاجها ، وإن هو تمكن من السيطرة عليها ، فإنه يستطيع أن يتمتع بصحة نفسية جيدة ، وبالتالى فإنه يستطيع أن يحقق لنفسه النجاح فى دراسته وفى عمله .

ولكن هذا لا يعنى أن الإرشاد النفسى يغنى عن التوجيه . والواقع أن الإرشاد النفسى يجب أن يسير جنبا لجنب مع التوجيه . ومن هنا يجب أن يتمكن الموجه من فنون التوجيه وأن يتمكن فى الوقت نفسه من فنون الإرشاد النفسى . وبذا فإنه يستطيع أن يتناول المشكلة التى يعانى منها الفرد من الزاويتين الموضوعية الخارجية والداخلية النفسية .

ضرورة التوجيه وأهميته :

١ ـ لا شك أن التوجيه يوفر للمرء السعادة سواء فى دراسته إذا كان طالبا ، أم فى عمله إذا كان عاملا أو موظفًا ؛ ذلك أن التوجيه يمهد الطريق أمامه ، ويزيل الصعوبات من طريقه ، ويقفه على إمكانياته الفعلية لا إمكانياته كما يتخيلها أو يتمنى أن تكون عليه .

٢ ـ يوفر التوجيه الكثير من الجهود المبذولة ، ويركز ما يبذل من جهد بسداد بغير ضياع فى غير ما طائل . فالشخص بغير توجيه قد يدأب على بذل الجهد للوصول إلى أهداف معينة ـ دراسية أو مهنية ـ بينما لا يكون فى الواقع مهيأ لنوع التعليم الذى يسعى للحصول عليه ، أو المهنة التى يرغب فى التمكن منها . ولكن بالتوجيه التربوى والمهنى ، فإن الشخص لا يبدأ فى بذل الجهد إلا بعد أن يكون متأكدًا من أن الأهداف التى يرنو إليها مناسبة لتكوينه واستعداداته التى فطر عليها .

٣ - ومعنى هذا : أن التوجيه يبصر الشخص باستعداداته وإمكانياته ومساعدته على معرفة ذاته ، وبالتالى تخير المجال التربوى أو المهنى المناسب له منذ البداية .

٤ - حماية الشخص من أهوائه وقمع رغباته الجانحة التى لا تقوم على أساس من واقع ما جبل عليه أو على ما اكتسبه فيما يتعلق بنوع التعليم أو الحرفة أو المهنة التى يعتزم تكريس حياته وجهده لها .

٥ - الاكتشاف المبكر لبعض الاستعدادات الخاصة مما يساعد على عدم الاعتماد على المحاولة والخطإ فى اختيار نوع التعليم أو فى اختيار الحرفة أو المهنة .

٦ - العمل على اكتشاف ما لدى المرء من استعدادات وقدرات لدى رغبته فى تغيير مجال الدراسة أو تغيير المجال الحرفى أو المهنى وتوجيهه إلى مجال جديد يصلح له .

٧ - علاج بعض المشكلات الخاصة بالتخلف الدراسى أو النقص فى إنتاجية العامل أو الموظف ؛ وذلك بالوقوف على حالة المرء الصحية وتبصيره بها وتدريبه على المهارات الصحية للدراسة أو العمل .

٨ - توفير الكثير من الجهد غير المثمر الذى يبذله المعلمون بالمدارس والمشرفون والرؤساء بمجالات العمل المختلفة ، وإحلال التوجيه فى كثير من الحالات محل العقوبات البدنية بالمدرسة ، ومحل الجزاءات المالية والإدارية بالمصانع والمؤسسات والمصالح الحكومية .

التوجيه المهنى : نظرة تاريخية :

لعل الاهتمام بالناحية النفسية والاجتماعية لدى العمال والموظفين قد بدأ عند أصحاب المصانع والمؤسسات حتى قبل أن تتوافر المعلومات النفسية الدقيقة عنهم . فلقد عرف الناس منذ القدم أن الحالة النفسية تؤثر من قريب أو من بعيد فى إنتاجية العامل والموظف ؛ ولذا فإن المصلحين فى كافة العصور كانوا ينادون بضرورة تحقيق معاملة إنسانية مشفوعة بالتعاطف والتقدير للعاملين ؛ حتى يرتفع مستوى الإنتاج ، وحتى يتم العمل بأكثر سهولة وبأكبر قسط من السعادة .

ولقد بلغت هذه التطبيقات شأوا بعيدًا وعلميا بعد أن عكف علماء النفس على بلورة المعلومات التى جمعوها ، وبعد أن تأكد بالتجريب ما أحس به القدماء بالحدس وظهر التوجيه المهنى بشكل علمى وتطبيقى فى أقطار معينة كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفيتية . ولكن التوجيه بالولايات المتحدة كان استجابة لضرورات التنافس على السوق العالمية ، بينما كان فى روسيا السوفيتية بقصد الوصول إلى أنسب قسط من التوازن للإنتاج وفق خطة مرسومة على مستوى الدولة .

بيد أن التوجيه المهنى لم يظل حبيس الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بل امتد إلى سائر أقطار أوربا . وبوجه عام تغيرت النظرة إلى الحرف والمهن ، فلم يعد الناس ينظرون إلى العمل بنفس النظرة الميكانيكية التى كانت سائدة قبلا ، بل إن الاهتمام بالشخصية الإنسانية أخذ فى التزايد يومًا بعد يوم . وصار الاهتمام بنفسية العامل لا يقل عن الاهتمام بالآلات التي يعمل عليها ، أو عن ظروف العمل التى تحيط بالإنتاج .

ولقد ظهرت فى إنجلترا مؤسستان : « مكتب البحث فى التعب الصناعى » و«المعهد الوطنى لعلم النفس الصناعى » ؛ ويشرف عليهما علماء من أمثال مايرز ؛ فيتضافرون جميعًا على القيام ببحوث وتجارب ضابطة فى معمل أو مصنع ترمى إلى أغراض خاصة جدا ، كإجراء تحوير فى توزيع أماكن العمل أو فى ظروف المصنع الطبيعية ، أو فى تحديد الأعمال أو التوزيع الفردى للعمل .

وفى بلچيكا يحاول كريستين وغيره من علماء تحقيق المواءمة الصحيحة بين الأفراد والحرف بوسائل علمية يمكن استعمالها فورًا . أما فى فرنسا فلا تزال سيكولوچية الصناعة فى مراحل التطبيق الأولى . ولكن لمست بعض المؤسسات الكبرى فائدة التوجيه المهنى فأخذت بوسائله . من أمثلة ذلك شركة النقل المشترك بمنطقة باريس التي استدعت عالم النفس «لاهى » لكى ينظم لها طريقة اختيار مستخدميها فى ضوء الاعتبارات النفسية ، ولكى يقوم بالإشراف عليهم نفسيا . أما « المعهد الوطنى للتوجيه المهنى» الذى أنشئ منذ عهد قريب بفرنسا ، فانه يرمى إلى تنسيق البحوث العملية التى تهتم بسيكلوچية العمل ، كما يرمى إلى نشر النتائج التى يتوصل إليها ، ويرمى فى الوقت نفسه إلى إعداد طائفة من الأخصائيين فى علم النفس الصناعى والتوجيه المهنى .

مقومات التوجيه المهنى :

١ - دراسة الظروف الخارجية للعمل وجعلها مناسبة لأدائه . فالواجب أن تتكيف تلك الظروف الخارجية وتتلاءم مع الأشخاص الذين يقومون بالعمل . ولقد عمد علماء التوجيه المهنى إلى وضع الشروط المثلى لكل جانب من تلك الجوانب الخارجية التى يتم العمل فى نطاقها .

٢ - دراسة الشروط الداخلية للعامل ، سواء كانت شروطًا جسمية أم شروطًا نفسية . ولاشك أن توافر تلك الشروط الداخلية يجعل العامل فى حالة من التهيؤ للقيام بالعمل ، ولبذل الجهد ولتحقيق أهداف العمل المنوط به .

٣ - توجيه الشخص إلى نوع العمل المناسب له . وهنا يأخذ الموجه جانبين أساسيين فى اعتباره : الجانب الأول : استعدادات المرء وقدراته الخاصة وميوله ، والجانب الثانى : ما تم له الحصول عليه من معلومات وخبرات ومهارات .

٤ - تغيير وضع الشخص فى العمل وتحويله إلى العمل المناسب له . ففى كثير من الحالات يتطلب التوجيه المهنى تغيير وضع العامل ، سواء فى نطاق عمله أو فى نطاق المصنع أو الشركة الواحدة ، أو فى نطاق بعيد عن النطاق الذى يعمل فيه حاليا . ففى بعض الحالات يشير الموجهون المهنيون بتغيير المهنة أو الحرفة أو تغيير مكان العمل .

٥ - تقديم المشورة النفسية أو القيام بعلاج العامل جسميا أو نفسيا أوجسميا ونفسيا فى الوقت نفسه . وفى بعض الحالات يكون العلاج المطلوب بسيطًا ولا يحتاج إلى مختص فى الأمراض النفسية ، وفى بعضها الآخر لا يكون الشخص بحاجة إلى علاج نفسى ، بل إلى إرشاد نفسى فحسب .

٦ - توفير فرص النمو الخبرى أمام العامل . فلا يكفى أن يستمر العامل أو الموظف مطبقًا ما سبق له تعلمه بمعاهد التعليم أو ما اكتسبه بالتمرين غير المقصود فى أثناء العمل ، بل يجب أن يوفر التوجيه المهنى الخبرات الغزيرة والمتجددة أمام العاملين والموظفين .

٧ - توفير فرص الترقى أمام العاملين فى ضوء الخبرات المتجددة التي يحصلون عليها ، وفى ضوء ما يبدونه من استعداد لتحمل المسئولية .

٨ - إشراك العمال أنفسهم فى التخطيط للعمل وفى تعديل المخططات التى سبق وضعها .

٩ - توضيح أسباب التعديل الذى يطرأ على العمل ، وجعل العمال فى الصورة .

١٠ - بث روح الجماعة والأخذ بمبدإ القيادة الجماعية والترابط بين العمال ، وإشعار العمال بأن العمل ملك لهم ، وأنهم جميعًا مسئولون عنه ، وعن حمايته والتقدم به وتحسين أدائه .

العوامل الموضوعية فى التوجيه المهنى :

١ - وضوح الأهداف التى يتطلبها العمل ، والإلمام بالهيكل الأساسى فى نظام أدائه. فعلى الرغم من أن المطلوب من العامل لا يعدو أن يكون شريحة صغيرة من عمل كبير معقد ، فإن وقوفه على أهداف العمل وعلى الخطوط العريضة المتبعة فى أدائه ، يجعله عضوا حيا فى العمل ويساعده على حسن أدائه وحسن التصرف فيه ، بل ويجعله قادرًا على تعديل ما يجب تعديله ، بل ويصير أقدر على التعاون مع الآخرين .

٢ - ترتيب مقومات العمل وفق قواعد شبه ثابتة . فمما لا شك فيه أن الاتفاق على نظام معين ، وعلى ترتيب ثابت ، إنما يسمح للعامل بممارسة العمل بأكثر يسرًا وبمجهود أقل وبسرعة أكثر . خذ مثالا لذلك الآلة الكاتبة ، إن الاتفاق على نسق واحد بإزاء ترتيب مفاتيح الآلة الكاتبة مهما اختلفت طرزها (ماركاتها) يجعل الكاتب عليها قادرًا على الأداء بسهولة وسرعة . أما إذا وجد أن الترتيب يتغير من ماكينة إلى أخرى فإنه سيكون إذن بحاجة إلى تدريب مستمر ومتجدد كلما جلس إلى ماكينة من طراز مغاير للطراز الذى سبق أن تدرب عليه .

٣ - التمرن على العمليات الآلية المطلوب أداؤها . فلا شك أن العامل المتمرن على العمليات الآلية أو الروتينية المطلوبة قبل أن يسند إليه العمل ، لهو جدير بأداء

عمله بسرعة ودقة وسعادة . ولا يمكن الركون إلى إعمال الذكاء فى الموقف بإزاء كل عملية صغيرة أو كبيرة.

٤ ـ لابد أن يقوم المشرفون على التوجيه المهنى بحصر الحركات المطلوب أداؤها فى كل عمل . ولقد قامت فعلا بعض المؤسسات بتقنين كل الحركات بالأعمال المتعددة وحساب الزمن المطلوب بالثانية للقيام بكل حركة مطلوبة . وفى ضوء ذلك التقنين يطلب من العامل حذف الحركات الزائدة التى تصدر عنه فى أدائه للعمل .

٥ ـ توفير الإضاءة المناسبة للأعمال المختلفة ، فالإضاءة الضعيفة قد تسبب عرقلة العمل ، أو الهبوط بمستوى الأداء أو سرعته ، كما أن الإضاءة القوية الزائدة عن الحد المطلوب قد تسبب أيضًا تعطيل العمل أو عدم إجادة تنفيذه . خذ مثالا للحالة الأخيرة بعض حالات المرض بالمستشفيات تكون بحاجة إلى ضوء هادئ ، فيكون عمل الطبيب ناجحًا فى ذلك الضوء الهادئ ، وتكون الأضواء الشديدة معطلة للعمل وضارة بأدائه ؛ لأنها تكون ضارة بالمريض .

٦ ـ العمل على امتصاص الضوضاء التى تحيط بالعامل . فلقد وجد أن شدة الضوضاء حول العامل تقلل من إنتاجيته وتجعل أعصابه مرهفة ويصير ضيق الذرع بالعمل الذى يقوم بأدائه .

٧ ـ توفير الجو المناسب للعامل بحيث لا يكون المكان الذى يعمل به شديد الحرارة أو شديد البرودة ، وبحيث لا يكون كثير الرطوبة وبحيث يكون جيد التهوية .

٨ ـ توفير الأمن الصناعى للعامل ، وذلك بدراسة الآلات والأخطار المحتمل حدوثها، ودراسة الأسباب التي أدت إلى وقوع الحوادث بمقر العمل والعمل على ملاشاتها أو التخفيف من احتمال الوقوع .

٩ ـ توفير الأجور المناسبة التى تجعل العامل شاعرًا بكرامته وبأنه يستطيع أن يسد نفقاته ونفقات عياله .

١٠ ـ حساب التكاليف والأرباح وإعلان ذلك على العمال ، وتوزيع نسبة من الأرباح عليهم .

العوامل الذاتية فى التوجيه المهنى :

١ - صحة العامل وخلوه من الأمراض وتمتعه بالحيوية والنشاط . وواضح أن العامل الصحيح البنية أكثر قدرة على الإنتاج من العامل المعتل البدن ، أو الذى يشكو من ألم فى جسمه .

٢ - إحساس العامل بالسعادة فى أداء العمل ؛ فالعامل السعيد فى عمله ، والذى يحس بالطمأنينة فى أدائه ، لهو أقدر على أدائه ، ويكون أكثر دقة فى الأداء ، وأكثر بذلا للجهد فيه .

٣ - اقتناع العامل بأن العمل المسند إليه مناسب له ؛ ذلك أن العامل الذى يتبرم بالعمل المسند إليه ، أو الذى يحس بالاحتقار نحوه ، إنما يكون أقل إنتاجية فى أدائه كما أنه يكون أقل كفاية فى الإنتاج ، بل ويكون عرضة للأخطاء والإهمال.

٤ - إحساس العامل بالوئام مع زملائه ورؤسائه ومرءوسيه . فالعامل الذى يحس بأنه محبوب من الأشخاص المحيطين به فى مقر العمل ، وبأنه شخصية مرغوب فيها ، يكون أكثر إقبالا على العمل من الشخص الذى يحس بأنه مكروه وغير مرغوب فيه .

٥ - إحساس العامل بأنه مسموع الرأى وأن المسئولين يصغون لمقترحاته ونقده . فتقدير أفكار العامل وما يصدر عنه من مقترحات إنما يعمل على إحساسه بالمسئولية وبأنه عضو حى له تقديره فى العمل .

٦ - توفير الراحة للعامل لبعض الوقت فى أثناء العمل . فلا شك أن الراحة ولو لفترة وجيزة خلال العمل لما يجدد نشاط العامل ، ويدفعه إلى بذل الجهد خلال وقت العمل .

٧ - إحساس الشخص فى العمل بأنه مطلوب كإنسان قبل أن يكون مطلوبًا كعامل ؛ ذلك أن الناس يرغبون فى أن يعتبرهم الآخرون غايات لا وسائل . فإذا ما شاعت الروح الأسرية فى العمل ، وأحس العامل بأنه مطلوب لذاته ، فإنه يبذل عندئذ الجهد المتواصل ويقدم التضحيات الكبيرة فى سبيل إنجاز العمل وحسن أدائه.

٨ - إحساس العامل بأن الطريق مفتوح أمامه للترقى والتقدير وبأن الترقيات ليست وقفًا على أقرباء الرؤساء وأصحاب الوساطات .

٩ - إحساس العامل بأن فى مقدوره أن يجدد فى العمل المسند إليه أداؤه وبأنه صاحب سلطة فى نطاق معين من العمل ، وبأنه ليس مسيرًا وفق رغبات الرئيس، أو وفق سلطة الروتين الجامد .

١٠ - إحساس العامل بأنه موضع ثقة الرؤساء فى أداء العمل ؛ وبأنه حتى إذا فشل فى محاولات الابتكار ، فإنه سوف لا يعاقب أو يلام . فتوفير الثقة للعامل وإعطاؤه فرصة للعمل والابتكار - حتى إذا تعرض للأخطاء المعقولة - يوفر له ركنًا أساسيا للنجاح فى العمل .

١١ - إحساس العامل بأن كفة الثواب ترجح كفة العقاب . وهذا الإحساس يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإحساس بالأمن . ومما لا شك فيه أن المكافآت أقوى فاعلية فى حمل العامل على الإنتاج من توقيع العقوبات عليه .

العقبات القائمة أمام التوجيه المهنى :

١ - يعتمد الأخذ بالتوجيه المهنى على الإيمان به وبجدواه . ويبدو أن عقول أصحاب الأعمال لم تتهيأ بعد لاعتبار التوجيه المهنى - بفنونه المتباينة - أساسًا فى الاختيار المهنى وفى التوجيه المهنى .

٢ - يحتاج التوجيه المهني إلى تكاليف كثيرة . فلابد من إعداد فئة من المشتغلين بعلم النفس لهذا النوع من الدراسة والأداء . وواضح أنه لا يكفى أن يكون الشخص متخصصًا فى علم النفس العام ، لكى يقوم بالتوجيه المهنى ، بل لابد من تدريبه على فنون التوجيه المهنى ، وكسبه للمعلومات الخاصة بهذا المجال وإتقانه للمهارات الخاصة به . وبالإضافة إلى هذا يجب أن تتوافر أجهزة القياس التى تستخدم فى الكشف عن الاستعدادات والقدرات . ولاشك أن هذا يحتاج إلى تكاليف باهظة سواء فيما يتعلق بإعداد الأخصائيين فى التوجيه المهنى ، أم فيما يتعلق بالأجهزة والأدوات .

٣ ـ ولكى يتم ذلك ـ بفرض أن ميزانية الدولة تسمح بذلك ـ فلابد من إنفاق وقت طويل فى سبيل ذلك .

٤ ـ من المشكلات التي تجابه التوجيه المهنى أنه فى حالات كثيرة تتعارض الميول التى يبديها الشخص مع استعداداته وقدراته الخاصة التى تكشف عنها أدوات القياس والاختبارات . ويكون من الصعب إقناع الشخص بأن ما تكشف عنه الأقيسة أرسخ قدمًا مما يحس به من ميل .

٥ ـ كثير من المشتغلين بعلم النفس والراغبين فى التمرس بالتوجيه المهنى لا تتوافر لهم خلفية متينة تتعلق بطبيعة الأعمال التى يراد التوجيه المهنى فى نطاقها . ولا شك أن جهل الموجه المهنى بطبيعة العمل وما يشتمل عليه من عمليات ؛ يحول بينه وبين القيام بالتوجيه المهنى السليم .

٦ ـ الواقع أن السلطة فى الأعمال المختلفة تتركز أكثر ما تتركز فى أيدى المديرين والرؤساء . فحتى إذا أخذ بمبدإ التوجيه المهنى ، فإن رأى الموجه المهنى لا يعدو أن يكون رأيًا استشاريا .

٧ ـ من الصعوبات التى تعتور طريق التوجيه المهنى اتساع قاعدة العمل وضيق نطاق المشتغلين بعلم النفس بوجه عام والمشتغلين بالتوجيه المهنى بوجه خاص .

٨ ـ لا شك أن التوجيه المهنى يعد فى أولى مراحله ـ وبخاصة فى مصر ـ وبالتالى فإن ملامحه لم تتضح بعد ، وفنونه ما تزال غير متبلورة .

٩ ـ معظم المقاييس والتجارب التي أجريت بصدد التوجيه المهنى قد تمت بالخارج وكثير منها لا يصلح للتطبيق على واقعنا العربى وبحاجة إلى جهد لكى يصبح موائمًا لواقعنا القومي .

١٠ ـ يرتبط التوجيه المهنى بالتوجيه التربوى ارتباطًا وثيقًا . فما لم يؤخذ بالتوجيه التربوى ويطبق على واقعنا التعليمى ، فيكون من المتعذر تطبيق التوجيه المهنى . ومن المعلوم أن مدارسنا لا تأخذ بالتوجيه التربوى ، بل تأخذ برغبة ولى الأمر من جهة ، وبمجموع الدرجات من جهة ثانية . والمفروض أن يؤخذ بالتوجيه التربوى أولا ؛ حتى يتسنى الأخذ بعد ذلك بوسائل التوجيه المهنى .

التوجيه التعليمى والأسس التي يقوم عليها :

الأسس الفلسفية التي يقوم عليها :

١ - حصول الموجه التعليمي (التربوى) على معرفة شاملة بالطبيعة الإنسانية وبتكامل جوانب الشخصية بعضها مع بعض .

٢ - الإيمان بأن الفرد هو صانع حياته ومصدر قراراته ، وبأنه يستطيع الإمساك بزمام حياته وتوجيهها إذا ما توافرت له المعرفة السليمة والإرادة الصالحة .

٣ - الاعتراف بما بين الأفراد من فروق فردية ؛ وبأن الحياة بصفة عامة ، والمجالات التربوية بصفة خاصة ، تستطيع استيعاب جميع الأفراد حسبما يتفق لكل منهم من استعدادات وقدرات وميول فردية .

٤ - الإيمان بإمكان إصلاح المعوج والاستهداء من جديد بالطريق السليم .

٥ - الاقتناع بأن حياة الإنسان سلسلة متصلة الحلقات بدءًا بالمرحلة الجنينية وانتهاء إلى الشيخوخة.

٦ - الإيمان بالإفادة من المعلومات التى تتجمع حول الفرد ، سواء فيما يتصل بإمكانياته واستعداداته ، أم فيما يتعلق بما مر به من خبرات .

٧ - الاعتقاد فى أن هناك طريقًا أصلح للفرد من الطرق الأخرى الممكنة : يجب توجيهه نحوه .

٨ - الإيمان بالتكامل بين رسالة الأسرة ورسالة المدرسة .

٩ - الإيمان بالتكامل بين مجالات اكتساب الخبرات (التعليم) وبين مجالات اكتساب الرزق (العمل) .

١٠ - الإيمان بأن الأساس والمحور هو شخص التلميذ وليس المنهج . فالمنهج وسيلة لمساعدة شخصية التلميذ على النمو على نحو سليم ، وليست شخصية التلميذ تابعة للمنهج .

الأسس العملية للتوجيه التعليمى :

١ - قياس استعدادات التلميذ العقلية وقدراته الخاصة (مستوى الذكاء - القدرة اللغوية الحسابية ... إلخ) .

٢ - الوقوف على ظروف الأسرة والخبرات التي مرت بها والتى تؤثر بالتالى فى شخصية الطفل واتجاهاته .

٣ - استخدام البطاقة المدرسية ، ومراعاة الدقة فى ملئها ، والإفادة منها فى التوجيه .

٤ - دراسة حالة التلميذ فى ضوء النتائج التى تسفر عنها الاختبارات التحصيلية اليومية والفترية .

٥ - دراسة التقارير التى تكتب عن التلميذ ، وعن سلوكه بالمدرسة وخارجها .

٦ - الإفادة من دراسة الحالات التي تجرى حول بعض الطلبة المشكلين .

٧ - الوقوف على رأى الطالب عن نفسه وما يبديه من ميول ورغبات .

٨ - الوقوف على نوعية النشاط الذى يشترك فيه الطالب بالمدرسة .

٩ - تقسيم الطلبة إلى فئات متجانسة المستوى والاتجاهات ، وتخصيص مدارس أو فصول خاصة لأصحاب الذكاء المنخفض أو أصحاب الذكاء الخارق أو سيئى التكيف ... إلخ .

١٠ - الربط بين مشكلات الدراسة والمشكلات النفسية والانفعالية ، ومحاولة حل المشكلات الدراسية عن طريق حل المشكلات النفسية والاجتماعية .

ارتباط التوجيه التعليمى بالتوجيه المهنى :

الواقع أن الأساس الذى قامت عليه المدرسة أول ما قامت على مسرح الحياة هو أساس حرفى ؛ ذلك أن المجتمع البدائى وجد لزامًا عليه أن يخصص فئة من الناس لنقل الخبرات المفيدة المتعلقة بالصيد والقنص إلى الناشئة .

بيد أن المدرسة لم تظل حرفية فى رسالتها كما بدأت ، بل إن رسالتها صارت ثقافية وقيمية بعد أن تعقدت الحضارة وبعد أن تبلورت القيم الاجتماعية متمثلة فى الأديان السماوية . فصارت المدرسة مهتمة بالجانب الاجتماعى والروحى من التربية أكثر من اهتمامها بالجانب الحرفى وبخاصة فى مراحل التعليم الأولى .

ولكن على الرغم من ذلك ، فإن فلاسفة التربية وواضعى المناهج ما فتئوا ينادون بأن تكون المناهج مفيدة نفعية ، وأن ينال الجانب العملى الوظيفى الاهتمام الأكبر عند وضع المنهج . فحتى بالنسبة للمراحل الأولى من التعليم فإن غالبية المواد التى تدرس تعد بمثابة أساس لما سيتعلمه التلميذ من مواد عملية تتصل بمهنته أو حرفته فى المستقبل التى سيرتزق من ممارسته لها .

ويجب ألا ننسى أن شطرًا كبيرًا من أنواع التعليم ومراحله يعد مجالا مهنيا أو إعدادًا حقيقيا للمهنيين . ولا شك أن توجيه الطالب إلى معهد فنى أو إلى إحدى الكليات إنما هو فى صميمه مهنى بمعنى الكلمة ؛ إلى جانب كونه توجيهًا تعليميا .

وليس من شك فى أن المصانع والمؤسسات والمصالح الحكومية تعقد الحلقات التدريبية والدراسات التجديدية التى تعد توجيهًا تربويا ومهنيا فى الوقت نفسه .

ومن هذا يتضح بجلاء الارتباط الوثيق القائم بين التوجيه التعليمى أو التربوى ، وبين التوجيه المهنى .

مجالات التوجيه التربوى :

١ - يبدأ التوجيه التربوى بأولئك الذين يعتزمون تكوين أسرة جديدة ، والذين يحتمل أن يتولوا مسئولية توجيه الطفولة فى المستقبل القريب . فعلى المسئولين عن التربية تبصير المقبلين على الزواج بالواجبات التربوية المنوطة بالأسرة ، والوسائل التى يجب اتباعها فى رعاية وتوجيه الأطفال وبخاصة فى الفترة الأولى من العمر .

٢ - ثم تأتى مسئولية التوجيه من جانب الكبار - سواء كانوا آباء وأمهات أم مدرسين بالحضانة - بإزاء الطفل فى طفولته الأولى . وواضح أن دور الحضانة قد صارت اليوم شريكة شرعية للأسرة فى رعاية الطفل ابتداء من سن أربعين

يومًا حتى التحاقه بالمدرسة الابتدائية . والتوجيه خلال هذه الفترة يكون غير مباشر ؛ وذلك بملاحظة الطفل ؛ ثم تحويله عن السلوك الردىء إلى السلوك السليم ، وذلك بإبعاد المؤثرات الرديئة عنه وتوفير المؤثرات الطيبة له . ولا مانع طبعًا من إقناع الطفل بما نريده منه واستمالته نحو الطريق التى نريدها له .

٣ - ثم تأتى بعد هذه المرحلة مرحلة توجيه الطفل خلال طفولته الثانية ، وهى المرحلة التى يقضيها بالمرحلة الابتدائية . وفى هذه المرحلة ينصب التوجيه على المواد الدراسية التى يتعلمها بالإضافة إلى مشكلات السلوك والنظام وغير ذلك.

٤ - ثم تأتى بعد ذلك مرحلة توجيه الطفل خلال المراهقة. وفى هذه المرحلة يكون هناك ارتباط وثيق بين المشكلات الانفعالية والاجتماعية . ويكون على الموجه التربوى أن يبحث فيما وراء المظهر التعليمى للمشكلة ، والغوص إلى حقيقتها الانفعالية والاجتماعية . والإرشاد النفسى هنا يكون ذا فاعلية كبيرة فى التوجيه التربوى .

٥ - ثم تأتى مرحلة توجيه الطالب خلال مرحلة الشباب بالمدرسة الثانوية . والتوجيه ينصب هنا على استكشاف استعدادات الطالب وتوجيهه الوجهة المناسبة لاستعداداته وقدراته الخاصة . ويتوقف على نجاح التوجيه خلال هذه المرحلة نجاح الطالب خلال دراسته الجامعية فى المستقبل بعد انتهائه من التعليم الثانوى .

٦ - وبالنسبة لأولئك الذين يلتحقون بالجامعة ؛ فإن على التوجيه التعليمى مهمة إعداد الطالب الجامعى لنوع جديد من الدراسة لا تعتمد على مقرر محدد بكتاب مدرسى بل تعتمد على إقدام الطالب بنفسه على التنقيب عن المعرفة فى بطون الكتب والمراجع . فلم يعد الأستاذ هنا يقدم معرفة محصورة فى نطاق محدود ، بل صار يضع الطالب فى أول الطريق ويتركه ليتمه برغبته وإرادته . فالتوجيه التربوى فى هذه المرحلة يستهدف تحقيق الفطام التعليمى للطالب وتوفير حرية البحث والدراسة وتكوين شخصية ثقافية مستقلة له .

٧ - ومن الممكن أن ننظر إلى التوجيه التربوى من زاوية أخرى هي زاوية شخصية الفرد . وفى الشخصية نجد قطاعات أربعة : قطاعًا جسميا وقطاعًا وجدانيًا وقطاعًا عقليا ، وقطاعا اجتماعيا . ومن ثم فإننا نجد هناك أربعة أنواع من التوجيه التربوى : توجيه يتصل بالكيان الجسمى والصحة ، وتوجيه يتصل بالكيان النفسى الوجدانى والانفعالى ، وتوجيه يتصل بالقطاع أو الكيان العقلى والتحصيلى ، وتوجيه يتصل بالكيان الاجتماعى للشخصية .

٨ - ومن الممكن أيضًا أن ننظر إلى التوجيه التربوى من زاوية أخرى وذلك بعمل قطاع مستعرض للمدرسة . فنجد توجيهًا بالفصل وبالفناء وتوجيها بالأنشطة التى تدور خارج المدرسة كالجولات والرحلات والزيارات ، وتوجيهًا للطفل فى نطاق أسرته ، أو للأسرة ككل باعتبارها الإطار التربوى الذى يضم الطفل فى رحابه .

٩ - وقد ننظر إلى التوجيه التربوى فى ضوء مراحل النمو التى يمر بها الشخص الواحد . فالتوجيه التربوى الذى يتم للشخص فى مرحلة عمرية أو دراسية يتباين عنه فى المراحل العمرية أو الدراسية التالية . ناهيك عن أن لكل شخص ظروفًا خاصة واستعدادات وخبرات تميزه من غيره من أفراد . وهذا يجعل للتوجيه الفردى وزنًا أكبر من وزن التوجيه الجمعى .

١٠ - وهذا يسوقنا أخيرًا إلى تمييز نوعين من التوجيه التربوى : نوع فردى ، وآخر جمعى . والنوع الأول يختص ويركز على شخص واحد ، بينما يتناول النوع الثانى مجموعة من الأفراد ويقوم بتوجيههم تعليميا .

إعداد الموجهين التربويين :

بدأت الدراسة الخاصة بالموجهين التربويين فى أول نشأة التوجيه التربوى بسيطة لا تتعدى الالتحاق بدراسة أو قطع مقرر يستمر عدة أسابيع . ولكن الأمر ما لبث أن تطور وارتقى حتى أصبح من الضرورى للموجه أن يتابع دراسة طويلة

صعبة تصل فى بعض الأحيان إلى ضرورة الحصول على درجة الدكتوراة فى علم النفس . ففى عام ١٩٠٨ قامت جمعية الشبان المسيحية ببوسطن بتنظيم دراسة ترتبط بمكتب التوجيه المهنى الذى كانت تشرف عليه . وفى عام ١٩١٠ طلب مدير التعليم فى بوسطن من نفس المكتب أن يقوم بتدريب بعض المدرسين على القيام بعمليات التوجيه المهنى . وفى عام ١٩١١ قامت جامعة هارفارد بتنظيم دراسة فى التوجيه فى أثناء الصيف . على أن أول دراسة تمت فى أثناء الفصل المدرسى العادى كانت فى عام ١٩١٣ فى جامعتى كولومبيا وميسورى ، واعتبرت هذه الدراسة جزءًا من المقررات التى تدخل فى دراسة الطالب . واستمر التوسع فى تقديم الدراسات الخاصة بالتوجيه ، وخاصة المهنى والتربوى ، يزداد سنة بعد أخرى إلى أن أنشئت أقسام فى الدراسات العليا لهذه الدراسات فى أمريكا وغيرها ، وتمنح هذه الأقسام درجات الماجستير والدكتوراة فى هذا الميدان .

وتطور الأمر من ناحية المشتغلين بالتوجيه أيضًا ، فبعد أن كانوا من المشتغلين بالتدريس أو الخدمة الاجتماعية الذين يقومون بالتوجيه كعمل إضافى بجانب عملهم الأصلى ، صاروا من المختصين الذين مروا بدراسة وتدريب خاصين ، وحصلوا على درجة جامعية ، قد تصل إلى مستوى الماجستير والدكتوراة فى هذا الميدان ، كما أنهم أصبحوا متفرغين لعملهم ، بل وأصبح هناك نوع من التخصص فى التوجيه إذا ما سمحت الظروف والإمكانيات بهذا .

وبالإضافة إلى هذا أخذت بعض الولايات فى أمريكا فى قصر التوجيه على الحاصلين على الدراسات فى هذا الميدان فى مستوى يزيد على مستوى الليسانس أو البكالوريوس .

وفى مصر يتزايد الأخذ بمبدإ التوجيه التعليمى ، ولكن لم ينضج الوعى تمامًا بما للتوجيه التربوى من أهمية ، وما نزال فى أول الطريق ، آملين فى المستقبل أن نلحق بمن سبقونا فى هذا المضمار . ولا شك أن هذا يعتمد على مدى إيماننا بعلم النفس وبالتطبيقات النفسية فى المجال التعليمى .

الصفات الواجب توافرها فى الموجه التربوى :

١ - التوجيه التربوى مهنة تختلف فى طبيعتها بعض الشىء عن مهنة التدريس ، ولذا يجب تحديد الصفات اللازم توافرها فى الموجه ، بحيث لا يقبل من المتقدمين إلى هذا العمل إلا أولئك الذين يثبت أن لديهم استعدادات وقدرات خاصة مناسبة .

٢ - بيد أن الاستعدادات وحدها ليست بكافية لكى يصير الشخص موجهًا تربويا ناجحًا ، بل لابد من الحصول على دراسة وتدريب على أصول التوجيه التربوى والأسس النظرية والسيكلوچية التى يقوم عليها .

٣ - ولا بد قبل تلقيه لهذه الدراسة المتخصصة ، أن يكون قد حصل على دراسة عامة لعلم النفس ، وبخاصة ما كان متعلقًا بخصائص مراحل النمو .

٤ - ومن البديهى أن يكون المتقدم للعمل كموجه تربوى راغبًا فيه ولديه ميل إليه .

٥ - يجب أن يكون الشخص متمتعًا بقدر كبير من الاتزان الوجدانى الانفعالى ، وألا يكون عرضة للتقلبات المزاجية .

٦ - أن يكون ذا خبرة فى مجال التعليم حتى يكون واقفًا على المشكلات التى يتعرض لها التلاميذ والطلاب .

٧ - أن يكون مسايرًا لكل التطورات التى تقع بالمناهج والأنشطة المدرسية ، وذلك حتى يكون على وعى بالمطالب الدراسية والاجتماعية الملقاة على كاهل الأطفال والشباب .

٨ - يجب أن يكون الشخص المتقدم إلى هذا العمل قادرًا على التفسير والربط. والواقع أن القدرة على التفسير والربط بين ما يصدر عن الطفل من تصرفات لهى عملية دقيقة تحتاج إلى خصائص لا يحصل عليها إلا القليلون .

٩ - التمتع بالصبر على الاستماع وعلى دراسة المشكلات التى تجابه الأطفال والمراهقين والشباب والوقوف على تفاصيلها .

١٠ - التمتع بالقدرة على التكتم على الأسرار التى يفضى بها الأطفال والمراهقون والشباب وعدم البوح بها لأحد .

ولقد ورد بتقرير إدارة التعليم فى ولاية كالفورنيا أن من الضرورى أن يتصف الموجه التربوى بالخصائص والاتجاهات الآتية :

أولا - الخصائص الشخصية :

١ - القدرة على التعاون فى العمل مع الآخرين .

٢ - التمتع بروح الحماس والإيمان بقدرة الإنسان على التحسن .

٣ - القدرة على الإيحاء بالثقة فى الآخرين وإقامة علاقات سريعة معهم .

٤ - التكيف والنضج النفسى .

٥ - القدرة على الاحتفاظ بالموضوعية فى العلاقات الإنسانية .

٦ - سلامة الحكم والتقدير .

٧ - الاستعداد لأن يعمل الموجه ما هو أكثر من الواجب .

٨ - فهم مشكلات الفئات المختلفة والرغبة فى حلها .

٩ - الميل الشديد للارتقاء بمستوى الأداء التربوى .

ثانيا - الاتجاهات الواجب توافرها لدى الموجه التربوى :

١ - الميل الحقيقى لحل مشكلات التكيف لدى المراهقين والشباب .

٢ - القدرة على الحصول على الرضاء الشخصى من مساعدة الأفراد على حل مشكلاتهم .

٣ - الاحترام السليم للفرد والتحرر من التحزب أو التعصب .

٤ - الاعتراف بالفروق الفردية وتقبلها ، والرغبة فى فهم سلوك الناس لا مجرد الحكم عليه .

٥ - القدرة على فهم الذات وتقبلها بحيث يتحرر الموجه من الرغبة فى إسقاط مشاعره على الآخرين ، أو محاولة إظهار نقائصهم .

٦ - الاعتراف بنواحى العجز فى المعلومات أو الأساليب التى يستخدمها ، أو ظروف العمل وبذل الجهد فى حدود الإمكانيات المتاحة .

٧ - الاعتراف للمراهق بحقه فى إصدار القرارات الخاصة به .

٨ - الاهتمام بالمجتمع الذى يعيش فيه المراهق ونظمه الاجتماعية والاقتصادية ومشكلاته .

٩ - الاتجاه الموضوعى الناضج نحو الطلبة والمدرسين والآباء وأفراد المجتمع الذى يعيش فى نطاقه .

* * * *

الفصل السابع

تقويم المراهقين والمراهقات بمراحل التعليم

المعنى اللغوى لكلمة « تقويم » :

تدل كلمة تقويم على تقدير قيمة الشىء ، كما تدل على معنى الإصلاح وجعل الشىء قويا . وهناك أيضًا معنى ثالث لهذه الكلمة هو التحديد الزمنى للسنين والأشهر والأيام ، كما هو الحال فى التقويم الهجرى والتقويم الميلادى .

وعلى الرغم من أن العرب لم يستخدموا كلمة « تقييم » للدلالة على معنى تقدير القيمة ، وعدم ورودها بالمعاجم العربية ، فإن المجمع اللغوى أقر استخدام كلمة « تقييم » للدلالة على معنى تقدير القيمة ، وذلك بسبب ذيوعها على أقلام الكتاب والمتحدثين ، وأيضًا لأن هذه الكلمة لا تلتبس فى معناها على من يقرؤها أو يسمعها.

ومعنى هذا : أن بوسع الكاتب أو المتحدث أن يستخدم كلمة « تقويم » أو كلمة «تقييم » للدلالة على معنى تقدير قيمة الشىء ، ولكننا سنستخدم الكلمة الأولى فقط ؛ لأننا فى مجال التربية لا نستهدف تقدير حالة التلميذ فحسب ، بل نستهدف إصلاح ما اعوج من سلوكه أيضًا . فنحن نقصد إذن بالتقويم معنى تقدير القيمة ، ومعنى الإصلاح فى نفس الوقت . وبهذا نستطيع أن نربط بين التقويم وبين التوجيه، وألا نقيم حاجزًا بين عمليتى تقدير حالة تلميذ وبين عملية توجيهه .

معنى التقويم فى التربية :

١ - تقدير الجانب التحصيلى لدى الطالب ، ولدى مجموعته التى يندرج فيها فى ضوء معايير تحصيلية عامة متفق عليها بخصوص الصف الدراسى الذى يقع فيه ذلك الطالب ثم محاولة التقدم بالجوانب الحسنة وملافاة الجوانب الرديئة.

٢ - تقدير الجانب النفسى للطالب ومدى تمتعه بالصحة النفسية ، وذلك فى ضوء الظروف التى تحيط به ، والمعاملة التى يلقاها بالبيت والمدرسة ، ثم محاولة علاج العيوب فى بيئة الطالب وفى طريقة معاملته ، والتخفيف من حدة التوتر عنده.

٣ - تقدير الجانب الاجتماعى وقياس نموه الاجتماعى ، والوقوف على مدى انسجامه فى الوسط الاجتماعى ، وأسباب عدم نجاحه فى التكيف لبيئته الأسرية أو بيئته المدرسية ، ومحاولة تلافى أسباب نقص التكيف ، والتأكيد على عوامل نجاح التكيف الاجتماعى .

٤ - تقدير العملية التعليمية وموقف المعلم فيها من طلبته . ولا شك أن هذه العملية التقويمية لعمل المدرس لا تقف عند حد التقويم ، بل تمتد إلى محاولة تعديل سلوك المدرس نفسه مع الطلبة ، وتعديل طرائق تدريسه .

٥ - تقدير المناهج الدراسية والمقررات . وللمنهج جانبان : مضمون المنهج وطريقة تدريسه . والمعروف أن إعادة النظر باستمرار فى المناهج ضرورة تعليمية فى نفس الوقت ؛ ذلك لأن العلم فى تطور مستمر ، وما نقول بصحته اليوم ، قد نعتبره خطأ فى المستقبل القريب أو فى المستقبل البعيد . أما طرق التدريس فإنها متطورة أيضًا باستمرار ، وتكتشف طرق جديدة أفضل من الطرق القديمة. فتقويم المنهج ضرورى للأخذ بالجديد الأفيد وحذف القديم البالى .

٦ - تقدير الإدارة المدرسية من حيث مدى صلاحيتها فى تحقيق أهداف المدرسة كما يريدها المجتمع . ويتطلب هذا تقرير الفلسفة التى تسير عليها الإدارة المدرسية.

٧ - تقدير مدى كفاية تمويل المدرسة وتوفير الأدوات والوسائل المستخدمة فى خدمة التلاميذ اجتماعيا وصحيا وعلميا .

٨ - تقدير الفلسفة التربوية العامة للتعليم والأهداف التى رسمت له ، ومدى صلاحية ذلك فى ضوء التطورات الاجتماعية والسياسية الحادثة .

٩ - تقدير قيمة التأثير التربوى للأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، وإلى أى حد يتمشى ويتسق ذلك التأثير مع تأثير المدرسة فى الطلبة .

١٠ - تقدير القيم السلوكية الاجتماعية وما يعتريها من تطور ، وموقف المؤسسة التربوية منها . من أمثلة تلك القيم إطالة الشعر بالنسبة للذكور .

١١ - تقدير أهداف المجتمع السياسية ، والتخطيط لوسائل تحقيق الأهداف بالمؤسسات التربوية .

١٢ - تقدير الجانب الحرفى والمهنى بالتعليم ، ومدى نجاح المدرسة فى تخريج العامل والفلاح والموظف والتاجر الناجحين والمنتجين .

١٣ - تقدير الجانب التذوقى وإلى أى حد استطاعت المدرسة تخريج الشخصية التى تتذوق الجمال ، وتحافظ عليه ، وتخلقه فى مواقف الحياة المختلفة .

١٤ - تقدير الجانب المنطقى ، وإلى أى حد استطاعت المدرسة تخريج الشخصية القادرة على التفكير بطريقة منطقية ومتسقة .

١٥ - تقدير مدى نجاح المؤسسات التربوية فى خلق المواطن المتمتع بضمير حى بحيث يصدر سلوكه عن صميم كيانه ، ولا يكون مجرد سلوك مدفوع به من الخارج .

١٦ - تقدير مدى نجاح المؤسسات التربوية في إعداد المواطن المتعاون والمتنافس .

١٧ - تقدير صحة الطالب وكيانه العضوى وإلى أى حد استطاعت المؤسسات التربوية الحفاظ عليه ، والوقوف على عيوبه الموروثة والمكتسبة وتخليصه منها أو التخفيف من حدتها على الأقل .

١٨ - تقدير مدى قدرة المؤسسات التربوية على تحقيق السعادة للفرد فى نطاق الجماعة وجعله متطلعًا إلى الأمل فى مستقبل باسم ومتمتعًا بحاضر سعيد .

١٩ - تقدير مدى قدرة المؤسسات التربوية على خلق المواطن المبتكر ، الذى يستطيع أن يشق طريقًا جديدة في عمله ، بحيث يستطيع أن يجدد فى إنتاجه وفى نشاطه إلى أقصى درجة تسمح بها قدراته واستعداداته .

٢٠ - تقدير مدى قدرة المؤسسات التربوية على رعاية الروح الدينية بين أبنائها ، ومدى قدرتها على تثبيت المثل العليا الروحية فى قلوبهم ، وغرس الإيمان بالله والقيم الدينية بغير تزعزع أو ارتياب .

طرق متعددة للتقويم :

١ - **التقويم على أساس الانطباع الشخصى :** فنحن كثيرًا ما نقوِّم المناهج والطرق المتبعة فى التدريس بغير اعتماد على مقياس معين نقدر قيمتها بواسطته ، بل يكون حكمنا قائمًا على أساس من تذوقنا الشخصى وميولنا الشخصية . ومثل هذا التقويم على الرغم من عدم دقته ، فإنه تقويم ضرورى لا غنى لنا عنه ، لأننا لا نستطيع أن نقيس كل شىء . فليس بوسعنا مثلا أن نقيس كمية الجاذبية فى شخصية المدرس .

٢ - **التقويم على أساس الرأى العام (الاستفتاء) :** ففى بعض الأحيان يتم التقويم باستطلاع رأى المجموعة فى بنود معينة تطرح أمامهم . من أمثلة ذلك استفتاء قدم إلى طلبة الصف الثالث الإعدادى فى إحدى المدارس على النحو التالى :

ضع علامة صح أمام إجابة واحدة ترى أنها هى الإجابة الصحيحة : ما الشىء الذى يعجبك فى مدرسك ؟

- شرح الدروس شرحًا جيدًا .
- قوله النكت وتمتعه بالروح المرحة .
- ترك التلاميذ يتكلمون .
- اشتراك التلاميذ فى الشرح .
- إعطاء واجبات منزلية كثيرة .
- إعطاء واجبات منزلية قليلة .

٣ - **التقويم لحالة بتتبعها :** ففى بعض الأحيان يقوم المدرس بدراسة فرد واحد لفترة معينة لغرض من الأغراض التربوية . وقد يكون الهدف من ذلك هو الوقوف على الأسباب المخبوءة وراء مشكلة من المشكلات السلوكية ، أو لحصر بعض الخصائص أو السمات فى سن معينة لمراعاتها وأخذها فى الاعتبار . لقد كان لهذه الطريقة الفضل فى علاج كثير من حالات التأخر الدراسى ؛ ذلك أن تتبع الحالة يسمح بتقصى الأسباب الشخصية والمدرسية التى سببت ذلك التأخر.

٤ ـ **تقويم مجموعة** : بينما يتم تتبع حالة فردية فى التقويم السابق ، فإن التقويم هنا ينصب على مجموعة بكاملها (أحد الفصول مثلا) كأنها شخص واحد . وكما ينبغى أن يكون التقويم التتبعى الفردى شاملا لجميع جوانب الشخصية (الناحية الجسمية ، والناحية الوجدانية ، والناحية العقلية ، والناحية الاجتماعية) كذلك ينبغى هنا أن يكون التقويم التتبعى شاملا .

ويتم التقويم للمجموعة تدريجيا وذلك بأخذ ناحية واحدة ثم الناحية الثانية فالثالثة فالرابعة ... إلخ . ويمكن الاستعانة بالمعلومات التى سجلها المدرس ببطاقة الطالب بالنسبة لطلبة الفصل ككل ، واستخراج المتوسط العام ،فيحيل مجموعة تلاميذ الفصل إلى حالة واحدة ، وذلك بالتوصل إلى رقم واحد ، تقوَّم به كل ناحية من النواحى الأربع المذكورة .

٥ ـ **تقويم الاستعدادات العقلية** : يرى علماء التربية أننا يجب أن نراعى حالة الطالب واستعداداته قبل أن نقدم إليه إحدى الخبرات . فيجب أن يكون الطالب كفؤا لتقبل الخبرة المقدمة ، وأن يكون لديه استعداد عقلى مناسب لتقبلها . ومن هنا نشأت الاختبارات العقلية ، وهى بصفة عامة اختبارات الذكاء ، واختبارات القدرات الخاصة .

٦ ـ **مقاييس الشخصية** : للشخصية صفات ثابتة نسبيا تتصف بها يطلق عليها علماء النفس لفظ « سمات الشخصية » . فهناك مثلا شخصية انطوائية وأخرى انبساطية . وهناك من جهة أخرى شخصية واقعية وأخرى رومانسية . ولقد حدد علماء النفس مقاييس يمكن بواسطتها تحديد سمات الشخصية .

٧ ـ **مقاييس الاتجاهات** : يستخدم لفظ اتجاه فى علم النفس للدلالة على مجموعة من العواطف المتبصرة بأفكار والرامية نحو أهداف عامة يمكن أن يكتسبها شخص أو مجموعة أشخاص لخدمة هدف مشترك . من أمثلة ذلك الاتجاه نحو اتباع النظام بالمدرسة والاتجاه نحو طاعة الأوامر المدرسية ... إلخ . ولقد حدد علماء النفس مقاييس يمكن بواسطتها قياس الاتجاهات .

٨ ـ **الاختبارات التحصيلية** : ولعل هذا النوع من الاختبارات هو أقدمها جميعًا ، وأكثرها إثارة لاهتمام الناس . فالامتحانات الفترية وامتحانات النقل والامتحانات العامة تقع جميعًا فى نطاق هذا النوع الأخير من الاختبارات التحصيلية.

أهمية تقويم تحصيل العمل المدرسى

أولاً - بالنسبة للطالب :

١ - التقويم التحصيلى يمكّن الطالب من معرفة مستواه بين أقرانه .

٢ - يعمل التقويم التحصيلى على وقف الطالب على المواد التى تحتاج منه إلى عناية خاصة .

٣ - التقويم التحصيلى فرصة لوقف الطالب على عيوبه فى الاستذكار والوقوف على المعوقات التى تحول بينه وبين النجاح ، أو بينه وبين التفوق . وهذا ما يعرف بالتغذية المرجعية (إصلاح الشخص لنفسه بنفسه) .

٤ - يعمل التقويم التحصيلى على تشجيع الطالب على التفوق فى المواد التى يثبت أنه متقدم فيها .

٥ - يشجع الاختبار التحصيلى الطالب على الاستذكار بكثرة قبيل انعقاده .

٦ - الاختبار التحصيلى التحريرى فرصة فى حد ذاته للتدريب على الكتابة والتعبير عن الأفكار تحريريا ، كما أن الاختبار التحصيلى الشفوى فرصة فى حد ذاته للتدرب على النطق والتعبير عن الأفكار شفويا .

٧ - يبصر الطالب بالجوانب الهامة بالمقرر .

٨ - يدرب الطالب على المثابرة والاجتهاد ومواصلة الدرس .

٩ - يعد الاختبار التحصيلى الوسيلة الوحيدة الآمنة لتحقيق مبدإ تكافؤ الفرص لنقل الطالب من صف إلى صف أعلى ، ومن مرحلة إلى مرحلة أعلى .

١٠ - يدرب الطالب على التفكير المنطقى ، وعلى ترتيب الأفكار ، وعلى حصر نقاط الموضوع المعالج .

مثال يوضح أهمية الاختبارات التحصيلية بالنسبة لأسرة الطالب .

هانى يعترف بفضل الاختبارات التحصيلية عليه ويرجع إليها تفوقه .

كان الطالب هانى أحد الحاصلين على مجموع قدره ٩٥ ٪ فى الشهادة الإعدادية. ولما سئل عن العوامل التى أدت إلى تفوقه ، اعترف بأن الاختبارات التى كان يجريها المعلم بالفصل للطلبة ، وأيضًا دأب والده على عقد اختبارات له بالمنزل ، كان لها الفضل الأكبر فى تعريفه بالجو الذى تسير الامتحانات العامة وفقه . قال أيضًا : إن تلك الاختبارات كانت فى حد ذاتها فرصة للاستذكار والتمرن على ما ينبغى على الطالب استذكاره والتمرن عليه بالمواد المختلفة . واعترف كذلك بأن الوضع كان مختلفًا بالنسبة له قبل انتباهه إلى أهمية الاختبارات التحصيلية. يقول : إن استذكاره كان قبل ذلك بغير هدى ، وكان يسير اعتباطا ، ولكن الاختبارات كانت بالنسبة له منارًا يهدى خطواته ويبصره بالطريقة الواجب اتباعها فى الاستذكار وفى الاستعداد للامتحان .

ثانيا - بالنسبة للمعلم :

١ - يساعد تقويم التحصيل المعلم على أن يتبين مدى استجابة الطلبة له وعلى مدى إفادتهم من تدريسه لهم .

٢ - قد يؤدى تقويم التحصيل إلى تعديل المعلم لطريقته فى التدريس ، بل وفى معاملة الطلبة .

٣ - يساعد على دراسة المعلم لنمو طلبته فى الخبرة المتعلمة وتتبعها . ذلك أن التقويم المستمر يمكن المدرس من الوقوف على المستوى الخبرى لدى مجموع الطلبة بالفصل .

٤ - يساعد المعلم على اكتشاف الفجوات الخبرية لدى كل طالب ، وبالتالى فانه يستطيع معالجته فرديًا ، أو يستطيع على الأقل وضع خطة لذلك مع إدارة المدرسة وولى الأمر ، بل ومع الطالب نفسه .

٥ - يمكن التقويم التحصيلى المدرس من معرفة المدى الذى أحرزه مجموع الفصل من تقدم فى كل مادة ، وأيضًا فى مجموع المواد ، وذلك بأن يجمع درجات طلبة الفصل كلها ، ثم يقسمها على عددهم .

٦ - يستطيع المدرس بواسطة التقويم التحصيلى اكتشاف الحالة النفسية لدى الطالب الحساس مرهف الحس ، أو الذى يبدى الخوف فى أثناء الاختبار ، فيسارع إلى معالجته فى وقت مبكر قبل استفحال الأوهام وسيطرتها عليه .

٧ - يستطيع المدرس بالتقويم التحصيلى تقويم عدة طرائق للتدريس يطبقها فى العام الدراسى الواحد لدى تدريسه لوحدات المقرر ، فيأتى تقويمه مقارنا ، ويستطيع التوصل إلى تقويم مقارن للطرق المختلفة التى يتبعها فى تدريسه.

٨ - لا شك أن الحالة المعنوية للمدرس ترتفع عندما يدرك أن طلبته فى تقدم مستمر ، وعندما يطمئن إلى أن مستواهم مرتفع .

٩ - يستطيع المدرس أن يقسم طلبته إلى فئات متجانسة ومتقاربة المستوى فى ضوء ما يسفر عنه التقويم المستمر لهم .

١٠ - يمكن التقويم المدرس من رعاية المتفوقين من طلبته ، وذلك بأن يوجه إليهم رعاية خاصة ، ولا يبقى على استعداداتهم العقلية الممتازة معطلة وغير مستثمرة .

مثال يوضح أهمية التقويم التحصيلى بالنسبة للمدرس .

الأستاذ على مدرس اللغة العربية يوظف الاختبارات التحصيلية :

لاحظ الأستاذ على - المدرس بإحدى المدارس الإعدادية - أن طلبة الصف الثالث الذين يقوم بتدريسهم مادة اللغة العربية ضعفاء فى التعبير . وقد جاءت الاختبارات التى أجراها لهم فى هذه المادة لا تبشر بخير . أراد أن يتدارك الموقف وهو فى أوائل العام الدراسى . قرر أن يجرب طريقة جديدة فى التدريس . خصص حصة فى الأسبوع للاطلاع الحر . استعار مجموعة قصصية من مكتبة المدرسة ، كما أحضر من بيته بعض الكتب والمجلات ، وجعلها جميعًا تحت تصرف تلاميذ فصله خلال الحصة التى خصصها لذلك . وبعد مرور شهر - أى : بعد تجربة هذه الطريقة خلال أربع حصص ، أجرى الأستاذ على اختبارًا لطلبته فيما قرأوه دون أن يحدد موضوعًا يلزم الطالب أن يكتب فيه . لاحظ المدرس فرقًا واضحًا فى الدرجات التى حصل عليها الطلبة في الاختبار الأخير وأنها أعلى بكثير من الدرجات التى حصلوا عليها فى الشهر السابق .

ثالثا - بالنسبة لأسرة الطالب :

١ - تساعد الاختبارات الوالدين على معرفة مستوى الابن أو البنت فى المدرسة ، والتخلص من خداع الذات بأن الطالب متفوق إذا جاءت نتائج الاختبارات منخفضة أو من الوهم بأنه متخلف إذا ما جاءت نتائج الاختبارات مشجعة ومرتفعة .

٢ - تعد الاختبارات التحصيلية نقاط التقاء وتعاون بين الأسرة والمدرسة ؛ لأن فى ضوئها يبدأ عمل الأسرة بشأن مساعدة الابن أو البنت ورعايتهما وعرض مشكلاتهما على مجلس الآباء والمعلمين .

٣ - عندما يجلى الاختبار التحصيلى عن تفوق الطالب وتقدمه ، فإن هذا يشيع السعادة في ربوع الأسرة ، ويعتبر نجاح الطفل نجاحا لها أيضًا .

٤ - نتائج الاختبارات التحصيلية تكون فى بعض الأحيان بمثابة ناقوس خطر ينبه الأسرة إلى ما قد يتردى فيه الطالب إذا هو ظل مهملا لدروسه ، وإذا ظلت أسرته لاهية عن مستواه المتدهور .

٥ - قد تسفر نتائج الاختبارات المنخفضة عن تعديل أسرة الطالب لنظام المنزل وجوه العام ، وذلك كتغيير مكان استذكاره ، وتهيئة جو أفضل له .

٦ - تعتبر الاختبارات التحصيلية - وبخاصة امتحان آخر العام - حافزًا أيضًا للأسرة على تغيير نظامها اليومى المعتاد ، والتهيؤ لاستقبال الامتحان . فتقلل من الزيارات وتزيد العناية بصحة الطالب وتوفر أسباب السعادة له قبل الامتحان وفى أثنائه .

٧ - قد تشكل الاختبارات التحصيلية نقطة بحث حول مشكلات صحية أو نفسية أو أخلاقية تعتور طريق الطالب . ويكون للاختبارات عندئذ الفضل فى تنبيه الوالدين إلى وجود تلك المشكلات .

٨ - تعتبر الاختبارات التحصيلية ونتائجها فرصة أمام أسرة الطالب لنقد طريقة التدريس التى يتبعها المدرس ، أو لنقد النظام المدرسى ، وإعلان ذلك بمجلس الآباء والمعلمين ، كما تعتبر أيضًا فرصة للإشادة بالمدرس الممتاز وبالنظام المدرسى الجيد بذلك المجلس .

٩ - قد تكون نتائج الاختبار التحصيلى نقطة تحول فى معاملة الأسرة للطالب ، فالأب القاسى قد يخفف من قسوته ، أو قد تخفف الأم من تدليلها لأولادها .

١٠ ـ قد تكشف نتائج الاختبارات التحصيلية عن بعض العيوب الخاصة التى يجب توجيه عناية يومية من جانب الأسرة لعلاجها . من ذلك مثلا الخط الردىء أو عدم اتساق الأفكار .

مثال يوضح أهمية الاختبارات التحصيلية بالنسبة لأسرة الطالب .

والدة سليم تشيد بالمدرسة بسبب اهتمامها بالاختبارات التحصيلية :

فى أحد اجتماعات مجلس الآباء والمعلمين ، انبرت إحدى الأمهات قائلة : إنها ترغب فى تسجيل حقيقة هامة هى أن الاختبارات المستمرة التى تجريها مدرسة ابنها سليم للفصل ، تجعل ابنها وباقى التلاميذ فى يقظة مستمرة ، وأن تلك الاختبارات قد جعلت ابنها غير متهيب لأى امتحان يجابهه اليوم وفى المستقبل . وأضافت أم سليم أن تلك الاختبارات قد جعلت الأسرة فى حالة تهيؤ وإحساس بقيمة الاختبار . إنها تعترف بأنها عندما كانت تلميذة صغيرة ، لم تكن تلقى بالا إلى الاختبارات ، ولم تكن على ألفة بها ولم تدرك قيمة التمرن على الاختبارات بصفة يومية إلا بعد أن صارت أما ، وبعد أن أولت مدرسة سليم تلك العناية للاختبار اليومى والفترى . علقت الناظرة بقولها : إن السياسة التعليمية للمدرسة ككل ترتكز على تدريب الطلبة على الوقوف على مستوى ما حصلوه أولا بأول ، بحيث لا يكون لأى امتحان رهبة مهما كانت تلك المفاجأة والرهبة التى يحسها أولئك الذين لم يألفوه . أما الطالب الذى يمتحن كل يوم ، ويعرف مستواه كل يوم ، فإنه لا ينتظر الحظ لكى يخدمه ، ولا يكون على غير بينة بما سيسفر عنه امتحانه . إنه يعرف مستواه . وهو مستوى لن يتغير بتغير الامتحان . وتجزم الناظرة بأنها تعرف مستوى كل تلميذ بالمدرسة ، وأنها تعرف نتيجة مدرستها قبل أن يتقدم طلبتها إلى امتحان شهادة إتمام الدراسة الإعدادية ، بل وتعرف مجموع كل طالب تقريبًا فى ضوء متوسط نتائج الاختبارات اليومية والأسبوعية والشهرية التى يجريها المدرسون بالفصول بصفة منتظمة ، وباهتمام بالغ ودقة لا تشوبها شائبة .

رابعًا ـ بالنسبة لإدارة المدرسة :

يستطيع ناظر المدرسة فى ضوء الاختبارات اليومية والفترية التى يجريها المدرسون والمدرسات لطلبتهم بالفصول أن يحصل على سجل يقفه على مستوى مدرسته ككل ، وذلك عن طريق استفادته من فكرة استخراج المتوسطات .

وفيما يلى نموذج مقترح لما يمكن عمله .

فصل أولى أول شهر أكتوبر ١٩٨٦ - النهاية العظمى ٥٠ درجة .

مسلسل	اسم الطالب	عربى	إنجليزى	جبر	ملاحظات
١	سامى	٣٤	٤٠	٥٠	
٢	هانى	٤٠	٣٥	٤٠	
٣	سمير	٤٥	٤٦	٤٨	
٤	صادق	٢٥	٢٧	٣٤	
٥	إبراهيم	غـ	غـ	غـ	مريض من أول العام
	المجموع	١٤٤	١٤٨	١٧٢	
	المتوسط	٣٦	٣٧	٤٣	

فصل أولى ثان شهر أكتوبر ١٩٨٦ - النهاية العظمى ٥٠ درجة .

مسلسل	اسم الطالب	عربى	إنجليزى	جبر	ملاحظات
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
	المجموع				
	المتوسط	٣٧	٣٨	٤٥	

فصل أولى ثالث شهر أكتوبر ١٩٨٦ ـ النهاية العظمى ٥٠ درجة .

مسلسل	اسم الطالب	عربى	إنجليزى	جبر	ملاحظات
المجموع					
المتوسط		٣٩	٤٠	٣٧	

متوسطات الصف الأول :

المادة	أولى أول	أولى ثان	أولى ثالث	المجموع	المتوسط
عربى	٣٦	٣٧	٣٩	١١٢	٣٧ ١/٣
إنجليزى	٣٧	٣٨	٤٠	١١٥	٣٨ ١/٣
جبر	٤٣	٤٥	٣٧	١٢٥	٤١ ٢/٣

متوسط قوة الصف الأول خلال شهر أكتوبر ١٩٨٦

مسلسل	الدرجة	ملاحظات
عربى	٣٧ ١/٣	
إنجليزى	٣٨ ١/٣	
جبر	٤٥ ٢/٣	
المجموع	١٢١ ١/٣	
المتوسط	٤٠ ٤/٩	

وبعد استخراج متوسط قوة الصف الأول ، يعمل نفس الشىء بالنسبة للصفين التاليين . وإذا كانت النهايات العظمى مختلفة ، فبعد الحصول على المتوسطات يمكن ردها جميعًا إلى نهاية عظمى واحدة ولتكن ٥٠ درجة .

وفى نهاية المطاف يمكن جمع متوسطات قوى الصفوف الستة بالمدرسة وقسمتها على ستة ، فيحصل الناظر على رقم واحد يعبر عن قوة مدرسته ، وكأنها طالب واحد.

وفى كل شهر من أشهر السنة الدراسية يعيد ناظر المدرسة الكرة من جديد ، ويستخرج متوسط قوة مدرسته فى كل شهر ، ويعرف بذلك مدى التقدم أو التأخر فيها ككل . ويمكنه أيضًا الإفادة من النتائج العامة التى يحصل عليها فى عمل رسم بيانى مقارن لأشهر السنة ، كما يستطيع جمع درجات أشهر السنة ويستخرج متوسطًا واحدًا هو متوسط قوة مدرسته خلال العام الدراسى كله .

ويستطيع أكثر من هذا أن يمتد بهذه العملية إلى نهايتها ، فيضع رسما بيانيا يعبر عن قوة المدرسة خلال خمس سنوات مثلا ، وأن يستخرج رقمًا واحدًا يدل على متوسط قوة المدرسة خلال خمس سنوات .ولا شك أن وجود الآلة الحاسبة فى المتناول يجعل هذه العملية من السهولة بمكان .

خامسا ـ أهمية تقويم التحصيل المدرسى بالنسبة للموجهين :

١ ـ يستطيع الموجه فى ضوء نتائج تقويم التحصيل أن يقوِّم المدرسة ككل ، كما يستطيع تقويم عمل كل مدرس .

٢ ـ يستطيع فى ضوئه أيضًا أن يقدم توجيهاته إلى المدرسين الخاضعين لتوجيهه وأن يؤكد الجوانب التى يرى أنها بحاجة إلى توجيه .

٣ ـ يستطيع فى ضوئه أن يقوِّم المناهج المقررة وأن يقترح حذف بعض الأجزاء وإضافة أجزاء أخرى جديرة بالإضافة .

٤ ـ يستطيع فى ضوئه أن يقوم الكتب المقررة وأن ينقدها في ضوء المضمون والإخراج والتطبيق على مواقف الحياة ... إلخ .

٥ ـ يستطيع فى ضوئه أن يقترح تصميم طريقة تدريس جديدة يكون أحد المدرسين قد طبقها وأتت بنتيجة طيبة .

٦ - يستطيع الموجه فى ضوئه عقد اجتماعات مع نظار وناظرات المدارس المختلفة التى يقوم بتوجيهها ويكون حديثه معهم مبنيا على خبرة حية هى الخبرة التى أسفر عنها التقويم .

٧ - يستطيع الموجه فى ضوء نتائج التقويم عقد اجتماعات موسعة لأولياء أمور عدة مدارس ويكون حديثه إليهم ومناقشته معهم قائمين على أساس استقرائى سليم .

٨ - يستطيع الموجه فى ضوء ما يسفر عنه التقويم التنسيق بين المدارس المختلفة ، بحيث يجعل المدرسة الواحدة متقاربة المستوى بصفة عامة ، كما يستطيع وضع خطة فى ضوئه لتخصيص مدرسة فى قسمه للمتفوقين .

٩ - يستطيع الموجه فى ضوء نتائج التقويم تحويل المتخلفين دراسيا إلى المختصين فى التربية الخاصة حتى إذا ما ثبت أن تخلفهم راجع إلى انخفاض مستوى القدرة العقلية أو بسبب ضعف البصر أو ضعف السمع ، فيحولهم إلى مدارس المعوقين عقليا أو بصريا أو سمعيا .

١٠ - يستطيع الموجه فى ضوء نتائج التقويم المشاركة فى تطوير السياسة العامة للتعليم ، وذلك لدى اشتراكه فى المؤتمرات التى تعقدها الوزارة لهذا الغرض بين الفينة والفينة .

وسائل تقويم التحصيل المدرسى

أولا - الامتحانات المدرسية العادية : (الامتحانات الّتى تعتمدَ عَلى أسئلة المقال مزاياها :

١ - يستطيع الطالب فى هذه الامتحانات أن يعبر بحرية وانطلاق عن أفكاره ، إذ إنه لا يكون مقيدًا بنقاط محدودة ضيقة وملزمة .

٢ - تقيس هذه الامتحانات قدرات أخرى تعبيرية لا تتوافر للاختبارات الموضوعية، وذلك كالأسلوب والدقة فى استخدام اللغة والنفس الطويل فى الكتابة...إلخ .

٣ - تسمح هذه الامتحانات للطالب بالإفادة مما سبق أن اطلع عليه بالكتب والمجلات ، ومما سمعه فى الإذاعة وشاهده على شاشة التلفزيون .

٤ - تمتاز هذه الامتحانات بأنها تكفل قدرًا كبيرًا من الحرية للطالب فى تنظيم

كراس إجابته وتقسيمه ، وتوزيع مساحته على مجموع الأسئلة .

٥ - بعض المواد - أو بعض فروع المواد كالتعبير مثلا - لا يمكن الاعتماد فى تقويمها إلا على الامتحانات التى تعتمد على أسئلة المقال . فطبيعة المادة قد تلزم الممتحن باتباع طريقة المقال فى وضع الأسئلة .

٦ - لا تحول امتحانات المقال دون إجراء أنواع أخرى من التقويم يمكن أن تقيس الجوانب الأخرى من شخصية الطالب ، تسير جنبًا لجنب معها ، وتجرى فى وقت آخر غير الوقت الذى تجرى فيه .

٧ - تضمن هذه الامتحانات تحقيق مبدإ تكافؤ الفرص بين الطلاب ؛ ذلك أنها - بالإضافة إلى إتاحة الفرصة أمام التلميذ للتعبير عن معلوماته فى الموضوع - فإنها تسمح له أيضًا بإظهار براعته فى صياغة الإجابة بالطريقة التى يبز فيها أترابه كالأسلوب الجيد ، والصياغة المتقنة ، وضرب الأمثلة والإفادة من الخبرات والمعلومات الشخصية ... إلخ .

٨ - لا شك أن امتحانات المقال التى تجرى حديثًا قد تخلصت من كثير من عيوب امتحانات المقال القديمة . فاليوم يعمد الممتحن إلى تقسيم السؤال إلى أجزاء ، كما أنه لا يضع امتحان مقال إلا بالنسبة للموضوعات التى لا يصلح لها إلا هذا النوع من الامتحانات .

٩ - هذا النوع من الامتحانات أسهل من حيث وضع الأسئلة ومن حيث تصحيح الإجابات عما هو الحال بالنسبة للامتحانات الموضوعة .

١٠ - هذا النوع من الامتحانات يشجع الطلبة على الاطلاع الخارجى ، كما يشجع أولياء الأمور والمدرسين على توفير مصادر الخبرة الغزيرة للمراهقين .

عيوبها :

١ - تعتمد هذه الامتحانات فى وضعها على المنهج المقرر ، مغفلة فى الغالب ما سبق أن درسه الطالب فى الأعوام السابقة .

٢ - تأتى معظم الأسئلة مباشرة بحيث لا تكون بحاجة إلى تفكير وصياغة جديدة. وهذا يجعل الإجابة فى الامتحان بمثابة عملية اجترارية لا تكون المعلومات فيها مهضومة وخاضعة لإمرة الطالب وتصرفه .

٣ - الاعتماد على هذه الامتحانات وحدها معناه : أننا لا نعترف إلا بجانب واحد من شخصية المراهق هو ذاكرته وعقله ، وأننا نحيله إلى مجرد ورقة فى آخر العام.

٤ - لا يقيس امتحان المقال إلا قدرة الطالب على التعبير التحريرى عن أفكاره فهو يغفل قدرته على التعبير الشفوى . وبالأسف تتجه الامتحانات إلى الناحية التحريرية وقد ألغيت الامتحانات الشفوية من معظم الامتحانات النهائية .

٥ - أحياناً تطبق طريقة للامتحان بواسطة المقال مع أنها لا تناسب طبيعة المادة التى يتم تقويمها (مادة العلوم مثلا قبل تطوير الامتحانات) .

٦ - لا يمكن أن يغطى الامتحان المنهج كله . ومعنى هذا : أنه تقويم ناقص .

٧ - يدخل العنصر الذاتى من جانب المصحح فى تقدير الدرجة .

٨ - تعتمد غالبية الأسئلة على ما استطاع الطالب حفظه أو إتقان سرده من جديد. ولا يعنى هذا بحال أنه يستطيع الإفادة منه عمليا فى حياته الشخصية وفى حياته الاجتماعية .

ثانيا - الاختبارات الموضوعية :

الأسس التى تقوم عليها هذه الاختبارات ومزاياها :

١ - تحديد المطلوب فى السؤال بحيث لا يترك مجالا لأكثر من احتمال واحد فى فهمه .

٢ - الإجابة عن السؤال الموضوعى هى إجابة واحدة وغيرها يكون خطأ .

٣ - الألفاظ المستخدمة فى السؤال تكون فى مستوى التحصيل اللغوى المقنن للصف الدراسى الذى يقوَّم .

٤ - لا مجال لاختلاف الرأى بين المصححين فى الاختبارات الموضوعية .

٥ - لا مجال فيها للجوانب الذاتية ولا للأهواء فى التصحيح .

٦ - يمكن توزيع الدرجات على الإجابة بسهولة ، كما يسهل مراعاة ذلك التوزيع بدقة عند التصحيح .

٧ - لا مجال للتهويش أو المخادعة فى الإجابة . وليس للبراعة اللغوية أو جودة الإنشاء أثر فى التصحيح .

٨ ـ إدراك الطالب بأن الامتحان سيكون موضوعيا ومحددًا مما يساعده على مراعاة التدفق فى المادة المدروسة وفهمها فهمًا جيدًا .

٩ ـ تمرن هذه الاختبارات الطلبة على التفكير المنطقى وعلى ترتيب الأفكار ، وعلى القراءة المتبصرة بالنقاط الأساسية فى الموضوع .

١٠ ـ هذه الاختبارات تحاول سبر أغوار فكر الطالب والوقوف على مدى فهمه لما درس ، وذلك بتخلصها من الحواشى والغموض اللذين يكتنفان اختبارات المقال.

عيوب الاختبارات الموضوعية :

١ ـ هذه الاختبارات تشجع الطالب على حصر جهده بكتب الملخصات وإهمال الكتاب المقرر .

٢ ـ تشجع الطالب على الغش فى الامتحانات ، لأن الإجابات قصيرة ومحددة ومن السهل التقاطها من أوراق الطلبة المجاورين فى لجان الامتحانات .

٣ ـ تجعل هم المدرس منصبا على تحفيظ الطلبة نقاط الموضوع ، وإهمال النسيج الثقافى الحى الذى يربط أجزاءه والذى لا يمكن تشريحه إلى نقاط .

٤ ـ هذه الطريقة من الاختبارات تقلص وظيفة المدرس وتجعلها غير ذات قيمة سواء فى نظر الطالب أم فى نظر أولياء الأمور ؛ وذلك لأن كل المطلوب هو حفظ النقاط الواردة بالكتاب المقرر . إذن فثمة غنى عن مجهود المدرس الذى يبذله فى الشرح والتفصيل .

٥ ـ بعض المواد تشوه أو تفسد إذا ما هلهلت إلى نقاط موضوعية . وهذا ما حدث لمادة التاريخ عندما صار الامتحان فيها بالطريقة الموضوعية . فقد صار الطلبة يهملون نسيجه الحى وروعة قصصه وأخذوا يصبون همهم على النقاط الميتة يحفظونها .

٦ ـ هذه الاختبارات تحرم الطلبة المتفوقين فى التعبير اللغوى والذين لديهم قدرات خاصة فى التنظيم والتنسيق من درجات كانوا يستحقونها وصاروا يتساوون مع من ليس لديهم هذه الميزات .

٧ - لا تشجع هذه الاختبارات على الاطلاع الخارجى لأن الأسئلة محصورة في نطاق المقرر بالكتاب المدرسى .

ثالثا - الامتحانات الشفهية :

الأسس التى تقوم عليها ومزاياها :

١ - هذه الامتحانات تكمل الامتحانات التحريرية ؛ لأنها تمكن الممتحن من فهم الطالب لما كتبه فى الامتحان التحريرى .

٢ - بعض العلوم تعتمد فى التعبير عنها على الكلام المنطوق ، وذلك كالخطابة ولذا ينبغى أن يتم الامتحان فيها شفويا أيضًا وليس تحريريا .

٣ - هذه الامتحانات تقيس أيضًا قدرة الطالب على التعبير عن أفكاره أمام الآخرين وشرح ما يعتمل بخلده من أفكار ومشاعر .

٤ - لا شك أن مدرس المرحلة الإعدادية بحاجة مستمرة إلى الوقوف على مستوى طلبته ، والامتحانات الشفوية وسيلة سريعة لاختبار عدد كبير من الطلبة فى وقت قصير .

٥ - الامتحانات الشفوية أدعى إلى تنافس طلبة المرحلة الإعدادية وإثارة الحماس فيما بينهم .

٦ - ينتهز المدرس الحصيف فرصة الامتحان الشفوى فيسدى التشجيع لأصحاب الإجابات الممتازة ، ويقدم الملاحظات والتوجيهات لأصحاب الإجابات الضعيفة ، كما يبصرهم بأخطائهم .

٧ - تعتبر الامتحانات الشفوية أيضًا فرصة يستغلها المدرس لمراجعة وحدات معينة يكون قد قطعها من المنهج المقرر .

٨ - الامتحانات الشفوية فرصة طيبة لنقل خبرات الطلبة فيما بينهم ، وبخاصة تلك الخبرات الشفوية التى اكتسبوها من مصادر أخرى غير الكتاب المدرسى .

٩ - تعتبر الامتحانات الشفوية تدريبًا للطلبة على الامتحانات التحريرية وعاملا مساعدًا على حسن أدائها .

١٠ - ينتهز المدرس فرصة الامتحانات الشفوية فيضيف إلى معلومات الطلبة معلومات جديدة لم يكن قد ذكرها فى شرح الدروس ولم ترد بالكتاب المقرر .

عيوب الامتحانات الشفوية :

١ - لا تغني الامتحانات الشفوية عن اللجوء إلى الامتحانات التحريرية .

٢ - كثيرًا ما يستغل بعض الطلبة التهويش فى إيهام المدرس بذكائهم أو بحفظهم للدرس .

٣ - كثيرًا ما يشترك عدة طلبة فى الإجابة عن سؤال واحد ، ويعتقد عندئذ كل منهم بأنه استطاع أن يجيب عن السؤال بكفاية مع أنه فى الحقيقة لم يستطع الإجابة إلا عن جزء منه فقط .

٤ - بعض الطلبة يعرفون الإجابة الصحيحة ولكن لا تسعفهم الكلمات للإجابة بسرعة ، فيبدون وكأنهم لا يعرفون الإجابة الصحيحة .

٥ - لا تسمح الامتحانات الشفوية للتلميذ بأن يرتب فكره أو ينقد نفسه أو أن يعيد ترتيب النقاط التى ترد إلى ذهنه كما يمكنه ذلك فى الامتحانات التحريرية .

رابعا : الواجبات المدرسية المنزلية :

الأسس التى تقوم عليها :

١ - تحقق الواجبات المدرسية مبدأ الترابط بين المدرسة والبيت ، وتعاونهما فى تعليم المراهق . فتلك الواجبات يتم أداؤها تحت إشراف الأسرة وبتهيئة الجو المناسب له لأدائها .

٢ - تعتمد الواجبات المدرسية المنزلية على الكتابة فى الغالب ، وهذا يدرب الطالب على التعبير التحريرى الذى يمثل ركنًا أساسيا لدى الإنسان المتعلم .

٣ - الواجبات المدرسية المنزلية تبصر ولى الأمر بما قطع من المنهج وتقفه بالتالى على ما بقى منه ؛ فهى وسيلة تكفل معرفة المستوى الخبرى الذى ينبغى أن يكون الابن قد حصله .

٤ - الواجبات المدرسية المنزلية تغنى - إذا ما اعتنى ولى الأمر بها - عن إعطاء ابنه دروسًا خصوصية .

٥ - لا تعتبر الواجبات المنزلية شيئًا إضافيا زائدًا ؛ بل تمثل ركنًا أساسيا فى خبرة التلميذ المدرسية ؛ لأنها تنصب على ما يحتاج إلى تدريب بعد قيام المدرس بتقديم الإطار العام للفهم .

٦ - تعتبر الواجبات المدرسية المنزلية بمثابة تنظيم لاستذكار الطالب . فبدلا من ترك الاستذكار بالمنزل بغير تنظيم ؛ فإن المدرس يسهم فى ذلك ويضع خطة دقيقة له .

٧ - يعتبر كراس الواجبات المدرسية المنزلية سجلا للتقويم اليومى للطالب . ومن خلاله يستطيع المدرس والناظر وولى الأمر معرفة مستواه بمجرد الاطلاع عليه.

٨ - يستخدم المدرس الواجبات المدرسية المنزلية أحيانًا كوسيلة لعلاج التخلف الدراسى وسد الفجوات الخبرية .

٩ - يستخدم المدرس الواجبات المدرسية المنزلية أحيانًا أخرى لرعاية المتفوقين والتقدم بخبراتهم إلى أقصى درجة ممكنة .

١٠ - تعتبر الواجبات المدرسية المنزلية وسيلة جيدة لتنظيم أوقات فراغ الطالب واستثمارًا صالحًا له إذا لم يبالغ فى إعطائها.

عيوب الواجبات المدرسية المنزلية :

١ - بعض المدرسين يبالغون فى كمية الواجبات المدرسية المنزلية مما يعمل على إرهاق الطلبة ، ويحمل بالتالى أولياء الأمور على المساهمة فى حلها بدلا من أبنائهم .

٢ - بعض المدرسين يستعملون الواجبات المنزلية كأداة للعقاب . فبدلا من ضرب الطالب ؛ فإن المدرس يحمله واجبًا كبيرًا يؤديه بالمنزل . وهذا مما يجعل العلم كريها للطالب .

٣ - بعض المدرسين يهملون التدريس فى الحصة اعتمادًا منهم على ما سيبذله الآباء مع أبنائهم فى الواجبات المنزلية التى يحملونهم بها لأدائها بالبيت .

٤ - تعمل الواجبات المنزلية أحيانًا على تعطيل استذكار الطالب ؛ إذ تنحو إلى الآلية فى النقل من الكتاب المدرسى ؛ ولا تحمل الطالب على التفكير والدرس .

٥ - بعض المدرسين لا يصححون كراس الواجبات المنزلية - أو يصححونها بعدم اكتراث - بحيث تفقد قيمتها فى أعين الطالب وولى الأمر .

خامساً - الأعمال التحريرية المدرسية :

الأسس التى تقوم عليها :

١ - نقصد بالأعمال التحريرية كل ما يقوم الطالب بتدوينه خلال الحصص بكراساته ؛ سواء كان ما يدونه منقولا من السبورة ، أم من الكتاب المدرسى ، أم كان حلا لمسألة ، أم إجابة عن سؤال ، أم تلخيصًا لفكرة .

٢ - ولا شك أن متابعة المدرس لأعمال الطالب التحريرية وتقويمه لها يعد جزءًا هاما وأساسيا من تقويمه له . فتلك الأعمال تعد فى الواقع مرآة صادقة تعكس مدى انتظام الطالب على المدرسة ، ومدى انتباهه بالفصل ، ومدى استجابته لتوجيهات المدرس ؛ ومدى تفاعله بما يحيط به من مثيرات تربوية .

٣ - ولا شك أيضًا أن المدرس بتتبعه لتلك الأعمال ، يستطيع أن يقف بجلاء على العيوب العامة لدى الطلبة ، وعلى الأخطاء الشائعة بينهم ، فيضع خطة لمعالجتها .

٤ - وهو أيضًا بمتابعته للأعمال التحريرية بالنسبة لكل طالب يستطيع أن يضع خطة لعلاجه الفردى وتخليصه من العيوب التى يكون قد وقع فيها وصارت بمثابة عوائق بينه وبين التقدم .

٥ - وتعتبر الأعمال التحريرية أيضًا مرجعًا لولى الأمر يعرف فى ضوئه كيفية سير ابنه بالمدرسة . ومدى اهتمامه بالعمل بالحصة ، ومدى تقدمه أو تأخره بالنسبة للجديد من الدروس التى يقطعها المدرس من المقرر .

٦ - يشم أحيانًا من الأعمال التحريرية للطالب حالته النفسية وما يعتور صحته النفسية من اعوجاجات . وفى كثير من الاضطرابات النفسية التى تعرض على أطباء الصحة النفسية ، تجدهم يطلبون الاطلاع على الأعمال التحريرية للتلميذ ويعرفون من خلالها ما أصابه من أمراض نفسية .

٧ - ويمكن أيضًا من خلال الاطلاع على الأعمال التحريرية للطالب الوقوف على مستوى ذكائه ، وعلى مدى كفايته لمواصلة الدراسة مع الأسوياء ، أو ضرورة تحويله إلى إحدى مدارس التربية الخاصة .

٨ - ويمكن أيضًا اكتشاف الموهوبين وذوى المستويات المرتفعة من الذكاء بالاطلاع على أعمالهم التحريرية ؛ ذلك أن المراهق مرتفع الذكاء يكون أكثر قدرة على التعبير التحريرى بكفاية من المراهق منخفض الذكاء .

٩ - ويمكن أيضًا اكتشاف بعض القدرات الخاصة فى ضوء الأعمال التحريرية كالقدرة على الرسم ، والدقة فى التعبير بالرموز عن الأفكار ، ونحو ذلك من قدرات خاصة يتمتع بها المراهقون الذين وهبوا قدرات خاصة لا يتمتع بها سواهم .

١٠ - تشير الأعمال التحريرية أيضًا إلى مثابرة الطالب وطول نفسه فى الكتابة والرسم ومختلف أنواع التعبير التحريرى . ولا شك أن المثابرة على الكتابة ، ومراعاة الدقة فى الأعمال المكتوبة ؛ إنما يدلان دلالة قاطعة على قدرة معينة يتمتع بها ذلك الشخص ، وهى قدرة تمثل ركنًا أساسيا فى حياته ، ويتوقف عليها مدى نجاحه فى حياته المدرسية ، بل وفى حياته فى المستقبل .

سادسا - كراسات المجهود الشخصى :

١ - نقصد بكراس المجهود الشخصى ذلك الكراس الذى جعل للدراسة الحرة غير المقيدة بأسئلة محددة ؛ وهو بمثابة مجال ينطلق فيه الطالب للتوسع فى أجزاء معينة بالمنهج المقرر ، ويجمع فى نطاقه قراءاته الحرة ومقتبساته من كلمات وصور وإحصاءات يستقيها من الكتب والمجلات وغيرها .

٢ - وكراس المجهود الشخصى يجب أن يعبر عن شخصية الطالب ، وأن يختلف العمل فيه عن العمل بكراس الواجبات المنزلية . فبينما يكون العمل بكراس الواجبات المنزلية إلزاميا ومحددًا ، يكون العمل بكراس المجهود الشخصى اختياريا وغير محدد .

ولسنا نقصد بالاختيار أن يكون للطالب كراس مجهود شخصى أو لا يكون ، بل نقصد أن تتصف مناشط المراهق فيه بالصفة الشخصية ، فيسجل به ما يرغب فى تسجيله فى نطاق المادة المخصص لها .

٣ - يستطيع الطالب أن يسجل بكراس المجهود الشخصى المعلومات التى يستقبلها من الكتب الخارجية والمجلات التى تروق له ؛ كما يستطيع أن يقص صور الأبطال الذين يفضلهم كأبطال كرة القدم مثلا ويعلق على مبارياتهم التى قاموا بها ، كما يستطيع أن يفعل نفس الشىء بالنسبة لأبطال السياسة والفن والأدب.

٤ - ويسجل الطالب أيضًا بكراس المجهود الشخصى ما يثيره من أحداث عامة؛ سواء بداخل الوطن أم خارجه : حادث سقوط طائرة أو اصطدام قطار ، أو سير رواد الفضاء على سطح القمر ، أو صيد حيوان بحرى غريب ... إلخ .

٥ - وبالنسبة للمدرس ، فيجب عليه أن يبدى اهتمامه بكراس المجهود الشخصى وأن يقوم بتشجيع كل طالب بعبارات ترفع من حالته المعنوية ، وتحضه على الاستمرار فى النشاط وجمع الأحداث والصور .

٦ - وعلى المدرس أيضًا ألا يبالغ فى تصحيح الأخطاء التى يتعرض لها الطالب بهذا الكراس ، وهو بسبيل كتابته فى التعبير عن أفكاره ومشاعره ؛ ذلك أن كثرة التصحيح تضرب المراهق بالقنوط ، وتجعله حذرًا فى كتابته ، وبالتالى يصير كراس المجهود الشخصى غير ذى موضوع ؛ ويبدأ المراهق عندئذ فى الإحساس بالكراهية تجاهه .

٧ - والواقع أن كراس المجهود الشخصى يعد مجالا حيا لاكتشاف المراهق لنفسه بنفسه ؛ ذلك أن الحرية التى تكفل له فيه ، وكذا تشجيع المدرس المستمر له ، إنما يعملان على تفتيق مواهب الطالب ، والكشف عن استعداداته ومواهبه .

٨ - ولا مانع أيضًا من تسجيل مناشط الفصل بذلك الكراس ، فيسجل الطالب به ما يتم من مباريات بين فصله والفصول الأخرى ؛ سواء كانت مباريات رياضية أو ثقافية ، كما يمكنه تسجيل الرحلات والجولات والزيارات التى يقوم بها الفصل. على أنه فى جميع هذه المناشط يجب أن تتوافر الحرية للطالب للتعبير عن نفسه ، وألا يلزم بشىء معين لكتابته أو تسجيله .

العوامل التى تساعد على نجاح عملية التقويم

هناك ستة عوامل تساعد على نجاح عملية التقويم هى :

١ - تحديد أهداف التقويم .

٢ - التخطيط للتقويم .

٣ - تحديد أوقات مناسبة للتقويم مع استمراره .

٤ - تسجيل النتائج واستخدام البطاقات المدرسية .

٥ - تقويم النتائج واستخدامها .

اولا - تحديد اهداف التقويم :

(أ) بالنسبة للطالب :

١ - كلما كان الطالب واقفًا على أهداف التقويم ، كان أكثر إيجابية فيه ، وكان بذله للجهد فيه بأكثر إخلاصًا وإتقانًا .

٢ - عندما يعرف الطالب أن المقصود بالتقويم هو وقفه على عيوبه بطريقة موضوعية ، وبشكل غير مبالغ فيه ، وليس وسيلة للتشهير به ، أو لتأنيبه فإنه يتقبل تقويمه ويسهم فيه بكل جهد مخلص .

٣ - وأيضًا عندما يعرف الطالب أن التقويم يستهدف أيضًا وقفه على المزايا التى يتمتع بها ، فإن هذا يملؤه بالحماس ، ويجعله مقبلا على تقبل التقويم بسرور.

(ب) بالنسبة للمدرس :

١ - فهم المدرس لأهداف التقويم يجعله ماهرًا فى الإفادة من نتائجه .

٢ - ويجعله أكثر قدرة على تنويعه بحيث يشمل شخصية الطالب كلها .

٣ - ويجعله متشبثًا به ، فيدأب على الاستمرار فيه ، ولا يهمله أو يسقطه من حسابه .

(جـ) بالنسبة لولى الأمر :

١ - فهم ولى الأمر لأهداف التقويم ، يجعله مهتما به ومتابعًا له ومتطلعًا للوقوف على نتائجه باستمرار .

٢ - وهذا يجعل ولى الأمر مستعدا لمعاونة المدرس فى التقويم وذلك بمده بالمعلومات المتعلقة بالمراهق والتى تساعد على شمولية التقويم ودقته .

٣ - وهذا يجعله أيضًا مستعدا للمساهمة فى تنفيذ ما تراه المدرسة من وسائل فعالة فى التقدم بالمراهق ، وتحقيق أهداف التقويم .

ثانيا - التخطيط للتقويم :

(أ) أهمية التخطيط للتقويم:

١ - **لكى يكون التقويم شاملا** لجميع جوانب شخصية الطالب ، ولجميع جوانب العملية التعليمية .

٢ - **لكى يكون مستمرًا** ، فبغير التخطيط للتقويم لا نضمن استمراره ، ولكن بالتخطيط نضمن استمراره وتواتره .

٣ - **لكى يكون دقيقًا** . فبغير التخطيط للتقويم ، فإننا لا نضمن دقته .

٤ - **لكى يكون أداة للعلاج الفردى** . فالتخطيط للتقويم يجب أن يضع فى اعتباره الوقوف على الحالة ثم وضع خطة للعلاج للفردى .

٥ - **لكى يكون أداة لتحسين الخدمة التعليمية** وتصحيح الجو التربوى العام .

(ب) الأطراف التى تسهم فى التخطيط :

١ - المدرس .

٢ - ولى الأمر .

٣ - ناظر المدرسة .

٤ - موجه المادة .

(جـ) ما يجب أن يأخذه تخطيط التقويم فى اعتباره :

١ - ما يراد تقويمه (التلميذ - المنهج - طريقة التدريس - الإدارة ... إلخ) .

٢ - فترة التقويم .

٣ - الوسائل المستخدمة فى التقويم .

٤ - الأطراف التى تشترك فيه .

٥ - ما يستهدفه التقويم . (الفوائد التى ستترتب عليه) .

٦ - إعداد الذين يقومون بالتقويم وتدريبهم .

٧ - المعايير التى يتم التقويم فى ضوئها .

٨ - طريقة جمع المعلومات التى يراد تقويمها .

٩ - الوسائل الإحصائية والتصنيفية التى ستستخدم فى التقويم .

١٠ - وضع أولويات للجوانب المقوَّمة بحيث يحظى كل جانب منها بشريحة مناسبة لأهميته فى نطاق التقويم الكلى .

ثالثا - تحديد أوقات مناسبة للتقويم مع استمراره :

١ - يجب أن تكون للتقويم مواعيد معلومة لكل من الطالب والمدرس وولى الأمر .

٢ - أن يتم التقويم فى أيام محددة وثابتة نسبيا .

٣ - أن تكون المدة التى يشغلها التقويم معقولة ، فلا تكون قصيرة فيفقد التقويم قيمته ؛ ولا تكون طويلة فتطغى على تدريس المادة .

٤ - أن يسير التقويم وفق خطة زمنية منسجمة مع خطة تدريس المنهج . فيأتى تقويم محدود بعد كل درس ، ثم يأتى بعده تقويم أكبر حجما بعد تدريس كل وحدة ثم يأتى تقويم أكبر وأكبر فى نهاية كل شهر ، وأخيرًا نصل إلى تقويم شامل يضم المنهج كله فى آخر العام .

٥ - يجب أن يوزع التقويم زمنيا على مدار السنة الدراسية ، بحيث لا تترك فترة زمنية بغير تقويم .

٦ - يجب مراعاة استمرار التقويم - أو بتعبير أدق تواتره - بالنسبة لجوانب الشخصية المتباينة عند المراهق ، وأيضًا بالنسبة لكل ما يتصل بالعملية التعليمية . فلا يتم مثلا تقويم المنهج فى أول العام ، ثم يترك بغير تقويم لباقى العام . الواجب أن يستمر التقويم للمنهج ولغيره فى أوقات منتظمة (وهذا هو المقصود بالتواتر) . فيتم تقويمه فى نهاية كل شهر مثلا .

رابعا - تدريب القائمين بالتربية على عملية التقويم :

١ - يجب أولا أن نفهم معنى التدريب على التقويم . إن كلمة « تدريب » لا تعنى اكتساب مهارة عملية فحسب ، بل تعنى قبل كل شيء ، الفهم ، والإيمان بالتقويم. فبغير أن يفهم المسئول عن التقويم المقصود من ورائه ، وبغير أن يؤمن به ، فإنه لا يستطيع أن يتمرس بوسائله وفنونه . فالتدريب هنا يتضمن ثلاثة أشياء : فهم + إيمان + مهارة .

٢ - وتنبع ضرورة التدريب على التقويم من تشعبه وعدم اقتصاره على مفهوم الامتحانات الضيق ، بل تنبع من كثرة البحوث والوسائل التى توصل إليها المربون فى هذا الشأن ، وحاجة المقوِّم إلى اكتساب مجموعة من الفنون اللازمة للقيام بالتقويم ، ولتفهم ما يحصل عليه من معلومات .

٣ - هناك مستويات متباينة من المهارة فى التقويم التربوى . فيجب أن يتمكن المدرس العادى من التقويم ، ولكن هناك مستويات عليا من مهارة التقويم تحتاج إلى معرفة بعلم الإحصاء وبالإحصاء المقارن وببعض المهارات المتعلقة بالرسوم البيانية التى يألفها أساتذة الرياضيات . ويجب أن يسهم من يعمل بالجهاز التربوى بقدر مناسب من التقويم . فلا غنى عما يسهم به المدرس العادى ، ولا غنى أيضًا عما يسهم به عالم الإحصاء التربوى فى هذا الصدد . فمجهود كل منهما مكمل لمجهود الآخر .

٤ - فلا يكفى أن يتم التقويم والحصول على أرقام منه ، بل يجب أن يمرن القائم بالتقويم على تفسير نتائج التقويم والتوصل إلى نتائج دقيقة منه .

٥ - والواجب أيضًا الإفادة مما يستجد فى هذا المضمار من دراسات جديدة على المستوى العالمى والمحلى . فما حدث من تطور وتقدم فى فنون التقويم عبارة عن جهود مترابطة ومستمرة قام بها رجال التربية بالأقطار المختلفة . ولنا فى مصر علماء تربية نفخر بما لهم من جهود معترف بها علميا فى مجال التقويم التربوى .

٦ - والواجب فى تدريب القائمين على التقويم الاتفاق معهم على معايير عامة وشروط محددة يلتزمون بها جميعًا لدى تقويم الطالب أو المنهج أو المبانى المدرسية أو أية ناحية من النواحى التى تتصل بالتربية من قريب أو من بعيد .

٧ - والواجب أن تكون هناك جهة مركزية مسئولة عن وضع سياسة ومعايير للتقويم. ولقد تولت ذلك فى مصر فى السابق إدارة البحوث الفنية والمشروعات بوزارة التربية والتعليم ، ويتولاها حاليًا المركز القومى للبحوث التربوية بنفس الوزارة . ومما قامت به الإدارة المذكورة وضع البطاقة المدرسية لطلبة وطالبات المراحل التعليمية المختلفة . ولسوف نعرض لدراسة البطاقة المدرسية فيما يلى:

خامسا - تسجيل نتائج التقويم واستخدام البطاقات المدرسية :

بزغت ضرورة تحتم التفكير فى وسيلة تساعد مدرس المرحلة الإعدادية على تسجيل المعلومات المختلفة عن كل طالب بشكل يتيسر معه الرجوع إليها . ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الأخذ بنظام البطاقات المدرسية التي يسجل فيها كل ما يتصل بالطالب من بيانات شاملة ، وتتدرج معه منذ دخوله المدرسة ، وتنتقل معه فى أثناء انتقاله من صف إلى صف ومن مرحلة إلى أخرى بحيث تعطى صورة كاملة عن الطالب ، مما يساعد على تفهمه وحسن توجيهه وتقويم شخصيته . وهى كذلك تعتبر مقياسًا لنموه فى جميع النواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية والخلقية والتحصيلية ، والبيانات التى بها تعتبر خاصة وسرية حتى على الطالب نفسه ولا يطلع عليها إلا المسئولون عن تربية الطالب وتعليمه ؛ لأنها لم توضع إلا لمساعدة هؤلاء على تفهم شخصية الطالب والعمل لصالحه .

اهمية البطاقة المدرسية :

البطاقة وسيلة فعالة من وسائل التربية والتعليم ، تساعد على التعرف على الطالب وتوثيق الصلة بين المدرسة والمنزل ، وهى بالنسبة للطالب عامل إنشائى ووقائى وعلاجى فى نفس الوقت .

فهى عامل إنشائى ؛ لأنها مقياس لنمو الطالب إذ تساعده على اكتشاف مهاراته الخاصة ومواهبه الممتازة فى النواحى الفنية أو الثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية فيعمل المختصون على الإفادة من هذه النواحى وتنميتها .

وهى عامل وقائى ؛ لأنها تكشف ما يحتمل أن يعانيه الطالب من مشاكل وانحرافات أو عدم مواظبة أو تأخر دراسى أو انطواء...إلخ. فيمكن العمل على وقايته قبل أن يستفحل الأمر .

وهى عامل علاجى ؛ لأنها تبين نواحى الضعف أو الانحراف وأسباب ذلك بتتبع هذه النواحى فى السنين السابقة ، واستعراض أحوال الطالب المنزلية والمدرسية ، مما يساعد على تشخيص هذه الحالات وعلاجها قبل أن تأخذ شكلا مرضيا يصعب علاجه .

وهى بجانب ذلك تعتبر مرجعًا تستقى منه المدرسة أسس التقارير الخاصة بالتلميذ فى أية ناحية من نواحى شخصيته .

محتويات البطاقة :

١ - البيانات الأولية :

وهى الحقائق التى يستدل منها على الطالب ، كالاسم واسم الوالد وعمله وعنوانه وديانته وجنسيته وموطن الأسرة ، وعلى اليسار جزء مخصص للصق صورة الطالب .

٢ - الصفات الشخصية :

تتأثر شخصية الطالب بالعوامل الآتية :

أ - **عوامل الوراثة** ، حيث يرث الطفل عن أبويه بعض الصفات الجسمية والعقلية.

ب - **عوامل البيئة والأسرة** حيث يكتسب عادات وتقاليد واتجاهات وأفكارًا وعواطف معينة .

ج - **الخبرات التى يمر بها فى المجتمع** ؛ لذلك تختلف شخصية كل فرد عن شخصية غيره من الأفراد ، ويمكن للمدرس أن يتبين الصفات الشخصية للطالب عن طريق الملاحظة وتحديد المرتبة التى يتميز بها بالنسبة لكل صفة ؛ لأن ذلك سيساعد على الحكم على شخصية الطالب حكمًا أقرب ما يكون إلى الصواب .

ومن واجب المدرسة اكتشاف الصفات المرغوب فيها فتعمل على تشجيعها وتنميتها وكذا الصفات غير المرغوب فيها فتعمل على إصلاحها عن طريق أنواع النشاط المختلفة .

والصفات المدرجة بالبطاقة هى :

الاعتماد على النفس - الإقبال على العمل - الترتيب - علاقة الطالب بزملائه - الطاعة - حب التملك - حب السيطرة - الأنانية - النظام - النظافة إلى غير ذلك من الصفات التى قد يلاحظها المدرس فى أى طالب من طلبته .

٣ - سجل الاختبارات :

والمقصود بذلك : اختبارات التحصيل الموضوعية التى يجريها المدرس واختبارات الذكاء والاستعدادات العقلية .

وللاختبارات أهمية خاصة كوسيلة عملية لقياس نسبة ذكاء الطالب وقدرته على التحصيل والاستيعاب . وفى ضوء ذلك يمكننا أن نتبين ما إذا كان الطالب يبذل جهدًا أكثر أو أقل من طاقته ، وما إذا كان الجهد الذى يبذله يعتبر طبيعيا بالنسبة لطاقته . وبذلك نحدد سبب تخلفه الدراسى كأن يكون ذلك راجعًا إلى انخفاض مستوى ذكائه أو إلى عدم استعداده لهذا النوع من الدراسة ، إلى غير ذلك من أسباب .

٤ - النواحى الاجتماعية :

تتأثر شخصية المراهق بمن حوله من أفراد يتعامل معهم ويكتسب منهم أكثر صفاته ولذا فإن لجو الأسرة التى يعيش فيها المراهق أثرًا كبيرًا فى سلوكه . فالمراهق الذى يعيش فى أسرة تكوينها طبيعى من أب وأم وإخوة يكون سلوكه سويا مقبولا بالقياس إلى مراهق يعيش فى أسرة ينقصها وجود الأب أو الأم بسبب الوفاة أو الطلاق ، أو إذا كان يعيش فى كنف زوج الأم ، أو زوجة الأب أو الأقرباء ... إلخ . هذا إلى جانب الظروف المحيطة بالمراهق التى تؤثر فى شخصيته تأثيرًا كبيرًا كالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأسرة ، وكثرة أفرادها أو قلتهم واتساع المسكن أو ضيقه ، وغير ذلك من أحوال تختلف من مراهق لآخر .

وتحتوى البطاقة بالإضافة إلى هذه النواحى ملاحظات المدرسين الأخرى التى قد تكون غير مدرجة حتى يكون التسجيل ناطقًا بحالة التلميذ الاجتماعية .

٥ ـ أوجه النشاط الحر :

هى أوجه النشاط التى يشترك فيها الطالب بمحض إرادته والمواقف البارزة التى نال فيها جوائز . ومن أهم أوجه النشاط الحر :

(أ) النشاط الرياضى ، كممارسة إحدى الألعاب الرياضية .

(ب) النشاط الفنى ، كالاشتراك فى جمعيات الصحافة والخطابة والمكتبة .

(ج) النشاط الاجتماعى كالاشتراك فى نادى المدرسة أو الخدمة العامة أو الإسعاف.

ويستطيع المدرس بواسطة أوجه النشاط المختلفة أن يكتشف المهارات الجديدة التى توجد لدى الطالب ومدى تمكنه منها ، كما يستطيع عن طريقها دراسة الصفات المزاجية والانفعالية مما يساعد على علاج كثير من مشكلاته .

٦ ـ التحصيل والنشاط الدراسى :

يقصد بالتحصيل مدى ما يستوعبه الطالب من المواد الدراسية التى يقوم بدراستها خلال العام الدراسى ومستواه فى كل مادة من هذه المواد ، وقد وضعت لذلك تقديرات اصطلاحية هى :

أ ـ ممتاز ب ـ جيد ج ـ متوسط د ـ ضعيف هـ ـ ضعيف جدا

وبذلك يمكن معرفة مستوى كل مراهق فى كل مادة مما يسمح بتلافى أسباب التخلف فى وقت مبكر .

وبمراجعة المدرسين لحالة المراهق فى الأعوام السابقة يمكنهم التعرف على مواطن الضعف والقوة لديه فى المواد الدراسية المختلفة .

٧ ـ المواظبة :

ويقصد بالمواظبة إحصاء أيام غياب الطالب خلال العام الدراسى مع تبويبها إلى صنفين:

أ ـ غياب بعذر مقبول ، كتقديم شهادة طبية أو خطاب من ولى أمره يبرر غيابه لأى سبب تقبله المدرسة .

ب ـ غياب بغير عذر مقبول .

٨ ـ الناحية الصحية :

ويقصد بذلك قوة البصر والسمع وسلامة النطق والحالة الصحية العامة ، وغير ذلك من ملاحظات المدرسين ، إذ إن الحالة الصحية للطالب لها أكبر التأثير على التركيز والانتباه والاستيعاب والتحصيل . فالحالة العقلية مرتبطة ارتباطًا تاما بالحالة الصحية ، والعقل السليم فى الجسم السليم .

وقد يمكن معالجة بعض هذه الأعراض المرضية كضعف البصر باستعمال النظارة الطبية ، وضعف السمع باستعمال سماعة خاصة أو وضع الطالب فى الصف الأول من الفصل قريبًا من المدرس . وبذلك تذلل العقبات التى تصادف التلميذ فى حياته الدراسية بسبب هذه الحالات المرضية .

٩ ـ مشكلات الطالب :

يتعرض الطالب أحيانًا لبعض المشكلات التى تفوق مستوى تفكيره ،ويصعب عليه حلها . وواجب المدرسة أن تعمل على التعرف على هذه المشكلات وأثرها فى نفسيته ومظاهرها فى سلوكه كالعزلة والانطواء والخوف والكذب والسرقة والهروب من المدرسة ... إلخ . وغالبا ما يكون عددها قليلا جدا فى المدرسة مما يساعد على العناية بأصحابها عناية خاصة . ويجب أن يدرج فى البطاقة ما يأتى :

أ ـ تاريخ المشكلة والفرقة التي يوجد بها التلميذ الذى يعانى من المشكلة .

ب ـ ملخص عن ظروف المشكلة وأسبابها .

ج ـ التوجيهات التى اتخذتها المدرسة بخصوصها .

ويحسن الاستعانة في مثل هذه الحالات بالمختصين كالأطباء والعيادات النفسية وذلك لتشخيصها تشخيصا دقيقًا ورسم طريقة للعلاج على أساس سليم .

واهتمام المدرسة باكتشاف المشكلات فى مستهل ظهورها والعمل على علاجها يعتبر من الإجراءات الوقائية .

١٠ ـ الملحوظات العامة :

روعى أن تشتمل البطاقة على أكثر النواحى البارزة التى يمكن بواسطتها تفهم شخصية أغلبية الطلبة والحكم عليها . وربما تصادف المدرسة بعض الحالات

الفردية التى تتميز بأى ناحية أخرى غير النواحى المذكورة فى البطاقة ولكنها تؤثر تأثيرًا ملحوظًا فى شخصية الطالب . ففى هذه الحالة يدون ما لاحظه المدرس فى الجزء الخاص بالملحوظات العامة . ويمكن فى الحالات التى تحتاج لبحث واف أن يخصص لها سجل يحفظ مع البطاقة أو عند الأخصائى الاجتماعى بالمدرسة للرجوع إليه .

ويتبع الجزء الخاص بالملحوظات العامة ما يأتى : ـ

راى المدرسة فى توجيه الطالب :

ويقصد بهذا أن تبدى المدرسة رأيها بصراحة تامة فى توجيه الطالب بصفة عامة من واقع دراستها لحالته طيلة المدة التى قضاها بالمدرسة . على أن يدون هذا الرأى فى نهاية المرحلة التعليمية كأن تقترح تزكيته للتعليم الثانوى أو إلحاقه بإحدى المؤسسات الحرفية .

توقيعات المختصين :

ويقصد بهذا : توقيع المدرس المختص بملء البطاقة ، وكذا توقيع السيد الناظر ، فى كل عام دراسى ، بحيث يتم التوقيع على البطاقة بعد الانتهاء من استيفاء البيانات المطلوبة بها والتى يتم تدوينها خلال العام الدراسى .

طريقة استخدام البطاقات المدرسية :

١ ـ لاستيفاء البيانات المميزة للطالب والتى تقع على يمين الصورة ، يقوم المدرس بإعداد استمارة خاصة تحتوى هذه البيانات وتسلم لكل ولى أمر لاستيفائها وتقدم سنويا عند بدء العام الدراسى . وعلى المختص بملء البطاقة أن يقوم بدوره بتدوين هذه البيانات بالبطاقة فى أول العام الدراسى . أما التغيرات التى تطرأ على هذه البيانات فيمكن تدوينها فى الجزء الخاص بذلك فى البطاقة إذا ما غير الطالب محل سكنه أو مدرسته خلال العام الدراسى .

٢ ـ تدون بيانات النواحى الاجتماعية فى الشهر الأول من العام الدراسى ، ويمكن للمختص بملء البطاقة أن يتخذ الوسائل التى يراها كمقابلة الطلبة أو الاتصال بولى الأمر وتدوين البيانات اللازمة .

٣ - تستوفى البيانات الخاصة بالمواظبة ثلاث مرات فى العام الدراسى . وعلى المختص بملء البطاقة توجيه مزيد من العناية لدراسة أسباب غياب الطالب إذا لاحظ تكرار غيابه سواء كان الغياب بعذر أم بدون عذر .

٤ - يراعى عند ملء الجدول الخاص بالصفات الشخصية أن يتم ذلك بعد انقضاء نصف العام الدراسى ، وأن تمثل صفات الطالب تمثيلا صحيحًا من واقع ملاحظته بدقة طوال هذه المدة داخل الفصل وخارجه فى أوقات الدراسة وأوقات النشاط واللعب ، وفى المواقف المختلفة ، وكذا ملاحظة العلاقات الشخصية بين الطالب وزملائه وبين الطالب ومدرسيه ... إلخ . ولإتمام ذلك يقوم جميع مدرسى الفصل بتقديم بياناتهم عن الصفات الشخصية لكل طالب حسب ملاحظاتهم الدقيقة عنه ، وبعد تبادل الرأى بإزاء صفات كل طالب يدون فى البطاقة المرتبة التى اتفق عليها رأى أغلبية المدرسين .

وفيما يختص بالصفات الأخرى البارزة يمكن أن تكتب عبارة مختصرة تبين أهم الصفات الغالبة فى الطالب خلال العام الدراسى بحيث لا تدون هذه الصفات إلا فى حالة الطلبة الذين يتصفون بها فعلا وبشكل مميز .

ويستعين المختص بملء البطاقة أيضًا فى تقديره النهائى برأى المشرفين على جمعيات النشاط المختلفة التى يشترك فيها الطالب .

٥ - فيما يختص بسجل الاختبارات (القدرة العامة) فلا يستعمل فى الوقت الحاضر إلا إذا أجريت اختبارات تحت إشراف الوزارة أو المنطقة .

٦ - على المختص بملء البطاقة أن يتصل بالمشرفين على أنواع النشاط المختلفة حوالى منتصف العام الدراسى للحصول على أنواع النشاط التى يشترك فيها الطالب اشتراكًا فعليا لتدوين البيانات الخاصة بجدول النشاط الحر .

وتدون البيانات الخاصة بالميول والهوايات البارزة والأعمال والخدمات العامة التى قام بها الطالب والجوائز التى نالها ، فى نهاية العام الدراسى مقرونة بتاريخها مع مراعاة أن المقصود بالجوائز كل ما يناله الطالب من تقدير مادى أو معنوى .

٧ - فيما يختص بجدول التحصيل والنشاط الدراسى يكتفى بتقدير الطالب مرة واحدة كل عام وتدون بياناته فى نهاية العام الدراسى من واقع سجلات المدرسة، ويراعى أن تعطى التقديرات طبقًا للنسب المئوية التالية من النهاية الكبرى لدرجة المادة .

٨٠ ٪ فأكثر يعتبر « ممتاز » ويرمز لها بالحرف (أ) .

٦٥ ٪ إلى أقل من ٨٠ ٪ يعتبر « جيد » ويرمز لها بالحرف (ب) .

٥٠ ٪ إلى أقل من ٦٥ ٪ يعتبر « متوسط » ويرمز لها بالحرف (ج) .

٤٠ ٪ إلى أقل من ٥٠ ٪ يعتبر « ضعيف » ويرمز لها بالحرف (د) .

أقل من ٤٠ ٪ يعتبر « ضعيفًا جدا » ويرمز لها بالحرف (هـ) .

ويوضع الرمز المناسب فى خانة التقدير بالبطاقة لكل عام دراسى .

٨ - يراعى فى الناحية الصحية أن يلاحظ الطالب ملاحظة دقيقة بواسطة المختص بملء البطاقة المدرسية ، وإذا تبين أن الطالب يعانى ضعفًا صحيا فى أية ناحية من النواحى الواردة بالجدول أو أن الطالب نفسه أو ولى أمره يشكو من ذلك ؛ عندئذ يكتب فى الخانة الخاصة بالناحية الصحية التى يعانى منها الطالب كلمة « يفحص » . وتتخذ المدرسة الخطوات اللازمة لعلاجه بواسطة الجهات الصحية المختصة . وفى حالة عدم إمكان فحص الطالب بمعرفة هذه الجهات خلال العام الدراسى الذى ظهرت فيه هذه الملاحظات تكون أمام المسئولين فى العام التالى فيمكنهم متابعة الجهود لفحصه بمعرفة هذه الجهات الصحية المختصة ، وعند فحص الطالب تدون نتائج الفحص فى السجل الطبى الخاص به والمحفوظ بالمدرسة والذى يمكن الرجوع إليه عند الحاجة .

أما الطلبة العاديون الذين لا تلاحظ عليهم أى أعراض ضعف صحى من أى نوع فتترك الخانة بيضاء بدون تدوين أى شىء ، ويدل ذلك على أنه لا توجد شكوى من الطالب نفسه أو من ولى أمره أو من المدرسين عن هذا الطالب من الناحية الصحية .

٩ - يراعى ألا يدون فى الجدول الخاص بمشكلات الطالب أية بيانات قبل أن تدرس دراسة كافية وتتخذ فيها إجراءات وتوجيهات واضحة مثل إعانة التلميذ ماليا بسبب سوء حالة الأسرة الاقتصادية أو مشكلات صحية تؤثر على حياة الطالب الدراسية كالأمراض المعدية الخطيرة أو العمليات الجراحية .

وكذلك يراعى فى المشكلات السلوكية التى تدون فى هذا الجدول أن تكون قد تكررت بحيث تصبح من صفات الطالب التى يتعذر علاجها بسهولة ، كتكرار السرقات والهروب والغياب ... إلخ .

ويدون المختص بملء البطاقة تاريخ المشكلة والفرقة التى يوجد بها الطالب الذى يعانى من المشكلة ، ويوضح باختصار الإجراءات التى اتخذتها المدرسة والبحوث المحفوظة لديها أو لدى الهيئات الأخرى التى يمكن الرجوع إليها لمعرفة تفصيلات هذه الحالة حتى يتسنى توجيه الاهتمام نحو مشكلات الطلبة بصفة عامة وأيسر الطرق لتناولها والعمل على حلها .

١٠ - يدون تحت عنوان الملحوظات العامة كل ما تراه المدرسة من ملحوظات هامة تتعلق بالطالب ولم تذكر فى النواحى المختلفة بالبطاقة .

تقويم الاستعداد العقلى

مفهوم الاستعداد العقلى وتطوره :

عندما نتحدث عن الاستعداد العقلى فإننا نقصد ما لدى الفرد من مقومات عقلية موروثة تمامًا أو موروثة ومتأثرة فى نفس الوقت بالعوامل البيئية بحيث تسمح له بتقبل مستوى معين من الخبرة .

ولقد كانت البواعث على تقديم الاستعداد العقلى لدى الأفراد هى :

١ - **باعث نفسى إنسانى :** ويرمى هذا الباعث إلى عدم تحميل الطفل خبرة أعلى مما يستطيع تحمله ، وفى نفس الوقت عدم تقديم خبرة إليه تقل عما يستطيع استيعابه . ومعنى هذا : تكييف التعليم لقدرة الطالب لا العكس . ويترتب على هذا تحقيق سعادته فى الدراسة .

٢ ـ **باعث تنظيمى** : فلدى الوقوف على الاستعدادات العقلية لدى مجموعة من الطلبة ، فيمكن تقسيمها إلى فئات متجانسة عقليا ، وبهذا يتسنى تدريس كل فئة فى ضوء مستوى استعداداتها .

٣ ـ **باعث اقتصادى** : فبالوقوف على الاستعداد العقلى لدى كل طالب ، فإن المدرس لا يبذل جهده سدى ؛ لأنه يعرف مقدمًا الاستعداد العقلى عند الطالب الذى يدرسه .

ولقد دأب علماء النفس على محاولة الكشف عن الاستعدادات العقلية لدى الأفراد بمختلف الأعمار منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر حتى اليوم . وكان لعلمائنا المصريين نصيب فى هذا الجهد نذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ إسماعيل القبانى ، والدكتور عبد العزيز القوصى . وفيما يلى المراحل التى مر بها تقويم الاستعداد العقلى :

أولاً ـ فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ظهر بين علماء النفس والمهتمين بشئون التربية ميل إلى دراسة ومساعدة ضعاف العقل من أفراد المجتمع ، وقد كان من نتائج هذه الدراسة أن فكر العلماء فى إيجاد وسيلة لعزل وتصنيف هذه الفئة ؛ وذلك تمهيدًا لإيوائهم فى مؤسسات خاصة بهم .

ثانياً ـ ظهرت الحركة التجريبية النفسية فى ألمانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وشجعت على استخدام القياس العقلى . فأنشأ فوندت أول معمل لعلم النفس التجريبى فى ليبزج سنة ١٧٨٩ .

ثالثاً ـ كذلك كان لعالم البيولوچيا الإنجليزى فرانسيس جولتون (١٨٢٢ ـ ١٩١١) اليد الطولى فى تطوير القياس العقلى ، فقد اهتم جولتون بدراسة الوراثة ، كما استخدم الاستفتاء وطريقة تداعى المعانى ، كما كان له الفضل فى استخدام الإحصاء فى تحليل نتائج الاختبارات السابقة .

رابعاً ـ فى الوقت الذى كان فيه جولتون يقوم بأبحاثه فى إنجلترا على الموهوبين كان كاتل يتزعم حركة القياس العقلى ، وهو الذى استخدم لفظ « اختبار عقلى » .

خامسا ـ أما القارة الأوروبية فلم تتخلف عن مسايرة تطور القياس العقلى .

ولهذا نجد العالم النفسى الألمانى كريبلن يهتم بقياس العمليات العقلية الأكثر تعقيدًا ، ولقد استخدم اختبارات تحتوى على العمليات الحسابية بقصد قياس أثر التمرين فى هذه العمليات . واستخدم أيضًا اختبارات لقياس التذكر وأخرى للإحساس بالتعب وتشتت الانتباه .

ثم قام أورن تلميذ كريبلن بعد ذلك ببضع سنوات بتصميم عدد من الاختبارات لقياس الإدراك والتذكر والترابط والوظائف الحركية ؛ وذلك لاستخدامها فى دراسة العلاقات المختلفة بين الوظائف النفسية .

كذلك أجرى أبنجهوس اختبارات تتعلق بالعمليات الحسابية وسعة التذكر على مجموعة من تلاميذ المدارس .

سادسا ـ أما بينيه فهو يعتبر بحق الأب الحقيقى للقياس العقلى فى صورته الحالية وإليه يرجع الفضل فى تغيير وسائل القياس التى سبقت الإشارة إليها . ولقد بذل هو وزملاؤه علماء النفس فى فرنسا سنوات طويلة فى بحث قياس الذكاء، وحاولوا الوصول إلى ذلك بمختلف الطرق ، وانتهوا إلى أن أفضل وسيلة لقياس الذكاء هى أن تقاس العمليات العقلية المعقدة بطريقة مباشرة ، وأن نتائج هذه الطريقة أفضل حتى ولو كانت طرق قياس هذه العمليات المعقدة غير دقيقة .

سابعا ـ كذلك مما ساعد على انتشار القياس العقلى نشأة الاختبارات النفسية الجمعية وذلك لأن اختبار بينيه اختبار فردى والاختبارات الفردية تتطلب من المختبر إجابات شفوية وإجابات عملية وجهودًا كبيرة .

ثامنا ـ ظهور اختبارات القدرات الخاصة . فلقد اكتشف علماء النفس أن اختبارات الذكاء التى صممت لقياس استعدادات الأفراد العامة لا تقيس فى الواقع كل هذه الاستعدادات مع أن بعض هذه الاستعدادات على درجة كبيرة من الأهمية فى حياة الفرد . ولهذا لم يلبث علماء النفس أن صمموا اختبارات خاصة لقياس القدرات . فوضعت اختبارات لقياس القدرة اللغوية وأخرى لقياس القدرة الميكانيكية والقدرة الفنية ... إلخ .

التكوين العقلى وتحليله :

يتفتح الطفل على الواقع الخارجى من حوله بواسطة حواسه الخمس . وتلك الحواس بمثابة نوافذ تنقل إليه صورًا من عالم الأشياء . ولقد كان القدماء يعتقدون أن الإنسان يقف موقف المتقبل لما تصدره الحواس إلى عقله ،وكأن الطفل صفحة بيضاء تكتب عليها البيئة ما تشاء .

ولكن علماء النفس أثبتوا بطريقة مؤكدة أن الطفل - وبالأولى الكبير - لايقف موقف المستقبل السلبى لما يرد إليه من صور المحسوسات ، بل إنه يجابه الخبرات الواردة ومعه الخبرات القديمة التى سبق أن تم له اكتسابها . فإدراكه للأشياء لا يتم إلا فى ضوء ما لديه من حصيلة خبرية مكتسبة .

ومن الحقائق الدامغة أن الناس ليسوا جميعًا سواء ، حتى إذا هم تلقوا نفس الخبرات ، والخبرة تتأتى بنفس النتيجة بالنسبة لجميع الناس . وفى ضوء التجارب المتعلقة بالاختبارات التى أجريت بهذا الشأن ثبت أن لدى كل إنسان استعدادًا عقليا معينًا . ولقد اعتقد علماء النفس خلال القرن التاسع عشر أن ذلك الاستعداد فطرى تمامًا ، وأنه لا يتأثر بالتربية . ولكن التجارب والدراسات الحديثة أثبتت أن الخبرة وبخاصة فى المرحلة الأولى من حياة الطفل تؤثر بشكل واضح فى الاستعداد العقلى . ومعنى هذا : أن التكوين العقلى يتحسن إذا ما صادف الشخص خبرات مواتية فى مراحل حياته الأولى .

وأطلق علماء النفس على ذلك الاستعداد العقلى اسم الذكاء . وأهم تعريفين الذكاء يوافق عليهما علماء النفس اليوم هما :

١ - الذكاء هو قدرة الفرد على إقامة علاقات بين عناصر الموقف واتخاذ تصرف مناسب بعد تصور تلك العلاقات .

٢ - إمكانية الفرد لأداء معين فى الموقف .

ولكن وقف علماء النفس فى حيرة عندما وجدوا أشخاصًا ثبت أنهم حاصلون على نسبة ذكاء مرتفعة ، ولكنهم متخلفون فى ناحية معينة . فهناك مثلا شخص لديه ذكاء مرتفع ، ولكنه ضعيف فى الرسم . وكان هذا باعثًا لعلماء النفس للبحث عن قدرات خاصة لديه ؛ أهمها القدرة اللغوية ، والقدرة الحسابية ، والقدرة العلمية، والقدرة الميكانيكية ، والقدرة الفنية أو الجمالية .

ويعتقد علماء النفس اليوم أن الذكاء عبارة عن قدرة عقلية عامة تدخل فى جميع المناشط التى يقوم بها الكائن الحى ، وأن هناك قدرات خاصة يدخل الذكاء بنسب معينة فى أداء كل منها . ويترتب على هذا إمكان وجود شخص منخفض الذكاء ولكنه يتمتع بقدرة موسيقية عالية ، فيستطيع أن يعزف على الناى مثلا . ولكنه لا يستطيع وضع لحن معقد ؛ لأن هذا يحتاج إلى قدرة عالية على إقامة علاقات معقدة لا يستطيع الاضطلاع بها إلا أولئك الذين أوتوا ذكاء عاليًا .

أهمية قياس الاستعداد :

١ - تقديم الخبرات المناسبة للاستعداد العقلى لدى الفرد ، وعدم فرض خبرات عليه لمجرد أنها ذات قيمة فى حد ذاتها . ولقد كان الوضع قبل التوصل إلى قياس الاستعداد العقلى مؤلمًا للتلميذ الذى كان يضرب ويهان ؛ لأنه لا يفهم ولا يستوعب ما يدرس له . أما اليوم فإن المدارس التي تؤمن بالتربية التقدمية ، تقوم بقياس الاستعداد العقلى لدى كل طالب وتعامله دراسيا فى ضوئه .

٢ - علاج مشكلات التأخر الدراسى الناجمة عن وجود اضطرابات انفعالية أو مشكلات اجتماعية . ففى بعض الأحيان يحسب أحد التلاميذ فى عداد الأغبياء ، مع أنه فى الواقع متوسط الذكاء أو مرتفع الذكاء ، وتكون المشكلات التى أدت إلى تأخره دراسيا هى مشكلات انفعالية أو اجتماعية . فإذا تبين للمدرس من أن ذكاءه على ما يرام ، فإن عليه أن يبدأ فى دراسة حالته النفسية وحالته الاجتماعية ويعمل على تذليل الصعوبات التي تعتور طريق سعادته بالبيت والمدرسة .

٣ - العناية بالمعوقين : فالدول المتقدمة تولى أصحاب الذكاء المرتفع عناية خاصة بمناهج مرتفعة المستوى . وبعض البلاد تهتم بأصحاب الذكاء المرتفع من جميع النواحى وتوفر لهم أحسن الفرص للتقدم وكسب أفضل الخبرات ، والحصول على أحسن مصادر الخبرة ، كما تعد لهم مدرسين معينين واسعى الثقافة ، وجديرين بتربية الموهوبين .

٤ - تحويل ضعاف العقل إلى نوع من التعليم خاص بهم وملائم لهم . والواقع أنه من غير الممكن الحكم على طفل ما بأنه ضعيف العقل لمجرد أنه متخلف دراسيا . فإذا ما أثبت اختبار الذكاء أنه لم يحظ إلا بذكاء منخفض ، عندئذ تسارع الجهات المسئولة إلى درجه بمدارس المتخلفين عقليا .

٥ - التوجيه الحرفى بعد المدرسة الابتدائية ، فإذا كانت المدرسة قد قامت بواجبها فى تحديد الاستعداد العقلى للتلميذ ، فإنها تستطيع توجيهه - إذا لم تسمح ظروفه الاجتماعية بالاستمرار فى التعليم - إلى الحرفة المناسبة لمستوى ذكائه. والواقع أن كل حرفة بحاجة إلى مستوى ذكاء معين يجب أن يتوافر لمن يعمل بها حتى يتقنها ويكون سعيدًا بامتهانها .

٦ - ومادام مستوى الاستعداد العقلى ثابتا تقريبًا ، فمن الممكن إذن جعله أساسا للتوجه التعليمى والمهنى طوال الحياة . وهذا ما تسير الدول المتقدمة بمقتضاه.

٧ - وعندما يكون المدرس على علم بالمستوى العام لذكاء الفصل الذى يقوم بتدريسه فإنه يستطيع مراعاة ذلك فى طريقة تدريسه ولدى تصميمه لوسيلة تعليمية جديدة .

وسائل قياس الاستعداد العقلى :

يتم تقويم الاستعداد العقلى بتجهيز مجموعة من المشكلات التى تقيس أداء الفرد فى مظهر معين من مظاهر السلوك المعرفى أو الإدراكى . ففى الاختبارات العقلية يطلب من الفرد أن يدرك علاقة أو يحل مشكلة سواء كان ذلك فى قالب لفظى أم فى قالب عملى .

ويمكن أن يكون الاختبار العقلى فى أى مستوى من مستويات التنظيم المعرفى ، ويتوقف ذلك على مستوى نضج الأفراد الذين يوضع لهم الاختبار . فلا شك أن مقياسا لذكاء أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية ، يختلف فى عناصره ومكوناته عن اختبار الأطفال فى نهاية هذه المرحلة . وعن اختبار المراهقين فى نهاية المرحلة الإعدادية . ويخضع هذا الاختلاف لمستوى النمو العقلى الذى يناسب المرحلة النمائية التى لأفرادها .

مقاييس الذكاء :

لم تخرج اختبارات الذكاء عن كونها اختبارات خاصة تساعدنا على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالقدرة على التعلم . ويوجد نوعان من اختبارات الذكاء :

١ - اختبارات تعطينا درجة واحدة تدل على نسبة الذكاء .

٢ - اختبارات تقيس العوامل المختلفة التى يتكون منها الذكاء وتعطينا درجة لكل عامل من تلك العوامل .

ونسبة الذكاء عبارة عن قيمة عددية تعبر فى يسر عما نطلق عليه كلمة ذكاء . وهذه القيم العددية تعبر عن الذكاء بشىء من الوضوح والدقة أكثر مما تفصح عنه عبارات مثل : « ذكى ، ومتوسط الذكاء ، ومتأخر فى ذكائه » . ولذلك يفضل استخدام نسبة الذكاء عندما نتحدث عن ذكاء شخص ما . ويتم الحصول على نسبة الذكاء بقسمة العمر العقلى على العمر الزمنى وضرب الناتج فى ١٠٠ . وكل اختبار ذكاء جعل أصلا لمستوى عمرى معين . فالطفل الذى بلغ عمره حسب شهادة الميلاد خمس سنوات ربما يستطيع حل اختبار للعمر ست سنوات عقلية ، فيكون لديه نسبة ذكاء تساوى ٦/٥ × ١٠٠ = ١٢٠ ولكن يشترط أن يعجز نفس هذا الطفل عن حل اختبار الذكاء الخاص بسن سبع سنوات ، وإلا فإن عمره العقلى يكون سبع سنوات أو أكثر حسب قدرته على حل الاختبارات العقلية الأعلى من سبع سنوات .

وتقوم فكرة نسبة الذكاء على أساس أن الذكاء صفة عامة واحدة ؛ والمعروف أن اختبارات الذكاء تجمع فى درجة واحدة ما يحصل عليه الطفل من درجات فى أسئلة المفردات والتفكير اللفظى والأعداد وملاحظة أوجه الشبه أو الاختلاف بين الأشكال الهندسية وغير ذلك . وينبغى أن نكون على حذر من التنبؤ بكمية التحصيل فى مواد دراسية بعينها ؛ ذلك لأن نسبة الذكاء ليست سوى مجرد دلالة على القدرة على التحصيل الدراسى العام .

ومن دراسة الدرجات التى يحصل عليها التلميذ فى اختبارات الذكاء فإننا نستطيع أن نحدد بقدر كبير من الدقة ما إذا كان فى استطاعته أن ينجح فى دراسته أم لا ، فالطفل الحاصل على نسبة ذكاء منخفضة لا ينجح فى دراسته ، ولكن العكس ليس صحيحًا . فالنجاح فى اختبارات الذكاء لا يعنى نجاحًا حتميا فى الدراسة ؛ إذ إن بعضًا من التلاميذ شديدى الذكاء قد أخفقوا فى المدرسة إخفاقًا تاما لأسباب تتعلق بالمناهج أو بطريقة التدريس أو لأسباب انفعالية أو اجتماعية كالمشكلات الأسرية أو عدم تهيئة جو البيت للاستذكار .

ماذا تقيس مقاييس الذكاء ؟

لا يمكن لأى فرد أن يدعى أنه قد لاحظ ذكاء شخص آخر بطريق مباشر ؛ وذلك لأن ما يلاحظ هو السلوك المادى للأفراد قولا أو كتابة أو عملا ، أى : أدوارهم فى مواقف معينة . وما يسمى بالذكاء لا يخضع للملاحظة المباشرة . وما نلاحظه هو سلوك الفرد فى عدد من المواقف . وليس من الممكن أن نلاحظ جميع أساليب الفرد السلوكية فى جميع المواقف ، ولكننا نستدل من تصرف الفرد فى موقف معين على مدى قدرته وذكائه .

فالذكاء إذن هو حالة افتراضية لا تخضع للتجربة المباشرة ، نستنتجها من طريقة مجابهة الشخص لعدة مشكلات من أنواع متباينة . وحيث إننا نستطيع حصر الأنواع الأساسية من المشكلات التى تجابه الفرد فى مجال التعليم ، فإننا نستطيع بالتالى وضع اختبارات ، أى : إعداد مواقف تشتمل على تلك المشكلات . ونصل من ذلك إلى قياس القدرة العقلية العامة التى نسميها بالذكاء .

توزيع معدلات الذكاء لدى مجموع المراهقين

اسم الطالب	النسبة المئوية من المراهقين
١٤٥ ـ ١٥٤ أو أكثر	١
١٣٥ ـ ١٤٤	٢
١٢٥ ـ ١٣٤	٥
١١٥ ـ ١٢٤	١٠
١٠٥ ـ ١١٤	٢٠
٩٥ ـ ١٠٤	٢٤
٨٥ ـ ٩٤	٢٠
٧٥ ـ ٨٤	١٠
٦٥ ـ ٧٤	٥
٥٥ ـ ٦٤	٢
٥٤ أو أقل	

بعض النظريات التى تفسر الذكاء :

١ - **النظرية العضوية :** يعتقد أصحاب هذه النظرية بأن المقصود بالذكاء أنه إمكانية نمط معين من السلوك الكامن فى التكوين الجسمى للكائن الحى . بمعنى أن كل كائن حى معد لأداء أنماط معينة من السلوك حسب تكوينه الجسمى ، ويعد الكائن الحى ذكيًا إذا كان يستعمل هذه الإمكانيات فى المواقف التى تدعو إلى استعمالها ، وهذه القدرة بهذا المعنى إذن موروثة . أى أنها تتضمن كذلك وجود فروق فى درجة استعمال هذه الإمكانيات .

٢ - **النظرية المثالية :** يعتقد المثاليون من علماء النفس أن الذكاء قدرة أو موهبة عقلية ليس لها صلة بحالة الكائن الحى العضوية ، وهى قدرة عقلية لا تتأثر بالعوامل البيئية . فهى مستقلة عن الجسم وعن الواقع الاجتماعى فى نفس الوقت .

٣ - **النظرية الاجتماعية :** فالذكاء وفق هذه النظرية يرتبط ببعض العوامل المرتبطة بالواقع الاجتماعى الذى يعيشه الفرد . إنه نتيجة للتفاعل الاجتماعى أو التنظيم الاجتماعى فى البيئات المختلفة . وقد تسمى هذه العوامل أحيانا بالنظم الاجتماعية وتتكامل جميعا فيما يسمى بالثقافة العامة .

٤ - **النظرية الماركسية :** ينكر الماركسيون وجود قدرة عقلية عامة ثابتة تمامًا أو حتى ثابتة نسبيًا ، ويعتقدون أن العمليات الفكرية كلها هى صورة من صور المادة وطالما أن الإنسان يستطيع أن يتحكم فى المادة ، فانه بالتالى يستطيع التحكم فى الصور التى تتشكل المادة وفقها ، وبضمنها الفكر . وما الذكاء فى نظرهم سوى أسطورة يقسم الناس بمقتضاها إلى طبقات . ويرى الماركسيون أن العمل وحده هو الخليق بخلق الفكر - أو الذكاء - لدى الإنسان .

أنواع مقاييس الذكاء :

اولا - اختبار المفردات:

وفى هذا النوع من الاختبارات يطلب من الشخص تقديم كلمة من عنده عكس الكلمة التى يسمعها . ويراعى فى الاختبار أن تكون كلماته مكونة من خمسين إلى مائة كلمة ، وأن تكون الكلمة بسيطة ، وألا تقبل إلا إجابة واحدة . من هذه الكلمات مثلا : فقير - شرق - حب - نعم - خطأ - ينسى - يطيع - سعيد - يضحك - يستسلم - مفاجئ ... إلخ .

ثانيا ـ اختبار التفكير اللفظى :

من أمثلة ذلك أن تقول للشخص :

« إن الليل بالنسبة للنهار كالأسود بالنسبة للأبيض » .

« البحار إلى الجندى كالبحرية إلى الجيش » .

وبعد ذلك نبدأ فى الأسئلة :

الحار إلى البارد كالصيف إلى ... ماذا ؟

الثلاثاء إلى الأربعاء كالأربعاء إلى ... ماذا ؟

والكلمات المتضمنة يجب أن تكون بسيطة بحيث نكون متأكدين من فهم الشخص الذى نختبره لها .

ثالثا ـ اختبار سلسلة الاعداد:

نعرض على الشخص الأرقام التالية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

ونقول الآن تستطيع أن تستمر بتلك المجموعة من الأرقام ، هل يمكنك ذلك ؟ ثم ما رأيك فى هذه السلسلة ؟ ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ٩ ماذا عسى أن يكون الرقم التالى ؟ وبعد أن نكون قد شرحنا الفكرة ، فإننا نعطى أربع سلاسل مثلا من أرقام كهذه تطرد فى الصعوبة تدريجيا ونسأل عن العدد التالى الذى يجب إضافته فى كل صف علي النحو التالى :

ـ ١ ٤ ٧ ١٠ ......

ـ ١ ٢ ٤ ٨ ......

ـ ١ ٣ ٣ ٥ ٥ ٥ ......

ـ ١ ٣ ٧ ١٥ ......

رابعا ـ اختبار الرسم التخطيطى :

نقدم إلى الشخص بعض الأشكال الهندسية ونقول له : « هذه الأشكال متشابهة؛ لأنها جميعًا معمولة من خطوط مستقيمة . وعلى ذلك فإذا أنت شاهدت هذه الأشكال الأخرى وطلبت منك أن تضع خطا تحت الشكل الذى لا ينتمى إلى نفس المجموعة ، فما الشكل الذى ستضع خطًا تحته ؟

خامسا ـ *اختبار النماذج* :

نقدم إلى الشخص مجموعة من النماذج واحدًا بعد الآخر ثم نقدم إليه مجموعة أخرى متشابهة ولكن بها بعض الاختلافات الدقيقة ، ثم نسأله عن تلك الاختلافات بين المجموعة الأولى وبين المجموعة الثانية .

سادسا ـ *اختبار المتاهات* :

هذا الاختبار عبارة عن متاهات مرسومة على ورق . ويبدأ بمتاهة تناسب عمر ثلاث سنوات ، وينتهى بمتاهة تتناسب مع عمر قدره ١٤ سنة ، والمتاهات متدرجة الصعوبة ، ويمكن أن يشرح المختبر للشخص فكرة المتاهة والمطلوب منه عمله فى الاختبار ويكون عليه أن يضع خطة بحيث يمر بالقلم الرصاص ابتداء من باب الدخول المرسوم بالمتاهة حتى يخرج من باب الخروج بها . وتحسب الأخطاء التى يقع فيها الشخص فى محاولته للاهتداء إلى الطريق السليم الذى عليه أن يسلكه فى المتاهة ، أو قد يقوم المختبر بحساب الزمن الذى يقضيه الشخص فى هذه العملية ، ثم يحسب بعد ذلك الزمن الذى يقضيه فى المحاولات التالية . وفى ضوء هذا يمكن معرفة القدرة لديه على إقامة علاقات بين مقومات المواقف الكثيرة والمتشابكة .

وإلى جانب الاختبارات التى وضعت لقياس معدل الذكاء ، فإن هناك أيضًا مجموعة من الاختبارات وضعها علماء النفس لكى يتمكنوا بواسطتها من قياس القدرة الخاصة لدى الفرد وهو بسبيل الانخراط فى حرفة أو مهنة يتطلب التمرس بها أن يكون الشخص المتقدم لها مسلحًا باستعداد خاص لممارستها . وفيما يلى أهم الاختبارات التى وضعت لقياس القدرات الخاصة .

اولا ـ *اختبارات القدرة الكتابية* :

وأهمها اختبار منسوتا للقدرة الكتابية ويشتمل على قسمين : الأول لمقارنة الأرقام ، والثانى لمقارنة الأسماء . ويعتبر هذا أهم الاختبارات وأكثرها استخدامًا لقياس هذه القدرة. وهناك أيضًا اختبار ثرستون للقدرة الكتابية العامة واختبار أروروك الكتابى ، ويعتبر الاختبار الأول أهمها من ناحية الأبحاث التى أجريت عليه واستخدامه على نطاق واسع ، كما أنه أسهلها فى الإجراء ومن الممكن أن يطبق على طلبة المدارس الثانوية .

ثانيا - اختبار القدرة الميكانيكية :

وهذه الاختبارات قد تقيس القدرة الميكانيكية والتفكير الميكانيكى والمعلومات الميكانيكية والمهارة اليدوية . ومن أهم الاختبارات التى تقيس المهارة الحركية : اختبار منسوتا لسرعة التناول ، واختبار أوكنر لمهارة الأصابع ، واختبار برديو للوحة الأصابع .

وأما اختبارات التصور المكانى فبعضها عملى مثل : اختبار منسوتا لإدراك العلاقات والبعض الآخر من اختبارات الورقة والقلم مثل اختبار لوحات الأشكال الورقى .

أما اختبارات التفكير الميكانيكى، فمنها : سلسلة اختبارات بنيت للإدراك الميكانيكى .

وأما اختبارات المعلومات الميكانيكية فإن أهمها اختبار منسوتا لتجميع أجزاء الآلات أو العدد .

وهناك عدد كبير من الاختبارات التى تقيس النواحى المختلفة من القدرة الميكانيكية وتستخدم هذه الاختبارات فى التوجيه التربوى والمهنى . وبعض هذه الاختبارات تستمد قيمتها من حيث إنها تكشف عن غير الصالحين لممارسة المهن الميكانيكية أكثر مما تكشف عن الصالحين لها ، أى : أن من تستبعده من الأفراد لا يصلح غالبًا لهذه المهن فى حين أن بعض المتفوقين فيها قد لا ينجحون فى تعلمها .

ثالثا - اختبارات القدرة الفنية (المتعلقة بالرسم والقدرة الموسيقية :

على الرغم من أن تقدير احتمال نجاح الفرد فى المهن الفنية المتعلقة بالرسم أو الموسيقى ينبغى أن يعتمد على إنتاج الفرد الخاص بهذه الناحية ، فإن الاختبارات الموضوعية لهذا الغرض قد تكشف عن بعض الأفراد الذين يحتاجون إلى التشجيع والرعاية حتى تنمو مواهبهم فى هذه الناحية .

ومن أشهر هذه الاختبارات اختبار ماير للحكم الفنى لقياس القدرة على التقدير الجمالى ، واختبار كنوبر للقدرة الفنية وهو يقيس القدرة على الرسم والتصميم .

أما من الناحية الموسيقية فنجد اختبار سيشور للموهبة الموسيقية وهو يقيس القدرة على التمييز الصوتى واختبار كوالواسر للمعلومات الموسيقية . واختبار كوالواسر - رو للتحصيل الموسيقى .

رابعا - اختبارات المهن الخاصة :

وهذه الاختبارات توضع بقصد اختبار أفراد مهن معينة بالذات مثل : المهن الهندسية والطبية والتربوية وقيادة السيارات وغيرها . وتوضع هذه الاختبارات غالبًا لمؤسسات خاصة مثل : الاختبارات التى وضعت لاختبار الطلبة المتقدمين لكليات الطب بقصد انتقاء أفضلهم ، وكذلك اختبار السائقين بقصد اختبار أسرعهم تعلمًا وأقلهم تعرضًا للحوادث ، وكذلك الاختبارات الموضوعية لانتقاء طلبة بعض الكليات العسكرية . ومعظم هذه الاختبارات تعتبر خاصة لا يجوز تداولها أو الكشف عن محتوياتها لغير المشتغلين بها .

مقاييس الشخصية

اهداف مقاييس الشخصية :

اولا - الوقوف على الصفات الانفعالية ، وذلك باختبار السمات المزاجية مثل: النشاط والميل إلى بذل المجهود العضلى والاندفاعية والسيطرة والزعامة والثبات الانفعالى والميل الاجتماعى والتأمل والانزواء .

ثانيا - قياس جدية الشخصية والعزم والهدوء والصراحة والثبات الانفعالى والاتزان والمثابرة والرضاء .

ثالثا - قياس الميل إلى العصبية والاكتفاء الذاتى والانقباض والسيطرة والميل الاجتماعى والثقة .

رابعا - قياس الانحرافات العقلية والنفسية ، وقياس مدى خضوع الشخص لتوهم المرض والانقباض والهستيريا والانحراف السيكوباتى والبارانويا والسيكاتنيا والفصام والهوس والانطواء الاجتماعي .

خامسا - قياس مدى قدرة الشخصية على التكيف الاجتماعى والتأقلم للظروف الجديدة والعناصر المألوفة بالموقف .

سادسا - قياس تكامل الشخصية ، ومدى بعدها عن التناقض الوجدانى والتناقض العقلى والتناقض فى العلاقات الاجتماعية .

أمثلة لاختبارات الشخصية :

المثال الأول - اختبار « رودجرز » لدراسة شخصيات الأطفال والمراهقين الذكور

إعداد الدكتور مصطفى فهمى :

وضع « ك . رودجرز » هذا الاختبار حين كان عضوًا فى مؤسسة توجيه الأطفال بمدينة نيويورك بعد أن قام بدراسة مستفيضة عل نحو ٥٢ طفلا من الأطفال المشكلين وبعد أن درس كذلك ٨٤ طفلا عاديا من أطفال إحدى مدارس نيويورك العامة .

الوان الانحرافات التى يكشف عنها هذا الاختبار :

ثبت لرودجرز أن هذا الاختبار يفيد فى الكشف عن عدد من أنواع الانحرافات النفسية هى :

اولا - الشعور بالنقص :

إذ يوضح الاختبار على وجه التقريب ما قد يكنه الطفل أو المراهق فى نفسه من قصور جسمى أو عقلى ، كأن يظن أنه أقل من أقرانه قدرة على الفهم ، وأضعف منهم بنية . أو أقل ملاحظة وأحط قدرة .

ثانيا - سوء التكيف الاجتماعى :

فاختبار رودجرز يبين مدى حسن تكيف الطفل للجماعة التى ينشأ فيها ، كما يكشف عن مبلغ رضا الطفل عن علاقاته الجماعية وعجزه عن أن يتخذ لنفسه أصدقاء أو خموله الاجتماعى - أعنى : قلة لباقته وسط الجماعة .

ثالثا - العلاقات العائلية :

يكشف هذا الاختبار عن نوع علاقة المراهق بوالديه ومخالطيه ، ويدخل فى ذلك شعوره بالغيرة من الوالدين أو الإخوة ، وعلاقاته معهم ، وشعوره بأنه شخص غير مرغوب فيه ، وتفانيه فى الاتكال على والديه أو أحدهما .

رابعا - أحلام اليقظة :

وضع الاختبار لقياس مبلغ جنوح المراهق إلى الخيال والإغراق فى الوهم .

كيفية إجراء الاختبارات :

وضع هذا الاختبار في صورة مجموعات من الأسئلة تصلح بصفة عامة للمراهقين فيما بين (١٠ ـ ١٦) وهو يستخدم إما بطريقة فردية أو بطريقة جماعية . على أنه يحسن إجراء الاختبار فرديا على الأطفال الذين تنقص أعمارهم عن العاشرة . أما من كانت أعمارهم تزيد عن العاشرة ، فيمكن اختبارهم بطريقة جمعية على ألا يزيد عدد المجموعة عن ٥٠ مراهقًا . والزمن اللازم لإجراء هذا الاختبار يتراوح بين (٤٠ ـ ٥٠) دقيقة . وفيما يلى نعرض الاختبار الأول من الاختبارات الستة التي يتكون منها هذا الاختبار كنموذج يساعد على تفهمه :

افرض أنك الآن تستطيع تحويل نفسك إلى شخص آخر ، وأن تكون واحدًا من الأشخاص المذكورين فيما يلى . فأى شخص تحب أن تكون ؟ اكتب : (١) أمام أحسن ما تختاره اكتب : (٢) أمام أحسن ما تختاره بعد اختيارك الأول . أكتب : (٣) أمام أحسن ما تختاره بعد اختيارك الثانى .

أ ـ ... ... زوجة

ب ـ ... ... معلم

ج ـ ... ... ممثل سينمائى

د ـ ... ... كاتب اختزال

هـ ـ ... ... صاحب دكان

ح ـ ... ... راعى الغنم

ط ـ ... ... رجل صاحب أعمال

ى ـ ... ... زوجة صاحب أعمال

ك ـ ... ... أميرة

ل ـ ... ... مخترع

م ـ ... ... ملاكم

ن ـ ... ... ملك

س ـ ... ... محام

ع ـ ... ... رجل بوليس

ف ـ ... ... طيار

ص ـ ... ... ضابط

ق ـ ... ... رجل مطافى

ر ـ ... ... شاعر

ش ـ ... ... بوليس سرى

ت ـ ... ... طبيب

ث ـ ... ... ممرضة

خ ـ ... ... مهندس

ذ ـ ... ... ممثلة

ض ـ ... ... مغن

ظ ـ ... ... بائع

غ ـ ... ... فنان

إذا كانت لك رغبة أخرى غير ما سبق فأكمل الجملة الآتية :

أحب أن أكون ...

المثال الثانى ـ اختبار الشخصية

للدكتور أحمد زكى صالح .

والفكرة العامة فى عناصر هذا الاختبار : أنها قضية موقفية أو عامة . ويطلب من الفرد أن يقرأ العبارة ويضع علامة على إحدى مستويات ميوله لهذه العبارة : غالبًا ما يكون ـ كثيرًا جدا ـ مقبول ـ نادرًا .

والاختبار يتكون من ثمانية أقسام كل قسم يتضمن مجموعة من العبارات ويقيس كل قسم صفة وضدها ، وفيما يلى الصفات التى يقيسها هذا الاختبار .

١ ـ الرصانة ضد التسرع :

أصحاب الدرجات العليا فى هذه الصفة تكون الميول لديهم ثابتة كتلك التى توجد لدى العمال المهرة والمهندسين والعلماء كالميل للحذر والاحتياط ، وقصر الاختلاط على الأصدقاء الأقربين .

أما أصحاب الدرجات الدنيا فإنهم يتميزون بالنقص فى ميولهم الاجتماعية كما يظهر لديهم الميل للعدوان والميل للسيطرة والسيادة . والميول هنا تكون متشعبة ولكنها متذبذبة ، كما أنهم يميلون للكلام الكثير غير المنسجم ، ويصطبغ سلوكهم بالاندفاع والميل الاندفاعى يصاحبه الاتجاه نحو عدم الاحتياط كما يصاحبه أحيانًا عدم تقدير حقوق الآخرين .

٢ ـ الحزم ضد التردد :

الدرجات العليا تدل على شخص متميز بالإيجابية والوعى مع ميل للتعاون والثقة كما يتميز بالقدرة على اتخاذ القرارات بناء على الواقع والحقائق ويميل إلى المناقشة مع أى شخص يعتبره على خطإ حتى إذا كان رئيسه ، كما يسهل عليه التركيز والتقدير ولديه ميل نحو أساليب النشاط الترويحى .

والدرجات الدنيا تدل على شخص لديه استعداد لقبول الإيحاء الوقتى من الخارج وغالبًا ما يحول ذلك دون اتخاذ قرارات كما يصعب عليه التقدير والتركيز وأحيانًا يتخذ نوعًا من أساليب الانقباض ويشعر بالملل والضيق بسرعة وغالبًا ما تكون ميوله نحو النشاط الترويحى طفيفة وتافهة .

٣ - الهدوء ضد القلق :

الدرجات العليا تدل على شخص متميز بثبات المزاج وعدم وجود التردد ولا يوجد لديه ميل واضح نحو الملل وانعدام الصبر ويجرى عمله غالبًا بطريقة منهجية دون تقطع ، وتكون العلاقة بينه وبين غيره من أتراب طبيعية وحسنة وغالبًا ما يكون الفرد هادئًا وواثقًا مما يعمله .

والشخص الذى يأخذ درجات دنيا يتميز باستعداد لاستجابة مصحوبة بالضيق والملل ومحاولة الكشف عن أخطاء الآخرين وخاصة من هم أقل منه مركزًا .

٤ - الصراحة ضد الالتواء :

الذى يأخذ درجات عليا يتميز بأنه شخص يعتمد عليه ، صريح صادق ، ويعمل بوعى وإدراك ، ويظهر الانسجام مع الزملاء والرغبة فى تحمل المسئولية ويتوقع أن يكون أهلا لتحمل المسئولية ، متزن ومتعاون ويستشعر السعادة فى العمل والزواج .

أما الشخص الذى يأخذ درجات دنيا فإنه يتميز بعدم الرغبة فى تقبل الحقائق وعدم القدرة على تحمل المسئولية وإسقاط اللوم على الآخرين والمبالغة فى التحليلات والكذب ويميل أحيانًا إلى الانقباض ولا يمكن التنبؤ بسلوكه . يفتقر إلى الاستقلال ويجد من العسير عليه التعاون مع الآخرين .

٥ - الثبات والانفعال ضد عدم الثبات :

تدل الدرجات العليا على الثقة بالنفس وتحمل المسئولية والميول السائدة تشبه ميول الطيارين والصيادلة والمهندسين ويكون الشخص متزنًا وجريئًا قادرًا على أن يعمل منفردًا أو مع غيره . والسيطرة موجودة دائمًا وتبشر بالنجاح فى العمل والسعادة الزوجية .

أما الدرجات الدنيا فتدل على عدم الثقة بالنفس والشعور بالدونية والخوف والخجل وعدم الاتزان الانفعالى ، ويفضل أصحاب هذا المستوى العمل مع الغير أكثر من العمل بمفردهم . أحيانًا ينقبض ويكون عرضة للتقلبات المزاجية المفاجئة ورغمًا عن شعوره بعدم الكفاية فإنه يميل إلى الهروب والانسحاب . تنقصه صفات الزعامة والقيادة ، غالبًا ما يجيد العمل الروتينى والأعمال الكتابية .

٦ - **التسامح ضد التعصب :**

تدل الدرجات العليا فى هذا الجزء على سعة الأفق العقلى والاتجاهات البسيطة السهلة ومرونة المعايير الأخلاقية والمثل العليا والعلاقات مع الغير تكون موضوعية سارة ومنسجمة . ويميل مزاج الشخص صاحب الدرجة العالية إلى الثبات والثقة .

أما صاحب الدرجات الدنيا من هذا الاختبار فإنه يكون صاحب اتجاهات قوية نحو مصاحبة الآخرينِ وتكون هذه الاتجاهات غير مناسبة غالبًا . فالتعصب والحكم السابق وهما من مستلزمات هذه الصفة ، يختفيان وراء المثل العليا القوية العنيفة والمعايير الأخلاقية الصارمة . وغالبًا ما يوجد عند الأفراد الذين يأخذون درجات دنيا نوع من الشعور بالنقص وعدم الاتزان .

٧ - **المثابرة والاستمرار ضد التذبذب والشرود :**

الدرجاح العليا فى هذا الجزء تدل على اتجاهات ثابتة واحتمال ضئيل للتغير بعد سن ٢٥ سنة ، والذى يصيب درجات عالية من هذا الجزء يكون جيد التوافق مع البيئة العلمية جدا تحت سن ٢٠ سنة .

٨ - **الانشراح ضد القلق والانقباض :**

الدرجات العليا تدل على أن مشاكل بسيطة هى التى مازالت موجودة لدى الشخص وعدم الاهتمام بهذه المشكلة إذا وجدت . ومثل هذا الشخص يكون متزنًا متعاونًا وجيد التوافق مع عمله والمجتمع .

المثال الثالث - اختبار الشخصية للأطفال والمراهقين :

إعداد الدكتور عطية هنا

يقيس هذا الاختبار نواحى التكيف عند الشخص مثل : اعتماد الطفل أو المراهق على نفسه وإحساسه بقيمته وشعوره بالحرية والانتماء وعدم الانطواء والخلو من الأعراض العصابية . ويقيس كذلك نواحى التكيف الاجتماعى مثل : إدراك الشخص للمستويات الاجتماعية والمهارات الاجتماعية وعدم الإضرار بالآخرين ومدى العلاقات الأسرية والمدرسية .

ويتكون الاختبار من قسمين : ــ

القسم الأول (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و)

القسم الثانى (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و)

وتشتمل كل فقرة من هذه الفقرات على ثمانية أسئلة ،
نذكر منها على سبيل المثال ما يلى : ـ

القسم الأول (أ)

١ ـ هل تشعر برغبة فى البكاء لأقل سبب ؟	نعم	لا
٢ ـ هل تقدر أن تتكلم أمام زملائك فى الفصل ؟	نعم	لا
٣ ـ هل تحتاج إلى مساعدة من أحد لتأكل ؟	نعم	لا
٤ ـ هل يساعدك أحد فى ارتداء ملابسك ؟	نعم	لا
٥ ـ حين تلعب هل تستمر فى اللعب حتى نهايته ؟	نعم	لا

القسم الأول (ب)

١ ـ هل تعمل أشياء تبسط زملاءك ؟	نعم	لا
٢ ـ هل يضايقك زملاؤك ؟	نعم	لا
٣ ـ هل عدد أصحابك أقل من عدد أصحاب غيرك؟	نعم	لا
٤ ـ هل معظم زملائك أشطر منك ؟	نعم	لا
٥ ـ هل يقول عنك أهلك أنك شاطر ؟	نعم	لا

القسم الأول (ج)

١ - هل تزور أماكن جديدة كثيرة ؟	نعم	لا
٢ - هل يسمح لك أهلك بأن تلعب الألعاب التى تحبها؟	نعم	لا
٣ - هل تعاقب علي أشياء كثيرة تفعلها ؟	نعم	لا
٤ - هل تقوم بأكثر الأعمال التى تحبها وحدها؟	نعم	لا
٥ - هل يجبرك أهلك على البقاء فى المنزل كثيرًا؟	نعم	لا

القسم الأول (د)

١ - هل تشعر بأن الناس لا يحبونك؟	نعم	لا
٢ - هل تحب الذهاب إلى المدرسة؟	نعم	لا
٣ - هل يحبك زملاؤك فى المدرسة؟	نعم	لا
٤ - هل تشعر أنك وحيد ولو كنت مع الناس؟	نعم	لا
٥ - هل أنت كبير وقوى مثل معظم زملائك؟	نعم	لا

القسم الأول (هـ)

١ - هل تخاف كثيرًا؟	نعم	لا
٢ - هل يضايقك أكثر زملائك؟	نعم	لا
٣ - هل يقول كثير من زملائك أشياء تضايقك؟	نعم	لا
٤ - هل يحاول زملاؤك أن يغشوك عادة؟	نعم	لا
٥ - هل تفضل أن تتفرج على غيرك بدلا من أن تلعب أنت؟	نعم	لا

مقاييس الاتجاهات

معنى الاتجاه :

سبق أن ذكرنا أن لفظ اتجاه يستخدم فى علم النفس للدلالة على مجموعة من العواطف المتبصرة بأفكار والرامية نحو أهداف عامة يمكن أن يكتسبها شخص أو مجموعة من الأشخاص لخدمة هدف مشترك أو أهداف مشتركة . ومن أمثلة ذلك : الاتجاه نحو اتباع النظام بالمدرسة ، والاتجاه نحو طاعة الأوامر المدرسية ... إلخ .

ويمكن أيضًا تعريف الاتجاه بأنه مجموعة من الأساليب السلوكية التى بمقتضاها يحدد الشخص أو المجموعة موقفهم بالقبول أو الرفض لموضوع اجتماعى أو نفسى يقبل الأخذ والرد . ويمكن تلخيص الفكرة العامة فى قياس الاتجاهات فيما يلى :

أولا - يجب أن يكون هناك أكثر من موقف يمكن أن يتخذه الشخص أو المجموعة ويكون على الشخص أو المجموعة الاختيار من بين المواقف المتعددة التى يمكن أن يتم الاختيار من بينها . فالطاعة التى يتمرس بها التلاميذ فى المدرسة والخضوع للأوامر التى تصدر عن الإدارة والمدرسين تمثل اتجاهًا ؛ ذلك أن من الممكن أن يدعو البعض إلى حرية التصرف بناء على الاقتناع الذهنى الحر . ولقد يعتبر هؤلاء الداعون إلى الحرية أن ما يعتاده التلاميذ من الطاعة يشكل سببًا مؤثرًا فى الحد من حريتهم ، وفى إبطال قدرتهم على التفكير والاختيار .

وعلى نفس النحو قد تجد مجتمعات تعلى من قيمة الذكاء والاختيار ، ومجتمعات أخرى تعلى من قيمة الطاعة المطلقة . والنوع الأول من المجتمعات : هى المجتمعات الديموقراطية ، والنوع الثانى : هى المجتمعات الدكتاتورية .

وطبيعى أنه يكون من غير الممكن أن يوجد اختيار فى القضايا التقريرية العلمية فلا يمكن مثلا أن يقبل البعض القضية القائلة : إن المعادن تتمدد بالحرارة بينما يرفض البعض الآخر ذلك .

إذن فالاتجاه هو استجابة قبول أو رفض لفكرة أو لموضوع أو لموقف . وحيثما تعمم هذه المستويات والمثل العليا ، وتأخذ إطارًا معينًا ، فإنها تصبح قيمة ، الأمر الذى يجعل من القيم نوعًا من المعايير الاجتماعية تتأثر بالمستويات المختلفة التى يكونها الفرد نتيجة احتكاكه بمواقف خارجية معينة ، ونتيجة لخضوعه لعملية تعلم مباشرة أو غير مباشرة من البيئة التى ينشأ فيها .

الأهداف التى تتوخاها مقاييس الاتجاهات :

١ - معرفة موقف شخص أو مجموعة بتجاه قيمة اجتماعية معينة . فإذا كانت تلك القيمة مما يجب العمل على تثبيت أركانه - التعاون مع الآخرين مثلا - فنبدأ بالوقوف على مدى قوتها لدى الشخص أو لدى المجموعة . وبعد هذا نستطيع أن نضع خطة التوجيه يكون من شأنها دعم تلك القيمة . أما إذا كانت تلك القيمة مما يجب العمل على هدمه وقهره - الأخذ بالثأر مثلا - فيجب أيضًا البدء بقياسها ، ثم القيام بعد ذلك بوضع خطتة لقهرها وملاشاتها .

٢ - معرفة السمة السائدة لدى الشخص أو لدى إحدى المجموعات فى ناحية معينة أو بصدد مجموعة من المواقف أو الحالات الاجتماعية .

٣ - قياس قوة إحدى القيم الاجتماعية بمنطقة معينة أو لدى مجتمع معين .

٤ - تتبع التحولات الاجتماعية فى ضوء التغيرات التى تقع فى اتجاهات المجتمع .

أمثلة لمقاييس الاتجاهات :

اولا - مقياس قطب للاتجاه العلمى :

الغرض من هذا المقياس هو التعرف على رأى بعض الأفراد فى مجموعة من المواقف التى يشتمل عليها . وهذه المواقف تمثل عينة من المشكلات العامة التى تصادفنا فى حياتنا ، والتى كثيرًا ما تكون موضع مناقشة وتكون استجاباتنا لها أحيانًا بالرفض أو القبول ، وأحيانًا أخرى بالتردد فى إبداء رأى ما . ويشتمل المقياس على مجموعة من المواقف التى كثيرًا ما نواجهها ، ويلى كل موقف من هذه المواقف عدد من العبارات يمثل كل منها رأيًا أو تعليقًا أو اقتراحًا وحلا لهذا الموقف وبجانب كل عبارة من هذه العبارات ثلاث كلمات هى (موافق - غير متأكد - غير موافق) وهى الاستجابات المحتملة للإجابة عن كل عبارة .

وفيما يلى أحد المواقف التى تشبه المواقف التى يشتمل عليها المقياس ، وطريقة الإجابة عن إحدى عباراته .

سقطت إحدى السيارات فى النيل وانتشلها البوليس ، فوجد أن السائق قد توفى وبمعاينة السيارة وجد أن بها زجاجة خمر مكسورة .

من المؤكد أن سائق هذه السيارة كان سكرانًا بدليل وجود زجاجة الخمر بالسيارة موافق ... غير متأكد ... غير موافق ... .

ثانيا ـ اختبارات القيم :

من أشهر هذه الاختبارات اختبار القيم الذى أعده الدكتور عطيه محمود هنا . عن اختبار ألبورت وفرنون ولندزى وهو يقيس القيم التى تؤدى إلى تكيف الأفراد فى الدراسات والأعمال التى يقومون بها .

ثالثا ـ استخبار القيم :

وضع هذا الاختبار « ويزلى بو » بجامعة نبراسكا الأمريكية ، وأعده فى صورته العربية الدكتور يوسف الشيمى ، والدكتور جابر عبد الحميد . ويشتمل هذا الاختبار على ١٥٠ عنصرًا تتناول عدة أنماط من القيم مثل : القيم النظرية والاجتماعية والجمالية ... إلخ . وليست هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة . ويطلب من المفحوص أن يبين شعوره الشخصى بإزاء كل عنصر من عناصر الاختبار . فيجب عليه القيام بوضع علامة (ــ) فى المكان الذى يتفق مع رأيه (أوافق بشدة ـ غير متأكد ـ لا أوافق ـ لا أوافق بشدة) ويجرى الآن تطبيق هذا الاختبار فى بيئتنا العربية لتعيين معامل ثباته ومعامل صدقه ووضع معاييره .

رابعا ـ اختبار الاتجاهات العائلية :

وصف الاختبار :

إن اختبار الاتجاهات العائلية لمؤلفته الدكتورة (ليديا جاكسون) هو أحد الاختبارات الإسقاطية التى تستعمل لدراسة ما يعانيه المراهقون من صراعات داخلية تنشأ بسبب العلاقات التى تقوم داخل الأسرة ، إما بينهم وبين الأبوين ، وإما بينهم وبين خلطائهم من إخوة وأخوات .

والاختبار فى شكله النهائى يتكون مع سبع بطاقات مصورة مقننة يمثل كل منها موقفاً عائليا من المواقف التالية :

أ ـ حماية الأم للمراهق واعتماده عليها .

ب ـ انفراد الأبوين بالمودة بينهما دون المراهق وما يترتب على ذلك من تهديد لشعوره بالأمن .

ج ـ الغيرة التى تنشأ فى نفس المراهق الأكبر سنا بسبب اهتمام الوالدين بأخيه الأصغر .

د - ارتكاب الذنب وما يتبع ذلك من شعور بالوحدة وميل إلى الانفراد .

هـ - احتمال عدوان الوالدين .

و - إغراء المحرم والممنوع وتحمل العقوبة .

ز - استجابة المراهق للنزاع والشجار بين الأبوين .

وقد صممت المواقف المختلفة التى تعبر عنها كل بطاقة على نحو يجعل من الممكن تفسيرها ، فيتخذ المراهق ما يناسبه منها وما يطابق حالته النفسية ويتمشى مع ما يعانيه من اضطرابات ومشكلات . وهو إذ يفعل كل ذلك لا يتحدث عن نفسه بطريقة مباشرة وإنما يسقط هذه المشاعر وتلك الأحاسيس على لسان الأفراد الذين يتكون منهم الموقف الماثل فى الصورة . يحدث ذلك بطريقة تلقائية ، مادامت الظروف والطريقة التى يجرى بها الاختبار طبيعية ، أما إذا تنبه المراهق إلى ذلك فإنه يلجأ إلى الحذر والحيطة كوسيلة دفاعية يحمى وراءها خوفه من الإفصاح عن مصادر متاعبه ليجنب نفسه العقاب والحرمان الذى يؤذيه وينغص عليه حياته .

وقد انتهت (ليديا جاكسون) إلى اختيار هذه البطاقات السبع بعد أن ظلت تجرب زمناً طويلا فى عيادات إرشاد الأطفال وتوجيههم وفى مؤسسات الأحداث : وكذلك فى المدارس العادية ، على مجموعة مختلفة من الصور والرسوم ؛ وقد تبين أن هذه المجموعة النهائية هى أفضلها فى استخراج ما فى نفس الطفل من صراعات ومشاعر وأحاسيس ، وفى إطلاع المختبر على حقائق نفسية تطابق وتتمشى مع ما توصل إليه الباحثون الاجتماعيون والأخصائيون النفسيون من معلومات جمعوها عن طريق المقابلة والدراسة الإكلينيكية .

طريقة إجراء الاختبار :

يتكون الاختبار من سبع صور ، يرمز لكل منها برقم خاص يبدأ من الصفر ويتدرج إلى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ . والصورة رقم ٢ من نموذجين أحدهما يناسب الصبية والآخر يناسب الإناث .

ويوجد خلف كل صورة مجموعة من الأسئلة الإيضاحية التى يلجأ إليها المختبر لتشجيع الطفل المفحوص على الحديث وعلى الإفصاح عن مقاصده . وفيما يلى نموذج من تلك الأسئلة .

الصورة صفر (حماية الأم للمراهق واعتماده عليها) :

١ - تفتكر الست بتعمل إيه ؟

٢ - تبقى إيه للطفل الصغير : أمه وللا واحدة تانية ؟ إذا مكانتش أمه تبقى مين ؟ وهى معتنية ومهتمة بيه ولا بتهمله ومش سائلة عنه ؟ وفين أمه ؟ فى البيت - خرجت وبعيدة عن البيت . ليه ؟

٣ - الطفل ده ولد وللا بنت .

٤ - هو (هى) كويس ولا شقى .

٥ - إيه الشقاوة اللى بيعملها (بتعملها) .

٦ - أمه بتعمل إيه لما يتشاقى .

٧ - إنته بتحبه كتير ولا مش كتير ؟

٨ - وفين أبوه ؟ فى البيت ؟ فى شغله ؟ مش موجود فى البيت ليه ؟ مات وللا فين؟

الصورة رقم ١ :

(انفراد الأبوين بالمودة بينهما دون المراهق وما يترتب على ذلك من تهديد لأمنه)

١ - الولد الصغير بيفكر فى إيه ؟ بيعمل إيه ؟

٢ - هو كويس وللا شقى ؟

٣ - إيه الشقاوة اللى بيعملها ؟

٤ - أبوه وأمه بيعملوا إيه ؟

٥ - بيحبوه (بيحبوها) كتير وللا مش كتير ؟

٦ - بيحبوه (بيحبوها) دايمًا وللا مش دايمًا ؟ مرة يحبوه ومره يكرهوه ؟

٧ - الولد (الصغير البنت الصغيرة) بيحبهم (بتحبهم) كتير وللا مش كتير ؟

٨ - بيحبهم (بتحبهم) دايمًا ؟ مرة بيحبهم ومرة يكرههم ؟

٩ - الراجل التانى اللى فى الصورة بيحب الطفل (الطفلة) ؟

١٠ - والطفل بيحبه ؟ بيكرهه ؟ بيخاف منه ؟ علشان إيه ؟

١١ - يبقى منين الراجل ده : غريب - قريب - معرفة ؟

الصورة رقم ٢ :

١ - الولد الصغير (البنت الصغيرة) بيفكر فيه ؟

٢ - الولد الصغير (البنت الصغيرة) كويس وللا شقى ؟

٣ - كويس (شقى دايمًا وللا مش دايمًا) مرة كويس ومرة شقى ؟

٤ - إيه الشقاوة اللى بيعملها ؟ (بتعملها) ؟

٥ - أبوه وأمه بيعملوا إيه لما بيعمل الشقاوة دى ؟

٦ - الطفل اللى بيرضع يبقى أخو الولد الكبير (البنت الكبيرة) وللا أخته (أختها)؟ الولد الكبير (البنت الكبيرة) بيكره الطفل اللى بيرضع وغيران منه وللا بيحبه وفرحان بيه ؟

٧ - الأب والأم بيحبوا مين أكتر ؟ الطفل اللى بيرضع وللا الولد (البنت) الصغير؟ ليه ؟ وللا بيحبوا الاتنين زى بعض ؟

الصورة رقم ٣ :

١ - الولد الصغير قاعد لوحده ليه : هو ماقدرش ياخد حاجة كان عاوزها ؟ هو متضايق وزهقان؟ وللا هو عايز يقعد لوحده كده؟ (كيف يقعد لوحده كده) هو يحب الهيصة ويكون مبسوط وللا هو ما يحبش الحاجة دى ؟

٢ - هو بيفكر فى إيه ؟ هو مكسوف علشان عمل حاجة مكانش بيصح إنه يعملها ؟ تبقى إيه الحاجة دى ؟ هو بيفكر إنه يعمل حاجة ؟

٣ - فين أبوه وأمه ؟ فى البيت - بره البيت - بره بعاد عن البيت (ماتوا) .

٤ - إيه اللى حايحصل ؟ أبوه وأمه حيقولوا إيه لما يعرفوا باللى حصل ؟ حايعاقبوه؟ قوى - مش قوى - شوية صغيره - مش حايعاقبوه خالص ؟

٥ - حايفضل قاعد كده لغاية إمته ؟ هو عايز يخرج من الحتة اللى هو فيها؟ حايروح فين - ليه ؟

٦ - الباب مقفول بالمفتاح وللا من غير مفتاح ؟ مين اللى قفل الباب - ليه ؟

الصورة رقم ٤ :

١ - الأم (هى) شايله الطفل كده ليه ؟ هى عاوزة تديله الطفل وللا مش عاوزة ؟

٢ - هى ترضى أن الأب (الراجل) يعمل (يلعب) كده مع الطفل ؟

٣ - هو الأب (الراجل) بيزعق وزعلان ليه ؟

٤ - هو عاوز الطفل وللا مش عاوزه ؟ هو عاوز يعمل حاجة للطفل ؟

٥ - أبوه وأمه بيعاملوه كويس وللا مش كويس - حد منهم عاوز يبعد الطفل عن البيت ليه؟

٦ - مين فيهم ، اللى بيحبه ومين اللى يكرهه ؟

الصورة رقم ٥ :

١ - الطفل دلوقت بيعمل إيه ؟

٢ - هو يبقى ولد وللا بنت ؟

٣ - يبقى مين الراجل ده ؟ أبوه وللا حد تانى ؟

٤ - هو عايز يعمل إيه للطفل ؟ يضربه وللا يمنعه من عمل حاجة وحشة تضره ؟

٥ - أم الطفل فين ؟

٦ - الأم حاتقول إيه أو تعمل إيه لما تسمع باللى حصل ؟ حاتكون مع الطفل وللا مع أبوه؟

الصورة رقم ٦ :

١ - الأب والأم بيتكلموا فى إيه ؟ هما بيزعقوا لبعض علشان حاجة: بتاعتهم وللا بتاعة الطفل؟

٢ - الطفل فاهم (سامع) الحاجة اللى بيكلموا عليها.

٣ - الطفل بيفكر فى إيه ؟ فى أن الأب مالوش حق يعمل كده أو أن الأم هى اللى مالهاش حق ؟ وهو زعلان من أبوه وللا من أمه ؟

٤ - إيه اللى حيحصل ؟ الأب والأم حيصالحوا بعض ؟ حيتخانقوا ؟ حيحصل حاجة تانية غير كده ؟

٥ - إيه رأيك فى الطفل وفى أمه وأبوه ؟

والاختبار لا يمكن إجراؤه إلا بطريقة فردية وعلى المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والخامسة عشرة من البنين والبنات على حد سواء . وتعرض الصور متتابعة على المفحوص ويطلب منه عند عرض الصورة أن يكوّن قصة من الموقف الذى تمثله الصورة . وقد يشجع المختبر مفحوصه إذا هو توقف أو امتنع عن سرد القصة بتوجيه بعض الأسئلة السابق بيانها والتى يجدها مدونة خلف كل صورة. والأسئلة فضلا عن هذا تكشف عن كثير من خواطر الطفل أو المراهق ومشاعره وطبيعة العلاقات بينه وبين والديه ، وبينه وبين إخوته . ومن الممكن بالطبع وضع اختبارات من هذا النوع بحيث تكون صالحة للتطبيق على الشبان والشابات وتسمح بالوقوف على اتجاهاتهم وقياسهم .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف
بدار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

١ - الانتماء وتكامل الشخصية
٢ - الحب والكراهية
٣ - الحرية النفسية
٤ - رعاية المراهقين
٥ - رعاية الشيخوخة
٦ - المراهقة وكيفية التعامل معها
٧ - سيكولوجية الشك
٨ - الشباب والتوتر النفسى
٩ - الشخصية القوية
١٠ - العبقرية والجنون
١١ - قوة الإرادة
١٢ - استثمر وقت فراغك
١٣ - بالعزيمة تتحقق آمالك
١٤ - تعلم فن التفكير والكلام
١٥ - الحب من أول نظرة : دراسة سيكولوجية
١٦ - صحتك النفسية فى الميزان
١٧ - الصداقة والحب
١٨ - الغيرة والحسد
١٩ - كن شجاعًا ولا تخف
٢٠ - كيف تربى أولادك ؟
٢١ - كيف تصلح سلوكك ؟
٢٢ - تذوق الجمال لتعيش سعيداً
٢٣ - ماذا تعرف عن اللاشعور
٢٤ - تعلم فن التفاوض
٢٥ - قاموس علم النفس
٢٦ - المشاكل الزوجية
٢٧ - الزوجة الناجحة
٢٨ - كيف تعاملين زوجك
٢٩ - كيف تعامل زوجتك
٣٠ - الكذب وأثره فى الإنسان
٣١ - الغرور وأثره فى الإنسان
٣٢ - الضمير وأثره فى الإنسان
٣٣ - الصراحة : ما لها وما عليها
٣٤ - عاداتك عنوان شخصيتك
٣٥ - الأثر النفسى للقرارات الإدارية
٣٦ - سيكولوجية الجرائم الجنسية
٣٧ - سيكولوجية الخبرة
٣٨ - فن المقابلات
٣٩ - السلوك الإرادى
٤٠ - أنت تربى نفسك
٤١ - سيكلوجية الإلهام

هذا الكتاب

يسر دار غريب أن تضع هذا العمل بين يدى كل أب وكل أم وكل معلم وكل معلمة ، وبين يدى كل من يهمه الوقوف على ما يجب اتخاذه من مواقف وتصرفات بإزاء المراهقين من الجنسين .

ومؤلف هذا الكتاب إلى جانب كونه أبًا ومعلمًا ، عرك ميادين التربية والتعليم خلال مشوار عمره الوظيفى فإنه جاب آفاقًا عديدة متنوعة من الثقافة النفسية والتربوية والفلسفية والاجتماعية ، وقد قمنا بنشر العديد من كتبه وبضمنها هذا الكتاب الذى اتخذ فيه المؤلف منهجًا تطبيقيا وقد صاغه بأسلوب سهل ومباشر .. إنه كتاب يجب أن يقرأ بتمعن وتفهم وتدقيق .

هانى أحمد غريب

